

السهل المبرور في ردع أهل الغرور

(للمتوسل بالصادق الأمين)

« محمد الجليلي المسكين »



يغيب الليل محوًا بالصباح

ويغني القبح في حسن الملاح

ويستنه لأدراج الرياح

بواقب يسوم الاقتضاح

تصلي الله ربي من إله

ويزهق باطلا ويقبح حفا

ويقترس الفضل وإن تعالي

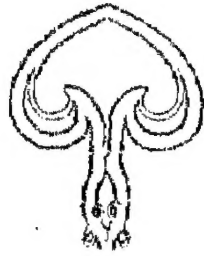
ويجمل كل ذي زبغ إلى أن



العسل المبرور ❀ في ردع أهل الغرور

(للمؤسس — ل بالصادق الأمين)

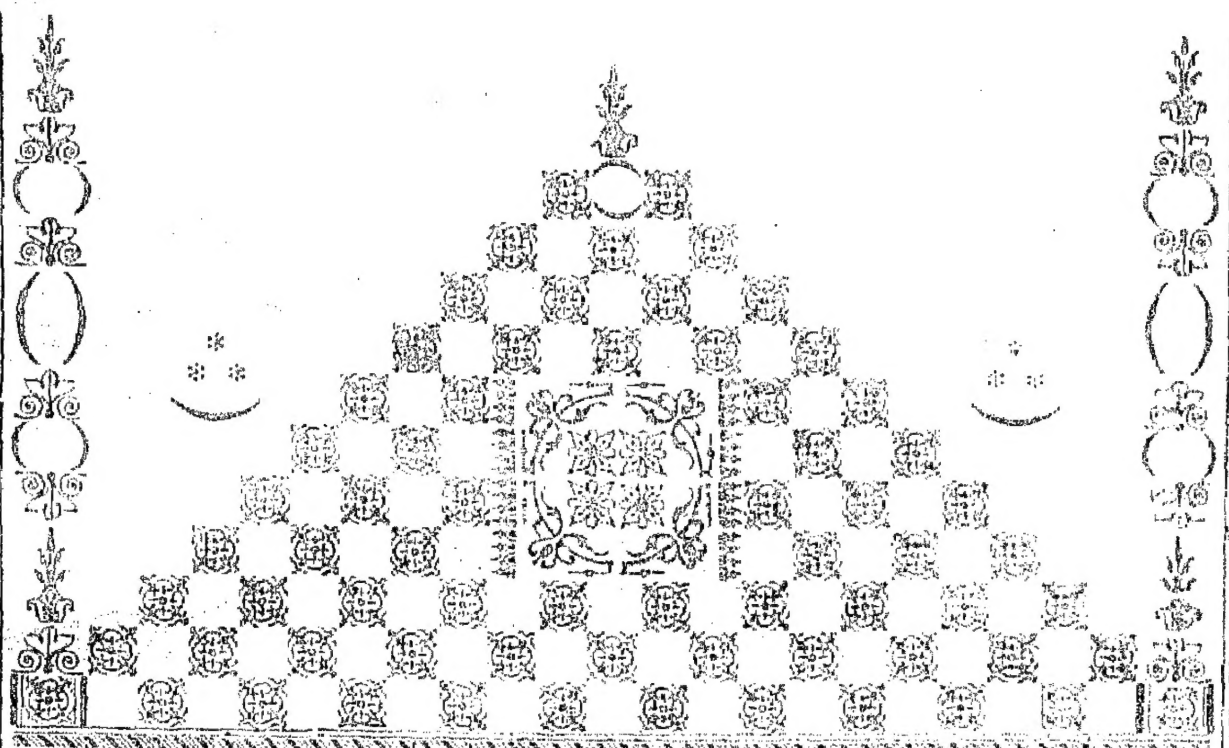
« محمد الجنوبي المسكين »



يذهب الليل محوًا بالصباح
ويخفي القبح في حسن الملاح
ويسلمه لأدراج الرياح
يوافيه يسوم الاقضاح

تعالى الله ربي من إله
ويزهق باطلا ويقيم حقاً
ويفتش الضلال وإن تعالى
ويُمهل كل ذي زيغ إلى أن





بسم الله الرحمن الرحيم

يا ماري من وراء القلب آرائ	بسر رابطة تخفي عن الرائي
ألم فؤادي صريح الحق يكف	نور يجيد به عن خبط عشواء
ولا تكلني إلى نفسي وغررها	ولا للمة غي ذات إغواء
إن الشياطين لا توحي زخارفها	إلا إلى كل همار ومشاء
قامت تحارب دين الله طائفة	إرشادها محض تضليل وإغراء
جاءت تدهن أهل الدين وهي لم	تسر كل إساءات وإيذاء
واليوم تعلن حربا حال معناه	كحال طحلبة تطفوا على الماء
لك الدفاع ومنك النصر عاجله	يرجى فقو قوي حسي ومعناي
واجعل لقولي لسان الصدق مسربة	واحفظ من لغوتباني وأبائي

يا صرشد الضال إرشدني لقامحة
 إن السفينة إذا لم يلهه سفة
 أي تابع الشر وازدادت حماقة
 وصاحب النية والدعوى يسر بما
 وأنت أعلم بالبلوي ومصدرها
 يا مالك الملك يا من شأن قدرته
 ارح عبيدك من قوم قد افقتوا
 واستسلموا لظنون سوء مسلكها
 وغرهم من رجال الدين أن لهم
 ومن طويل الثاني مابه أملاوا
 لذلك كل سفينة جاء يجهلهم
 ويعلمن الحرب لا عن أيما سبب
 إذ هم أناس شديد الطيش يلجؤهم
 باعوا الجنان بحر النار من جهلوا
 تمر مر سريع السحب يحملها
 وهم كسالي وجهه الجدة يعجزهم
 هل يقو من قويت في الزيف فتنه
 لهول يوم يشيب الطافل موقفه
 يوم مهول ألوا الأهواء تشغلهم
 مكانهم والمنايا نصب أعينهم

من السداد تزيل الداء بالداء
 عن الإساءات شأن الشين بالراء
 وهل يرؤ صياح عدو صماء
 يسيئ إن لم يذق آلام ضراء
 فمن سواك أرجيه لبلائي
 قهر القوي وتغيز الأزلأ
 من الفنون بتاريخ وأنشاء
 فناوشونا بتشويش وغوغاء
 من واسع الحلم أرض ذات أرجاء
 أن تهدي بهداهم كل عمياء
 نضيا ضحية أغراض وأهواء
 بل محض طيش كما طاش ابن تيماء
 إلى استمضة آلاء بلاواء
 أن الحياة كطيف المفقن الثاني
 ربح إذا هب يدعي ربح أنواء
 والكذب في الجد من شأن الأجلأ
 على استقامة محزون وبكاء
 كثير صغى وزفرات وإغماء
 عنه ودائع أموال وإساء
 بهم تحاول أن تعموا المرعاء

كأنما الموت للألماب تاركهم
 ظنوا الحياة بقاء لا فناء له
 فاستأمنوها فلم تحفظ مودتهم
 تقلص الظل فاستنات رؤسهم
 ألهمهم عن طروق الموت غاشية
 حتى إذا الموت فيهم صاح صاحبه
 كفاهم الزيف حرمانا وقد وردوا
 ظنته عزبا فوافقه على ظمائه
 والزيف أدهى ولكن لا دواء له
 هل تدرهم يافتي لا والذي ابتهجوا
 يا حبة القوم إن أشباحهم صرقت
 وإن احسوا فتورا في بصائرهم
 تمسودوا الطب تعلما وتجربة
 فيا صريع غرور العلم كن حذرا
 ويا أبا الزيف لا تكن إلى فئة
 فإنهم وفنون الطيش مهلكهم
 فيما إلهي وياعونى ومعتدي
 وابطش به يا شديد البطش منتقما
 فإن حاكم يا مولاي صيرهم
 واستحقروا الدين حتى قال قائمهم

أو أنه المرتشي يوما برشوا
 وأن دنياهم من غير أخراء
 بل غادرتهم كن ناموا بأفياء
 وما احتفى نائم من حر أضواء
 من طيش لب وإعجاب بضوء ضياء
 أخفوا الندامة واشتاقوا لرجاء
 حياضه كورود البهم للمساء
 فكان كالسهم في جوف وأمصاء
 إلا تتبع تشخيص الأطباء
 من فضله بكرامات وآلاء
 حنوا إلى الصبر كالمضني بمفواء
 حاكوا نواحا وحزنا كل ورقاء
 طيب القلوب التي تبلى بعذواء
 فاجبة اليم كم أودت بفرقاء
 تسوءك السوء منهم كل فتياء
 ما فاتهم حال طاووس وحرباء
 سابق مسيئهم المغرى ببأساء
 واجمله تذكرة يارب للرأى
 ما بين ضال ومضلال وخطاء
 ما الدين إلا لمعتوه وحقاء

فاصدع بمقتك يا مولاي قائمهم حتى ينام ضجيج الدّين والدّاء
فما دعوتك إلا بعد ما اجتمعوا على الضلال فشتهم بدهماء
قد دبروا المكر فاقطع أنت دابرهم وائيد الدين وارحمنا برحماء
(لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)

طاشت الأبواب وضاعت الآداب وانتصرت الدنيا بفساق بنمها
على الآخرة ونام المسي في مهاد مساويه وتناسى الساهرة وتمكنت سيطرة
سلطان الأهواء من عقول المغترين وأغلقت أبواب المتاب في وجوه السفهاء
وقيل بعدا للقوم الظالمين * وادعى الجهلاء العلم بمجرد القليل من الإطلاع *
حتى حرموا بالدعاوى الكاذبة مزايا الإستفادة وثمرات الإنتفاع *
وأصبحت اللسان أرفع معراج لمن يحم معالم المجد والشرف * من الأحداث
الذين صرق العيش عن أفئدتهم وقاية النسم ودروع الأسف * وما جنى
جانهم من ثمرات الإطلاع الا زخرفة القول وطلاقة اللسان * فأصبح
المرشد للمسترشدين منهم على الضلالة اكبر معونات * لانهم ما تجنبوا في
نصائحهم الا معالم الدين * ولا تحاشوا في خطبهم إلا ماورد من الموعظة
عن سيد المرسلين * وما كان إرشادهم إلا إلى التشبه بأهل أوربا في اتباع
الشياطين والأهواء * والإستخفاف بأوامر عالم السر والنجوى * حتى
أصبحنا لا نسمع في بيوت المتدينين من يقول لا إله إلا الله * ولا نرى من
ابنائهم ولا حاشيتهم من يعرف ان محمدا رسول الله ولقد استكبر كل ذي
منصب او مال أن يكون لربه من الساجدين * غافلا عن تهديد وعيد قوله
تعالى (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وما

أَكْبَهُمُ التَّمَذُّنُ إِلَّا هَجَرَ مَنَاهِجَ الْإِعْتِدَالِ وَالْإِسْتِقَامَةِ * وَمَا أَوْرَقَتْهُمْ الْحَرِيَّةُ
الْأَمْصَارُ الْخِزْيَ وَمَرَارِدُ الدَّمَامَةِ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى
اللَّهَ يَتَّقِبُ (يُطِيبُ) يَوْمَ يُقَالُ لِلْمُتَكَبِّرِ فِي جَهَنَّمَ (فَقِ انْكَ انْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)
يَوْمَ يُحْشَرُ الْمَعْجِبُ بِجَاهِهِ وَمَنْصِبُهُ ذَلِيلًا حَقِيرًا * يَوْمَ تَكُونُ الدَّوْلَةُ لِلَّذِينَ
قَالُوا (أَنَا نَحْنُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عِبُوسًا قَطَرِيًّا) يَوْمَ يَكُونُ صَاحِبُ الْجَدَلِ
وَاللِّسَانَةِ أَسْوَأَ حَالًا مِنَ الْكَافِرِ * يَوْمَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَحَفُوا مِنْهُمْ لِلَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا أَنَا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَتَمَّ مَقْنُونٌ عَنَا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ * يَوْمَ يَقَالُ
لِلْكَاهِنَاتِ خُذْنَ بِأَيْدِي سَادَاتِكُنَّ إِلَى جَهَنَّمَ وَبَشِ الْمَصِيرِ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَفَرِّجُونَ
(لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ) * يَوْمَ يُسْأَلُ الْفِيلَسُوفُ
عَنْ عِلْمِهِ مَنْ مَنِ اسْتَفَادَهُ « وَفِيمَ ضَيَّعَ أَوْقَاتَ عَمْرِهِ وَقَطَعَ آمَادَهُ » فَيَقُولُ
يَا رَبِّ إِنِّي أُدْرِكْتُ مِمَّا لَمْ يَأْتِ بِهَا أَوْ دَعَيْتُ مِنَ الْقَوِي * فَيَقُولُ لَهُ أَمَّا
أَرْسَلْتُ لَكَ بِرِسَالَتِي رَسُولًا صَادِقًا لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ فَاذًا الَّذِي اسْتَفَدْتَهُ
مِنَ الطَّبِيعَةِ وَعِلْمَ النُّجُومِ * وَقَدْ جَهَلْتَ آدَابَ عِبُودِيَّتِكَ وَحَقُوقَ رَبُّوبِيَّتِي
وَأَنَا الْحَيُّ الْقَيُّومُ * إِذْ هَبُوا بَعْدَ السُّوءِ إِلَى النَّارِ الْمَحْرُوقَةِ بِطَبْعِهَا فِي زَعْمِهِ *
ثُمَّ اسْتَحْبَوْهُ عَلَى وَجْهِهِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ مِنْ أَكْبَرِ عَجَبِهِ وَرُؤُوسِ قَوْمِهِ *
يَوْمَ يَقَالُ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرْ رَبَّهُ لَمْ تَنَاسَيْتَ مَنْ أَصْبَغَ عَلَيْكَ جَلَالَ النِّعَمِ * وَلَمْ لَمْ تَخَفْ
سَطْوَةَ بَطْشِ جَبْرُوتٍ مَنْ لَوْ شَاءَ لَعَجَّلَ لَكَ غَوَائِلَ النَّقْمِ * أَمِنَ الْمَعْقُولُ
أَنْ تَقْبَلَ مَذْمَرَتُهُ إِذَا قَالَ يَا رَبِّ غَرَّني الزَّائِفُونَ بِزُخَارِفِ أَقْوَالِهِمْ * أَلَمْ
يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ الْهَائِلُ مَنْ يَقُولُ لَهُ لَمْ لَمْ تَتَّبِعِ الْمُهْتَدِينَ فِي صَالِحِ أَعْوَالِهِمْ
وَمَحَاسِنِ أَعْمَالِهِمْ * أَمِنَ الْمَعْقُولُ أَنْ يُحْشَرَ الْمُتَفَرِّجُ مَعَ عِبَادِ اللَّهِ الْمُتَّقِينَ *

كَلَّا وَاللَّهِ لَا يَدْعُوَانِي يَحْشُرُ مَعِ مَنْ أَحَبَّ وَإِنْ كُنْتُمْ كَافِرِينَ * وَلَكِنْ
الْفَلَّاسُفَةُ يَنْكُرُونَ الْحَشَرَ وَالْحِسَابَ وَيَأُولُونَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا جَاءَتْ
بِهِ آيَاتُ الْكِتَابِ

أُولَئِكَ أَقْوَامٌ دَهَاهُمْ غُرُورُهُمْ فطاشوا وداء الطيش أسرع قاتل
لِذَاكَ تَرَاهُمْ يَسْلُمُونَ نَفْسَهُمْ لأهوائهم فليغبطوا كل جاهل
فَمَا الْعِلْمُ عِنْدَ الطَّيْشِ إِلَّا حِبَالَةٌ لَزِنْدَقَةٍ أَوْ فِتْنَةٍ لِأَسَافِلِ
وَهَلْ بَعْدَ ذَمِّ الْإِتْقَانِ مَذْمُومَةٌ وهل خلة عرجا كبغض الأوائل
الْأَفْبَحُ لِلَّهِ الْفِتْنَةُ الْمَرَايِبَةُ وَأَهْلُهَا فَإِنَّهَا هِيَ مَنْشَأُ الطَّيْشِ وَمَبْدَأُ
الْفِتَنِ وَأَسَاسُ الْفَسْقِ وَفَزَايِكَةُ الْفُجُورِ وَمَوْلِدُ الزِّنْدَقَةِ وَالزَّيْغِ وَمَهْرَجَانُ
الْكِبَائِرِ وَمَسْرِيَّةُ الْأَعْوَجَاجِ وَلَقَدْ تَوَلَّدَتْ مِنْ بَطُونِ شُرُورِهَا مَوَالِيدُ
الشُّبُهَةِ الْفَلَسَفِيَّةِ الَّتِي أَفْسَدَتْ الْعَقَائِدَ وَأَمَاتَتْ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ وَأُظْلَمَتْ
أَسْرَارُ الْمُتَعَلِّمِينَ وَطُمَسَتْ بَصَائِرُ الْمُتَرَشِّحِينَ وَذَهَبَتْ بِنَفْسِ ذَوِي الْأَطْلَاعِ
إِلَى حَيْثُ شَاءَتِ الْأَهْوَاءُ وَتَرَكَّتِ السَّفَلَةُ لَا يَتَنَاوَلُونَ إِلَّا الْمَعْلُومَاتِ الزَّيْفِيَّةِ
وَلَا يَرْكَنُونَ إِلَّا إِلَى الْفَنُونِ الْفَلَسَفِيَّةِ وَمَا زَالَتْ شَيَاطِينُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ
تَلْمِزُ بِعَقُولِ الْأَغْيَاءِ حَتَّى حَالَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الطَّرِيقِ الْقَسِيمِ وَصَرَفَتْ
بَصَائِرَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَقَدْ دَسَّ أَهْلُ الْجِدْلِ لِلنَّاسِ
فِي زَخْرِفِ الْقَوْلِ سُمُومَ الزِّنْدَقَةِ حَتَّى عَدِمُوا الْأَحْسَاسَاتِ الذُّوقِيَّةَ وَفَقَدُوا
بَقِيَّةَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الشُّعُورِ بِعَظَمَةِ الْإِلَهِ الْقَوِيِّ الْقَادِرِ وَشَدِيدِ انتقامه
وَقَدْ أَمْنُوا مَكْرَهُ وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ وَنَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ
أَنْفُسَهُمْ فَغَفَلُوا عَنِ الْمَوْتِ وَمَا وَرَاءَهُ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَارْتَابُوا

فيما جاءت به الرسل واتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً
 وضلوا عن سواء السبيل وذلك كله وما وراءه من المملكات الزينة ثمرات
 تلك الفتنة المشؤومة التي ماتت عقبها أفاضل العلماء العالمين الذين أراحهم
 الله بلموت من شرور هذا الزمن الذي ضعف فيه الإيمان وقوى الزور
 والبهتان وماتت المروآت وحيت الكبائر والمنكرات فطهرهم ربهم من
 خبائث أحواله وقد كانت موتهم عاملاً قوياً في ظهور المفساد الفلسفية
 وانتشار الظلمات الزينة فجعلت في أودية الجدل قرائح اللؤماء وانطلقت
 في ميادين الزيف السنة السفهاء حتى امتلأت الأرض فجوراً وأصبحت
 الدعاوى كلها بهتاناً وزوراً وما تركت الكبائر قلباً الا تقلبت به في أودية
 الملاهي وفقد الناس الحياء والادب فتجاسر الفاسق بنفسه وتباهي المخمور
 بسكره وماتستر الزاني ولا خجل السارق وأصبح السباب لا يستحي ولا
 يخاف ولا يتحاشى الزنديق مسيات أقواله ورقت الأحداث المنابر لوعظ
 الشيوخ وانحوض في اعراض العلماء مع جهلهم الآداب وكفرهم بما
 جاء به الكتاب وما منهم من خطيب الا وهو لا يدري كيف يتظهر ولا
 كيف ينام ولا كيف يأكل ولا كيف يبول ولا كيف يقف بين يدي ربه
 قال أبو محمد الفتح ابن سعيد الموصلي رضي الله عنه صحبت ثلاثين شيخاً
 يُعَدُّون جسيمهم من الأبدال وما منهم من شيخ الا وأوصاني عند فراقه
 إياك ومما شئت الأحداث وقال إبراهيم ابن ادهم رضي الله عنه صحبة
 الأشرار من الأحداث تورث سوء الظن بالأخيار وقال ذوا النون المصري
 رضي الله عنه إنما غلب الفساد على الأحداث من ستة أشياء ضعف الهمة

عن عمل الآخرة . والثاني طول الأمل مع قرب الأجل . والثالث أن
أبدانهم رهينة شهواتهم . والرابع أنهم يؤثرون رضاء المخلوق على رضاء
الخالق . والخامس اتبعوا أهوائهم ونبذوا سنة نبيهم وراء ظهورهم
والسادس جعلوا زلات السلف الصالح رضى الله عنهم حجة لأنفسهم
ودفنوا كثير مناقبهم

وقال أبو محمد المرتضى سمعت أبا الحسين ابن أحمد ابن محمد النورى
رضى الله عنه يقول لبعض اصحابه . عشرة وأى عشرة فاحفظ بهن واعمل
عليهن جهدا . اولها من رأيت يدهي ان له من العلم حال يخرج به عن حد
الشريعة فلا تقربه . الثانية من رأيت يركن الى غير أبناء دينه وجنسه فلا تقربه
الثالثة من رأيت يركن الى الرياسة ويجب ان يكون ممظا فلا تقربه ولا
ترج له فلاحا . الرابعة من رأيت يدعي العلم وهو محب للدنيا فلا تقربه فانه
يُقسي قلبك . الخامسة من رأيت مستغنيا بعلمه فلا تأمن جهله فان خطاه
أكثر من صوابه . السادسة من رأيت يدعي حالة باطنة مع ربه لم يشهد
له بها حفظ ظاهره فاتهمه في دينه فإن كمال الظاهر عنوان طهارة الباطن
السابعة من رأيت يرضي عن نفسه ويزدرى غيره فاعلم أنه مخدوع فاحذره
الثامنة من رأيت يميل الى الرفاهية ويستغنى بالعلم عن العمل فلا ترج خيره
التاسعة من رأيت كثير المزاح قليل الخوف من الله فاعلم انه مشوش السر
محروم من بركة التقوى . العاشرة من رأيت مطمئنا الى اخوانه واصدقائه
مدعيا كمال الخلق بذلك فاشهد عليه بسخافة عقله ووهن ديانته

وسئل أبو عبد الله محمد ابن علي ابن الحسين الترمذى عن صفة

اشرار الاحداث فقال ضعف عن العمل ظاهر ودعوى عريضة وعلم مشهور وأدب مفتود ونفوس ترى نقصها كمالا وكال غيرها نقصا وقال ابوا بكر محمد ابن عمر الوراق رضى الله عنه اشر الاحداث من اكتفى بالكلام من المسلم وتعلم العلم ولم يتعلم الأدب وقال اذا غلب الهوى على طالب العلم أظلم قلبه واذا أظلم قلبه ضاق صدره واذا ضاق صدره أُنفض المتدينين واذا أُنفضهم أُنفضوه واذا أُنفضوه جفاهم واذا جفاهم صار شيطانا وقال من عشق نفسه عشق الكبر والحسد وعاقبتها الذل والاهانة ولقد شاهدنا مصداق ما قال . وقال ابوا سعيد أحمد ابن عيسى الخزاز ان شر الناس من يكون مع نفسه على العلماء . وخيرهم من يكون مع العلماء على نفسه . وقال ابوا الحسين علي ابن سهل الاصبهاني ما وصل الضر الى الاحداث إلا من تعظيم نفوسهم واشتغالهم بتحسين أفعالهم . وقال ابوا محمد احمد ابن محمد ابن الحسين الحريري رضى الله عنه من استولت عليه نفسه صار اسير هواه ومن أسره هواه حرم الله على قلبه الفوائد فلا يفهم عن الله خطابا ولا يعرف طريق الحق ولا يهتدي اليه سبيلا

وقال ابوا العباس احمد ابن محمد ابن سهل من حرم الأدب حرم جوامع الخيرات وقال شر العلوم علم يورث الإعجاب بزخرفة القول ويجر الى الإنتقاد والإعتراض وسئل عن أقرب شيء الى مقت الله تعالى فقال الرضا عن النفس وازدهاء الغير وقال ابوا بكر محمد ابن موسى الواسطي رضى الله عنه إذا أراد الله هوان عبده ألقاه الى هؤلاء الجيف المنتنة أي شبان الأحداث فإنهم جعلوا سوء أفعالهم إخلالاً وشره نفوسهم

اقتصاداً ودناءة همهم جلالة وسوء جدلهم نصحاء وموعظة وهدوتهم إلى الضلال إرشاداً وتعلماً فمروا عن الطريق المستقيم فلا أدب ولا عبادة ولا حياة ولا خوف إن نطقوا فمن غضب وإن خاطبوا فمن كبر وإن سوء سفهمهم لينبيء عما في سويداء اسرارهم وشرهم يبين مستور أخلاقهم ثم قال (قاتلهم الله أنى يؤفكون) وسئل أبوا بكر عبد الله الأبهري ما سبب فتنة الأحداث فقال احتياج الخيلار منهم إلى الاشرار ثم قال (وفي ذاكم بلا من ربح عظيم) وهذه هي أكبر فتنة افتتن بها طلبة العلم الأزهريون في السنين الماضية

وقال أبوا بكر أحمد ابن محمد ابن أبي سعدان رضي الله عنه من تعرض للمناظرة في الخطابة فقد أظهر لنفسه ثلاثة ممایب أولها الجدل والصياح وهو منهي عنه وثانيها التمالى على الخلق وهو منهي عنه وثالثها القدح في الأعراض وهو منهي عنه ومن أراد المناصحة الأديبة الدينية فليكن أول كلامه موعظة شرعية وأوسطه دلالة دينية وآخره معروف وبركة . وقال أبوا عمرو محمد ابن إبراهيم الدجاجي كان الناس في الجاهلية يتكلمون بما تستحسنه عقولهم وطباعهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فرددهم إلى الشريعة والإتباع فالمقل الصحيح هو الذي يستحسن ما استحسنه الشرع ويستتبع ما استتبعه الشرع والمفتون من اتبع في الموعظة هوى نفسه . وقال أبوا عمرو إسماعيل ابن نجيد رضي الله عنه إنما تولد الدعاوى من سوء البدايه فمن صحت بدايته صحت نهايته ومن فسدت بدايته فإنه يهلك في نهايته من حيث لا يشعر ثم قرأ قوله تعالى (أفمن أسس بنيانه على

تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار
فانهار به في نار جهنم)

ومن أراد أن يتحقق صدق مقاله ذلك الإمام وما جاءت به آيات
الكتاب الحكيم فليتأمل في أحوال من كانت بدايتهم التعليم الأوروبى
ليعلم آثار قدرة الله وحكمته وعمل القدر الذي يضطر العبد المؤمن الذي
يعد نفسه من المسلمين إلى أن يسلم ولده الذي كتب الله عليه الشقاء وحققت
عليه كلمة المذاب إلى مملعين لا يعلمون الدين ولا يعقلونه ولا هم يهتدون وهم
في نظره هو العلماء والعقلاء ليقضى الله أمراً كان مفعولاً

قلو أن في الأمة عقلاء لتبهموا لما ساقه القدر إليهم من تلك الفتن
التي أكلت مكارم أخلاقهم وسحقت ما أثر أسلافهم وذهبت بهمهمهم
وسروا آتهم وخطفنت أبصارهم وأزاحت قلوبهم وأظهرت فيما بينهم عجائب
الحوادث وغرائب البدع المهلكة حتى تمشيخ الصبيان وتصابي الشيوخ
وصعدت الزنادقة المنابر واتخذ الفساق الوعظ سبيلاً إلى التفاخر ومن الناس
من هو معجب بأقوالهم لا هياً عن سيئات أحوالهم وذلك مصداق قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله نفاذ أمر سلب من ذوى العقول
عقولهم

وإن منهم العالم الزنديق الذي يدعى أنه من أهل التحقيق وما يتحقق
من الأخلاق إلا بما يقره الله ولا نطق إلا بما يمجج الشرع ويأباه وكلامهم
يدعون أنهم نصراء الدين وأنهم الآسفون على الإسلام وعلى المسلمين كذب
والله واقتري على ربه المصدق والقائل وتمكنت العقلة من السامع والناقل

قال الله إنهم لجنود الشيطان وأعوان الباطل واعداء الحق والمسلمين في الكفر
والدالون علي المروق من الدين ولقد فعلوا بالدين ما لم يفعله سفهاء المبشرين
ولقد قام سفهاؤهم وقد ساعدتهم ظروف الزمن وحوادث الفتن وقرائن
الاحوال في وجوه العلماء ماقتين لأعمالهم وساخرين من أحوالهم ولما لم يجدوا
منهم سفهاً مجيئاً نادوا عليهم في الأمة بأنهم اهل جهود وتنطع ظانين ان
الجهود علي الدين غيب غير مستور وذنب غير مغفور لانهم ما فقهوا وصايا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال سمروا فان الامر جد وتأهبوا
فان الرحيل قريب وتزودوا فان السفر بعيد وخففوا اثقالكم فان وراءكم
عقبه كثود لا يقطعها إلا المحتنون أيها الناس إن بين يدي الساعة اموراً
شداداً واهوالاً عظيماً وزماناً صعباً تملك فيه الظلمة وتتصدر فيه الفسقة
فيضطهد فيه الآمرون بالمرئوف ويضام الناهون عن المنكر فأعدوا لذلك
الايان وعضوا عليه بالنواجذ واجاؤا إلى العمل الصالح واكرهوا عليه
النفوس واصبروا على الضراء تفضوا إلى النعيم الدائم

فلو ان اولئك السفهاء عقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاياهم
او تبينوا من آثاره طريق الهدى لما مقتوا المتمسكين بدينهم الجامدين علي
متابعة السنة والجماعة ولما خالفوا طريق أعلم العلماء وأفضل الأدباء في كل
نصائحهم حيث يأصرون بالتشبه بأهل أوربا في التكالب علي الدنيا ورسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول أيها الناس ان هذه الدار دار التواء لا دار
استواء ومنزل ترح لا منزل فرح فمن عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشدة
ألا وان الله خلق الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقي فجعل بلوى الدنيا

لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً فيأخذ ليعطى
ويبلى ليجزى وإنها السريمة الذهب وشيكة الانقلاب فاحذروا حلاوة
رضاعها لمرارة فطامها واهجروا لذيق عاجلها لكريم آجلها ولا تسموا في
عمران دار قضي خرابها ولا تواصلوها وقد أراد الله منكم اجتنابها فتكونوا
لسخطه متبرئين ولعقوبته مستحقين

فليُنظر العقلاء الى موعظة هذا النبي الكريم الذي كان في أمة كانت
أقل الأمم عدداً وأضعفهم في الاستعدادات الحربية والأعمال التجارية
مدداً وعدداً وكان على يديه الفتح المبين وظهور الحق وانتصار الدين فلماذا
لم يأمر الله بما يأمر به قومنا سفهاء خطباءهم وأراذل فلاسفهم الذين
يوعظون ان تماقب الأزمان يستلزم تغير الأديان ويدعون ان تمسك العلماء
بما تناقلوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو السبب الأقوى في انحطاط
الأمم الإسلامية الى غير ذلك من التوجيهات التي تزي بالعلماء وتجعلهم
أسوأ حالا في نظر العامة من الجهلاء ولقد أوجد الله سبحانه وتعالى في
تلك الفترة التي فترها العلماء من أفراد الطائفة الفلسفية من كان شيطاً ذاهة
غالبية ونفس قوية ومنطق مزخرف حاضر الحجة والبرهان قوى الدليل
على اثبات ما يدعيه وإن كان كذباً ليقضي الله أمراً كان منفعولاً ويظهر من
ممكنون الغيب ما يظهره من زيف الزائعين وضلال المضلين حتى كانت الغلبة
للمتأسفين على العلماء وضعفاء المتصوفين بما لا فرادهم من القوة المنطقية
والتدبير الفكرية والماكات السياسية قائلين لهم إنكم أنتم المعاول الهادمة
للدين الإسلامي وليس الذي أنتم عليه هو الدين ولكن الدين وراء ذلك

ثم قالوا إن من يريد أن يستطلع ملاح الدين الاسلامي فالينظر إلى اعمال
 أهل أوروبا واليتخلق بأخلاقهم واليعمل كأعمالهم إلى غير ذلك من التهورات
 التي ما قصدوا بها إلا تحقير العلماء والأتقياء من المؤمنين حتى ربا ذلك
 البذر الخبيث السيء ونما نبتة في القلوب القاسية الى أن أصبح العلماء في نظر
 الأمة أحقر من كل حقير وامسى كل تقي ممقوتا ووسمهم جهلاء الاحداث
 بأنهم احجار عثرات في طريق التقدم كل ذلك والناس عن لغات هاتيك
 الأفاعي لأهون وعن تلك الضربات التي اماتت أفئدتهم ساهون

كأنما الناس صبيان يلعبهم	مشمودة في ضروب اللهو محسان
أوفقية من رطاع البدو يفترهم	مخادع سيء الأخلاق خوان
فأصبحوا وهو الانعام تحشرهم	إلى المذابح صيحات وقضبان
أو نسوة فاقدرات العقل لمن الى	من للفواحش يصبوا وهو ولهان
واحسرتاه على قومي وقد فقدوا	كل المكارم لا كنا ولا كانوا
كانهم وفتون الطيش يشملهم	من ملة ملها بالله ايمان
أو أنهم فئة في الكفر قد نشأت	وما أتأها من الرحمن قرآن
أو أن احمد لم تثبت رسالته	وما له في سبيل الرشيد تبيان
أو منزل الذكر لا تخشى إهانتة	إن صدهم عنه طغيان وعصيان
وادعشتي وأولوا الالباب تمدني	من مرشد قام يهدي وهو حيران
ومدعي العقل والاهوام تسلمه	إلى الظنون وبعض الظن خسران
وموقد النار في حر المجير وما	فوق التصدي لحرب الدين ثيران
أيام تملدوا عليه صكل عادية	يوزها لتسيء الدين شيطان

ومن أخ يدعي صفو الإخاء وما
 ينشئ الممايب والآداب يسترها
 فهل نرجى وقارا أو نرى ادبا
 وهل تقوم لدين الله قائمة
 وهل يمود إلينا عن طاعتها
 وهل نرى ضوئه يملأ كعادته
 والزائفون لهم في الناس منزلة
 والمسنون أناس لا خلاق لهم
 لأنهم فسقوا جهلا وما علموا
 لا يرتضي حال من يزهو باللهجه
 كأنما الدين في أيدي تصرفه
 الدين مازال يسمو في نزاهته
 الدين صبغة رب ليس ينفه
 وصاحب الدين قهار ومقتدر
 فان أراد بنا التوفيق أرشدنا
 أولا فلازيع أبواب مفتحة
 (يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن)
 لقد تمكن الطيش وطغيان الغرور من سفهاء الفلاسفة الطييبين حتى توهبوا
 أنهم هم العقلاء وأنهم هم المصلحون (ألا إنهم هم المفسدون ولكن
 لا يشعرون) جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بدين قويم فجعلوه وعادوا

له غير ثم المرض قربان
 يا خيبة الخلق لم تأمنه إخوان
 ومرشدونا مهائيل وشبان
 وباطن الرشد تضليل وكفران
 وماله من ثقة القوم اعوان
 والمفسدون لهم شأن وشان
 وطالب العلم منترون وفتان
 وما لهم عند أهل الدين ميزان
 ان المهين قهار وديان
 طوع الهوى ورقب الخوف ومان
 أو أمة الدين بهم وهو سبحانه
 عن أن يحارب أو يملوه خذلان
 عن نصرة الدين اسطول وفرسان
 ودوا انتقام وغفار ورحمان
 لأن تقام بنا للدين أركان
 من خلفها موقف صعب ونيران

أهله وتمكنت المداوة والبغضاء من قلوبهم فقاموا يُقَبِّحُونَ للعامة أعمال
الخاصة ويخوضون في أعراضهم وكانوا أشد من الكفار عداوة للسادة
الصوفية وذلك لأن الله سبحانه وتعالى من شأنه خلق الازدواج وقد جعل
الفلاسفة اُضداداً للصوفية وجعل أفراد الطائفتين متعادلين في قُوَّة المنطق
وزكا، الفطنة ومختلفين في البدايات والنهايات وفي العلم والعمل لأن بداية
الصوفية إيمان وتصديق ونهايتهم استسلام وتفويض وبداية المتفلسفين
مخاورات وجدل ونهايتهم دعوي وغرور ثم معلومات الصوفية آداب دينية
وأخلاق كمالية ومعلومات الفلاسفة دورات فلكية واستكشافات طبيعية
وعمل الصوفية عبادات وقربات وعمل الفلاسفة تمهيداً لأغراض وغايات
وقد قال الله تبارك وتعالى (لا يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا
النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات)

والفارق بين الطائفتين هو أن السادة الصوفية أهل آداب وعمل
وطريقهم طريق جد واجتهاد ولها شروط صحة وشروط كمال ومن شروط
صحتها أن لا يأتي التلميذ شيخه إلا مجرداً من كل ما كان يعلمه من قبل أن يصل
إليه وأن لا يعمل عملاً إلا بأذنه ولا يتعلم إلا ما يلقيه إليه وأن يكون الشيخ
كامل العلم والآداب عارفاً بربه ونفسه خبيراً بشؤون تمييزه قابضاً على أزمته
موازن الكلام الأدبية فلا ينطق إلا بالحكمة الدينية ولا يتكلم إلا عن علم
وآداب . وأما الطائفة الأخرى فلا طريق لهم غير طريق الشيطان وهي
الطريق التي لا عمل فيها ولا أدب وليس لها من أساس إلا الغرور والافتتان
ولا قاعدة لها غير اللسان والسمطة وليس لها من مسرب إلا الظنون

الوهمية والالوهام الخيالية لأنهم لا يستمدون الا على جودة أفكارهم وسمة
اطلاعهم وتصور مخيلاتهم وهذا هو اتباع الهوى الذي نهى الله عنه في
كثير من آيات الكتاب الحكيم . وأما الطائفة الاولى فخالهم في العلم مع
ربهم هو حال الملائكة إذ قالوا (سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك انت
العليم الحكيم)

(مسألة)

كين تدعى أن طريق الفلاسفة طريق شيطانية وهم يقيمون على
وحدانية الله ورسالة رسول الله أقوم الأدلة وأقوى البراهين ويعلمون علم
الأخلاق وهم أهل النظر والاستدلال (الجواب) إنه لم يكن من
الشياطين من يجهل ربه ولا من يقتد أن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس
برسول ولم يخلق الله سبحانه وتعالى شيطاناً لا يحسن الجدل ولا يتقوى على
إقامة الأدلة على ما يدعي وما من شيطان يجهل مكارم الأخلاق بل هي
معلومة للصبيان والنساء وليس الشائب هو مجرد العلم ولكن الشأن هو
التخلق بحقائق العلم ومن العلم ما هو ديني أدبي ومنه ما هو نظري ظني
(وان الظن لا يغني من الحق شيئاً)

بيان ذلك أن الفلاسفة لما بحثوا من طريق النظر والاستدلال على
موجد هذه الأكوان لعلمهم أنه من المستحيلات وجود صنعة بغير صانع
وكان اعتمادهم في ذلك البحث على مدارك أفكارهم كانوا كمتعمد يحملة
جواد جهوح ومن كان هذا حاله كانت نهاية مسراه حيث يكتبوا به جواده
فلما وصلت بهم مدارك أفكارهم إلى الطبيعة أحاطت بها ظلمات الجهل

من كل جانب ووجدوا من بين أيديهم سداً من الحجب النفسانية والأغراض
الهوائية محكماً (فما استطاعوا أن يظروا وما استطاعوا له نقياً) وهذا
هو مصداق قوله تعالى (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)

وأما الآخرون فهم الذين اتهموا بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا
اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون
به وبغفر لكم والله غفور رحيم) فبحثوا عن التقوى كيف تكون وكيف
يكون الإيمان فأرشدتهم المرشدون من طريق الحكمة والأدب إليهما
فدأبوا على ما أرشدوا إليه من طريق إشارة قوله تعالى لنبيه (واعبد ربك
حتى يأتيك اليقين) وعبدوا ربهم حتى ارتفعت عنهم الحجب وزالت
ظلمات البشرية وانكشف الغطاء وتحققوا بحق اليقين وناداهم رضوان
فراديس المعرفة سلام عليكم طيتم فادخلوها خالدين

فكان مثل الفريقين كمثل قوم دعاهم الملك إلى أن يشهدوا مشاهد
إجلاله ومواكب عظمتهم ليعرفوا مكانة كبريائه فدأب الأدياء منهم على
إرشادات أخصاء ذلك الملك من طريق واحد متجنبين كل شاغل يشغلهم
عما أرشدوا إليه من الآداب والأعمال حتى وصلوا إلى ما دعوا إليه
بسلام وقام الباقون من أولئك القوم طائفتين حول ضواحي مدينة الملك
وفي أفنائها معجبين بما يبدوا لهم من زخارف هاتيك الأماكن وما فيها
من مدهشات التراكيب ومحاسن النظمات الاختراعية حتى صدر إذن
الملك بالتصرف كل من المدعويين إلى ما أعد لهم من المنازل كل على حسب
قابليته واستعداده فمثل كل من القوم بما معناه هل تعرف الملك فكان

لكلٍ منهم جوابٌ بحسب حاله الذي كان عليه وكانت المنازل بحسب الأجوبة
 ففاز الأولون بما علموا وعملوا وكانت الخيبة للآخرين
 سمع تلميذٌ صوفيٌّ قول الله سبحانه وتعالى لنبيه (ادع الى سبيل ربك
 بالحكمة والموعظة الحسنة) وقوله له (قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على
 بصيرة أنا ومن اتبعني) فقام يتخير لنفسه تابعا من اتباع رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ليسأله عن ذلك السبيل ف قيل له ان لهذه الطريق أهل
 ساكنوها بالتسلسل يقود (السلف منهم إليها الخلف وهم أناس معلومون
 فما زال يتفقد العلماء العاملين حتى عثر بأحد المرشدين فلما تمثل بين يديه
 قال له إن السبيل التي تسألها هي الإستقامة التي أشار الله سبحانه إليها فيما
 علمه لذا وأمرنا أن ندأب على طلبه بقوله في سورة الفاتحة (إهدنا الصراط
 المستقيم) وقال له إنها طريق كثيرة العقبات والمخاوف ولا يجواسا لكها
 إلا بمؤنس ورفيق ولا مؤنس فيها الا الله سبحانه وتعالى فإن استصحبته
 نجوت وسلمت وإن تشاغت عنه هلكت وندمت فقال له وكيف
 استصحب من لا يحويه مكان ولا تمر عليه الا زمان فقال له إنك إذا تبرأت
 من حولك وقوتك في جميع شؤونك واستعنت بحول الله وقوته فقد اتخذته
 صاحبا ووكيلا (ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل
 الله لكل قدرا) قال صاحب الحكم ابن عطاء الله السكندري ما توقف مطلب
 أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك فقال التلميذ لشيخه
 وهل هؤلاء الكفرة الفجرة كلهم متوكلون طالبون بربهم فتبسم
 الشيخ ضاحكا وقال يا بني وهل في الكون رزاق غير الله أما سمعت قوله

تعالى (كلا نريد هؤلا وهؤلا من عطاء ربك) ونحن فما نذكره لك إنما نريد مطالب المرفان التي لا تصل إلى مداركها الأفهام إلا بتعليم الله تعالى وإرشاده لا هذا المرض الزائل والهم المتواصل

قال التلميذ وكيف السبيل إلى معرفة الحق سبحانه وتعالى قال يابني إنه معلوم ولكن لا كالمعلومات التي يدركها طلابها بمدارك الحس لأنه معلوم لا يشبهه معلوم وإنه لصانع كل شيء وليس من شأن الصنعة أن تدرك الصانع ولكنه من شأنه أن يتعرف لقوم ويتنكر عن آخرين وهو الظاهر الذي لا يخفى إذا ما تعرف والخفي الذي لا يظهر إذا تنكر فاطلبه به تجده عند أول قدم فقد قال رجل لمعرف الكرخي رضى الله عنه أوصني فقال له توكل على الله حتى يكون هو معامك ومؤنسك وموضع شكواك فليس في الناس من يضررك أو ينفعك ومثل أبوا يزيد البسطامي رضى الله عنه بم عرفته الله فقال عرفت الله بالله وعرفت مادون الله بنسور الله وقال ابن عطاء الله رضى الله عنه إذا فتحت لك وجهة من التعرف فلا تبالي معها إن قل عمالك فإنه ما فتحها لك إلا وهو يريد أن يتعرف اليك وقال رضى الله عنه مطالب العارفين من الله الصديق في العبودية والقيام بحقوق الربوبية فلما سمع ذلك التلميذ من ذلك الاستاذ هذه النصائح رجع إلى نفسه قائلاً بخ بخ هذا الأديب العارف والحكيم الناصح والطبيب المداوى والليل المرشد فما عليك أيتها النفس إلا ملازمة أعتابه وأن تتسلكي في نظام أتباعه وأصحابه فإنه الناصح الأمين ومن ورثة حبيب رب العالمين

وأما التلميذ المتفلسف فقد طرق سمعه قول الله سبحانه وتعالى
 لنبيه (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) وقوله سبحانه وتعالى
 (أولم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان
 يسمعون بها) وغير ذلك من الآيات التي وُجِّعَ الله بها عبدة الاصنام ليعلموا
 أنهم على غير الحق وأن الله ما أهلك من كان قبلهم من القرون الذين
 يمشون في مساكنهم إلا بسبب ذلك المصيان والجهل المهلك فلم يعقل ذلك
 التلميذ تلك الآيات الكريمة معنى لأنه لا بداية له تساعد على أن يعقل
 عن الله خطاباً فقام يتفقد من يقتدى به من البغاء في فهم آيات القرآن
 الحكيم فمتر من طائفة الفلاسفة بمن يظن أنه هو المليم الحكيم فسأله عن
 حقائق ما تشير إليه تلك الآيات الكريمة وكيف يكون الاستدلال على موجد
 الأكران وما هو السبيل إلى معرفته فقال له أمالك عقل تفقه به الأشياء
 إذا أوقفناك على حقائقها قال نعم قال أمالك بصير ترى به ملكوت السموات
 والأرض قال نعم قال أمالك أذن تعي ما يلقي إليها من القول قال نعم قال إذا
 فطيك بالفنون الرياضية التي من أهمها فنُّ الهيئة والتاريخ والإنشاء ولا
 تنس نصيبك من المنطق لتحسن ما تقول وإياك أن تتغافل عن العلوم
 الطبيعية فإنها معلومات متى أدركتها إلى النهاية وجدت الموجد هناك
 فتقابل معه وجهاً لوجه فتعلم ما يعلم وتعمل ما يعمل ثم ألقى على سمعه من
 زخرف القول ما تركه داهشاً لشدة العجب الذي أخذ بمجامع قلبه من
 فصاحة ذلك المتكلم فقام من وقته مشتغلاً بما أصره به ذلك المرشد متوجه
 الفكر والهمة والمزينة إلى تلك الفنون حتى أصبح كل علم سواها من العلوم

النافعة عنده محقوتاً وذلك هو الضلال البعيد.

وأما طالب العلم الديني فقد قرأ قوله تعالى (فاولا نفر من فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) فعلم أن التفقه في الدين من الواجبات الضرورية لكل عالم يريد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فسأل عن العلم الذي يكون به الإنسان متفقهاً في دينه فقيل له هو العلم المعروف بعلم الفقه المدون في كتب الفقهاء وهو العلم المستنبط من كتاب الله والموافق لسنة رسول الله الذي أجمع جميع المؤمنين من السلف الصالح على صحته وموافقة أحكامه وآدابه للكتاب والسنة وهو النموذج الصراط المستقيم وعلى منصبه رفعت أعلام المنهج القويم فقال التلميذ وما هي معلومات ذلك العلم فقيل له ما هي إلا المبادئ التي تشمل على المفروضات وجميع نوافل الخيرات والمعاملات وما هي الا كل ما يحتاج إليه الانسان في معرفة ما أحل الله له وما حرم عليه فقال ذلك التلميذ وهل لطائفة الصوفية مجال في سبيل تحقيق ذلك العلم فقال المسؤول وهل يكون تصوف بخير تفقه في الدين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد خيراً ففقهه في دينه وقال أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه إذا نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى تربع في الهوى فلا تفتروا به حتى تعلموا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود آداب الشريعة وقال أبو الحنفية عمرو بن سلمة رضي الله عنه من لم يزن أحواله وأفعاله في كل وقت على الكتاب والسنة ولم يتم خواطره فلا تعدنه في ديوان الرجال وقال الجنيد رضي الله عنه وهو سيد الصوفية من

لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في طريقنا لأن علمنا مقيد
بالكتاب والسنة وهل وقف المرشدون من أهل هذه الطريق على حقائق
الآداب الدينية إلا من طريق النقل المتواتر الذي مبدؤه النبوة فقال
السائل وهل للفلاسفة مدونات في الدين أو قدم في طريق البحث عن هذا
العلم النفيس فتبسم المسؤول متعجباً من جهل ذلك التلميذ بشؤون الفلاسفة
ثم قال له يا هذا أما علمت أن أئمة الدين ما هم أئمة الفلسفة وأن المؤمنين
لا يتناولون دينهم إلا من أئمة مؤمنين أولى علم وأدب وهم الذين وصفهم الله
سبحانه وتعالى بقوله (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقوله (والمستغفرين
بالأسحار) وقوله (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة
أعين واجعلنا للمتقين إماماً) وقوله (والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً)
وقد ورد عن الإمام الأعظم أبي حنيفة أنه مكث خمسين سنة يصلي الصبح
بوضوء المشاء ومن تفقد شؤون أئمة الدين في صدق العبودية وأداء
واجبات حقوق الربوبية علم مكانهم من الدين ومكانهم عند ربهم وإن
إخوان الفلسفة لا يتناولون معوماتهم إلا من مثل كانت الفيلسوف الألماني
الذي يسمونه الشيخ الكبير والفيلسوف كارو الأورباوى وهترى بترنجيه
وفيجان جاك روسو وأضرابه من القوم الذين يظنون أن الدين خلية
للإنسان أي خلقاً طبيعياً منطوراً عليه كباقي الحيوانات لأنهم لا يعقلون
للمدين معنى إلا الإعتدال في المعاملات الاجتماعية والأعمال المماشية وفي
روابط التعاون والتآلف كالنحل مثلاً في أعمالها التي بدهش الفكر نظامها
الذي يستبمد التهور حصوله من مثل ذلك الحيوان الضعيف أو كفير

النحل من باقي الحيوانات التي أوتيت هزايما الاجتماع والتآلف والتعاون بطريق
ربما تعمس سلوكها على النوع الانساني وإن قلنا إن من الامم من يقاربها
في تلك المزايا فلا نجد إلا القوم الذين ارتبطوا بالإخاء الإيماني الذي أشار
الله إليه بقوله (إنما المؤمنون إخوة) وما من عاقل يعتقد أن هذه الفطرة
هي الدين الإسلامي إلا من سبح في بحار الأفكار وحده فاستهوته الظنون
السيئة وأحاط به موج الأوهام من كل جانب فانحصر شعوره وإحساسه
في مدارك لجة كاد أن يفرق فيها ولكنه نودي على لسان الحال بهاتف إشارة
قوله تعالى (فاليوم نجيبك ببديك لتكون لمن خلفك آية) وما هي الآية
فتنة للقوم الذين لا يفقهون ومن هذه الوجهة نادى بعضهم على الدين
الإسلامي بأنه دين الفطرة وبعضهم سماه الدين الطبيعي والبعض قال إنه
الحضارة الإسلامية وآخر سماه التمدن الإسلامي والله سبحانه وتعالى من
ورائهم محيط ولسان الحق يناديههم بقوله تعالى (إن هي إلا أسماء سميتوها
أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) ويقول له المؤمنون (ولا تتبعوا أهواء
قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) ويقول له
(إن يتبعون إلا الظن وما تهوي الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)
فقال ذلك التلميذ وما الذي الجأ أهل الاطلاع من الفلاسفة إلى
متابعة أقوام لا دين لهم وهم يتلون كتاب الله ويؤمنون برسول الله فقال
المسؤول باهذا أما سمعت قول الله سبحانه وتعالى في حق أهل الكتاب
(ثم يحرفونه من بعد ما علقوه وهم يعلمون) ألا ترى أن الكلمة أو الكلام
من المتكلم تصرفه قوايل السامعين إلى معاني شتى فيبدي كل سامع من

المفهوم له ما سمحت به قابليته فكيف بكلمات القرآن الذي أشار الله سبحانه وتعالى إليه بقوله (كذلك نسلك في قلوب المجرمين)

يا هذا إن أقوى سبب لمخالفة الفلاسفة لأهل الإيمان واليقين هو ما أشرنا إليه سابقاً من أن الصوفية لا تقوم بدايتهم إلا على الآداب الدينية التي تلقوها إليهم أساتذتهم من طريق الوراثة الحمديدية ومن أشرقت بدايته أشرقت نهائيه وقد قال ابن عطاء الله من علامات النجح في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات ولا يخفى ما في متابعة الأئمة الهداة المرشدين من لين والبركة لأنه لو لم يكن في متابعتهم من فائدة إلا مخالفة الأهواء ومجاهدة النفس الأمارة حتى تكون راضية مرضية كارهة للنقائص تائقة لمزايا الكمال لكان ذلك هو الفوز العظيم لأنهم هم الأقطار الأبرياء الأسماء الذين تحي القلوب بذكرهم وهموا الخيرون بدسائس النفوس وغوائل الطباع البشرية فلذلك ساموا وسلمت أتباعهم

وأما إخوان الفلسفة فهم القوم الذين لا يرجعون إلا لمقولهم وظنونهم ويمتدحون أن الإنسان حر الضمير لا يقيد بقيد من القيود فلذلك فقدوا آداب العبودية وما قاموا بحقوق الربوبية ففسد حالهم وهلكوا من حيث لا يشعرون ولقد نادى عليهم القرآن بالخسران المبين في مثل قوله تعالى لنبيه (قل هل تنبؤكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) وأي إنسان أخسر صفقة من طالب علم أعجبه نفسه فرضى عنها وتابع هواها فأخذ بمحنة الطيش إلى مصارع أقوام أضلهم الله على علم فافتنوا بفتون ليست من الدين في شيء وذهبت بهم زخارف

أقوال المؤرخين الى مذاهب ليس لها غاية مؤمودة ولا خير يرجى ولا
تُكسب من ذهب اليها إلا استكباراً وعتواً وشرّاً خفياً وضلالاً بعيداً
وطغياناً لا يشمر منه بمكر الله به حيث سد عليه باب العمل وفتح له باب
الجدل وأوكله الى نفسه وهواه ورزقه المقال وسلبه محاسن الأحوال وذلك
هو البلاء العظيم الذي كانت تخافه الادياء وتقر منه أكابر الأتقياء بإرشاد الله
سبحانه وتعالى وتعليمه (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) ولقد
استلهمت نيران الفتن في هذا الزمن المظلم فتطايير شرورها وتطاوالت شرورها
وجاءت بأعجب الحوادث الدينية والدنيوية وما كان لذلك كله من سبب إلا
موت البرودة وفقد الحياء والخوف وتطاول السمنة الزائفة واعجاب كل
متكلم بنفسه واستيلاء الحرص والطمع على أفئدة المتجاورين أمماً كانوا
أو أفراداً وما اشتدت العداوة والبغضاء بين طائفتين أشد من اشتدادهما
بين الفلاسفة وبين المتدينين فقال المتدينون انما الفلاسفة قوم كفار
لادين لهم وقال الفلاسفة انما الناس رجالان عاقل لادين له ومتدين لا عقل
له وقد رضى كل منهما بما وصفه به الآخر فأصبح المتدين متمسكاً بدينه
راضياً بجنونه وأصر المتفلسف على كفره فأصبح تاركاً لفرائض الدين
جاحداً لآدابه ناهياً عن التمسك به بحكم الإشارة لا بلسان العبارة ثم سماه
جهوداً وتنطعاً ثم استعان المتدينون على أعدائهم بربهم وانزوا عنهم في زوايا
الخمول والتواضع وتركهم في طغيانهم يعمهون وأولئك هم المشار اليهم
بقوله تعالى (الذين قيل لهم إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم

سوء وأتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم)
 وأما المتفلسفون فقد استعانوا على المنديين بالسندهم وبما جاء به
 القدر المقدور من مفهوم تهديد وعيد قوله تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً
 من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها) فكانوا أنصار الفلسفة التي
 كادت أن تذهب بالدين وأهله لولا لطف الله ورحمته وعنايته بضعفاء المنديين
 إذ حال بين الفريقين كما حال بين قيصر الروسيا وبين الخليفة الأعظم
 بالحاجز اليوناني والله لا يحب الممتدين

ولقد أيقن سفهاء الفلاسفة أنه لا رابطة بين السلف الصالح من هذه
 الأمة الحمدية وبين خلفهم في أمر الدين إلا دقة متابسة المتأخرين منهم
 للمتقدمين فيما توارثوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القول والحال
 والعمل وأن تلك المتابسة ما قويت إلا بمحبة الخلف للسلف واعتقاد صدقهم
 وأمانتهم وأنهم قوم صالحون وأن هذه المحبة ما استندامت وتتابعت آثارها
 إلا بإقامة شعائر التذكار عند مقابرهم وذكر مزاياهم ومحاسن أعمالهم
 وأحوالهم وما كان لهم من الكرامات فما وجد أولئك السفهاء طريقاً لحل
 تلك الرابطة إلا تقبيح تلك المتابسة والطعن فيها وتسميتها تارة تقليداً وتارة
 شركاً . ثم لم يجدوا ملجأً لقطع علائق تلك المحبة التي بين السلف والخلف
 إلا بتحريم زيارة قبورهم وجعل التوسل بهم إلى الله شركاً ومقت تقييل
 أئمتهم والمقاصير التي حول قبورهم إلى غير ذلك من التشنيمات التي جاء بها
 أولئك النحالون ايمصرفوا قلوب العامة عن تلك المزايا التي جمعت للدين في
 القلوب مكانة عظيمة وألحقت الخلف بالسلف في صدق الإيمان وقوة اليقين

ثم ايقنوا أنه لا رابطة بين العبد وربّه إلا القيام بواجبات الفرائض
الدينية واتخاذ النوافل سبيلاً إلى مرضاته وسبباً لمحبهه والتوصل إلى مصافاته
مع التودد إليه بكثرة الذكر . فقاموا في وجوه العامة منكرين كل ما ورد
من أحاديث الترغيب ثم قالوا ان كثرة الذكر مجلبة للجنون وأسروا لمن
تابهم من البسطاء أن الفرائض الدينية ليست تحت أهمية وأن الإنسان
حر لا يقيد بقيود من القيود لأنه فاعل مختار ذو عقل وإرادة وقدرة
واختيار لا يقبل التكليف وذلك هو الضلال الحرمانى والكيد الشيطاني

ثم ايقنوا أنه لا رابطة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته إلا
ما جاء به القرآن الحكيم من الأمر بالصلاة عليه ومن طلب المودة في
القربي وعلموا أن أقوى رابطة ودية بينه وبين المقصرين منهم هي أنه
الشفيع المشفع وأنه الواسطة المظمية بين الله وبين عباده فأجهدوا نفوسهم
في إنكار الشفاعة والوساطة واستهزؤا بالذين دأبوا على كثرة الصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى محبة آل بيته الأطهار وجأؤا بما
ساعدتهم على الإتيان بهسيات ظنونهم من التوبيعات الزيفية والتضاللات
المناسفية وتفتنوا في ذلك كل بمقدار ما أوحى إليه شيطانه من زخرف
القول وسوء الظن وفساد الإعتقاد وإن الحق ليناديهم من وراء تلك
التمويهات بقوله تعالى (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرادكم فأصبحتم من
الخاسرين) ذلك لأنهم ظنوا أن الله لا يقبل الشفعاء ولا يرحم أحداً من
المذنبين إكراماً لأحد من المحبين وهذا هو الظن المهلك والمكر السيء
الذي لا يحق إلا بأهله وكفى بالباغين مقتاً ووبالاً وقوعهم في مصارع بغيرهم

وفيا ادخره الله لهم من الخزي والأخذ الويل وناهيك بمن لا يهادى غير
الضعفاء ولا يحارب إلا الأتقياء ولا ينقض إلا أهل الإيمان ولا يؤذي
إلا كل ذي عمل صالح ودعاء مستجاب من أرباب المهائم الذين استهزؤا
بهم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون والله ذو القائل
أتهمزاً بالدعاء وتزديده * وما تدري بما صنع الدعاء
سهام الليل نافذة ولكن * لها أجل والأجل انقضاء
ولقد أحدثت تلك الأضاليل وهاتيك التمويهات في قلوب كثير من
طلبة العلم وتلامذة المدارس ومن أغبياء الأغنياء شبيهاً وشكوكاً ذهبت بهم
في فساد العقائد إلى مذاهب لم يستطع إبليس أن يسلكها بأحد من المتدينين
في ثلاثة عشر قرناً من الهجرة النبوية إلى ما قبل الفتنة الراشدة بقليل
فيا لها من فتنة علا دخانها وتطير شرورها وهوت بأهل الأهواء في مهواة
الزيف والزندقة أهواؤها حتى قست قلوبهم وفسدت عقائدهم وركنوا إلى
المنكرات وكبائر الفواحش فأصبحوا من أصحاب السعير وراء من تمدح بتلك
الفتنة المشؤومة حيث قال هذه نتيجة غرس غرسناه فأمر فما لبث غير
قابل حتى قطع الله لسانه وأخرج زائغات الآفاق من واسعات الأحقاد
وإنه لم يلب للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى
وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد)

ألم يأن لعقلاء الأمة الذين إذا سئلوا عن دينهم قالوا إنما نحن مسلمون
أن يتدبروا أقوال كل متكلم في الدين ثم يزنها بالموازين العقلية والشرعية
حتى يعلموا مبدأ كل قول وغايته غير مفترين بالمزخرف منها فإن من

الملابس ما هو من زخرف جميل حتى إذا عرض على الماء زالت زخرفته
 وبدأت لغسله عيوبه وإن من الثمرات ما هو نضر المنظر ولكن مذاقة حسنة
 (ومن الناس من يوجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه
 وهو ألد الخصام) ثم يطابقوا بين أحوال المتكلمين وبين الآداب الدينية
 فإن ناقص الحال إذا أوقف نفسه مواقف الارشاد كان ضرره أكبر من
 نفعه . ألم بأن للعقلاء إن جاءهم فاسق بنبأ ديني ان يتبينوا الحقائق
 ليتحفظوا من خباثات ما تورطه المارقون من الدين من أحوال الشبه
 والضلالات الزيفية التي تلقى بمن تورطها من جهنم في مكان سحيق
 ألا يعلم العقلاء أن السفه الذي جاء بعد ألف وثلاثمائة سنة ينادى
 بأن أهل التصوف مجانين وأنهم كانوا كروؤوس الشياطين وان الفقهاء
 لا دين لهم وان المشتغين بذكر الله أموات لا فائدة في حياتهم وان
 المتفلسفين الذين عابوا العلماء وازدروا الأئمة المجتهدين وسخروا بمن تابعوهم
 واستبدلوا الدين بالتمدن ثم تناولوا معلوماتهم من قوم كفار لا خلاق لهم هو
 العقلاء ما هو إلا المعتوه الذي لا يحسن ما يقول والأحق الذي لا يدري أنه
 أحق أما كان لما قل أن يقول له ما هو الدين الذي اعتنقته وما هي آدابك
 التي تأدبت بها وما هي المبادئ التي تتقرب بها إلى ربك إن كنت مؤمناً وما
 هي الماملات التي دأبت عليها فيما بينك وبين الله وبين الخلق فإن
 جاء ذلك المارق بغير ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الآثم الكفور
 وان ادعى متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاها إلا ممن طعن
 فيهم وازدراهم وقبح للناس متابعتهم فان كان الأول فهو الملقى بنفسه في

مهلكة قوله تعالى (ومن أظلم ممن افترى على كذبا أو قال أوحى إليّ ولم
يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) وإن كان الثاني فقد
أحاطت به دائرة قوله تعالى (يعرفون نعمة الله ثم يشكرونها) وأكثرهم
الكافرون (ألم يأن للفقراء أن يقولوا لذلك البهيم المنور أين كنت حينما
أجهد أفاضل المتقدمين نفوسهم في جمع ما وصل إليك من آثار النبوة
وآداب الشريعة وفي حفظه حتى وصل إليّ أهل زمك الذين أصبحت فيهم
شيطانا صريحا وما الذي حال بينك وبين من أياهم حتى فضلت عنهم كإرا
ما تناولوا منقولاتهم إلا عن اقوام ذوي ظنون فاسدة وأوهام باعثة ألم يأن
للفقراء أن يعلموا أنه لا رابطة بين سفهاء هذا الزمن وبين كفار الأزمان
الفائرة الا تشابه القوابل والاستعدادات المشار إليه بقوله تعالى (كذلك
قال الذين من قبلهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يفتقون)

ولقد كان من سيئات أعمال أولئك المفسدين أن أوقفوا بين
المتدينين وبين أرباب النفوذ من السياسيين حتى مقتوهم ونادوا عليهم
بأنهم أهل جمود وتنطع فتوهم المتدينون أن كل أورباوي إنما يميل على
هدم قواعد الدين وأركانه وأن الفلاسفة ما هم إلا مساطرون من قبل
الأورباويين كالمبشرين فلذلك كانت لهم المكانة المظلمة في قلوبهم

ثم ظن الأورباويون أن كل متدين يبغض كل أورباوي ويتنى له
سوءا فلذلك كان كل متدين عندهم ممقوتا وما كان هذا ولا ذاك إلا
من تدليس المتفلسفين ونشر اباطيل الاقاربيل التي آفوا بها أتقياء هذه
الامة واكابر علمائها ولو أن أرباب النفوذ من الأورباويين تحققوا ما عليه

المتدينون من سلامة القلوب وصالح النوايا والتباعد عن الفتن وصراعة
الذمم وحفظ الجوار ومسالمة القسور ونسبة العمل كله لله وعدم التعرض
للشؤون السياسية وعجبتهم لمن يعينهم على أمر دينهم لأحبوهم واتخذوا
الميل اليهم وسيلة الى استجلاب قلوب الأمة كما هي عادة الملوك وشأن كل
سياسي يرى الظلم فيجأ والعدل حسناً ويجب المسالمة ويبغض الغدر والخدعة
ولكن الفتنه الفلسفية قد حالت بين الفريقين (وكان أمر الله قدراً مقدوراً)

﴿ ايضا وتنبه ﴾

إنما أنكر السوءاء من الفلاسفة الروابط التي ذكرناها من قبل ثم عملوا
على حل عروتها الوثقى لأنهم وقفوا عند ضواهر المعلومات الطبيعية من
طريق النظر والاستدلال ولم تساعدهم الاستعدادات والقوابل على الوصول
الى العلم بما وراء العوالم الكونية فظنوا أن كل ما لا يدركه الحس لا وجود
له وأن كل ما لا يحيط به التصور لا يد وأن يكون مستحيل الوجود وهذا
هو الجحود الذي الجأهم الى الإصرار على أن الوجود كله طبيعي مركب من
عالمين علوي وسفلي والأول هو مصدر الأرواح والثاني هو منشأ الأشباح
وأن الأرواح من شأنها أن تعلم فإذا تفاقمت عن العلم حال ارتباطها
بأشباحها كانت معذبة بجهلها بعد انحلال تلك الرابطة وإن هي لم تتغافل عن
العلم كانت منعمة به بعد مفارقة الأشباح ولقد كان ذلك الطيش سبباً
لأنكارهم البعث والنشور بعدما أقام الله سبحانه وتعالى البراهين القاطعة
في القرآن الحكيم على أنه سيعيد الأجسام كما بدأها ولكن أهل الغرور
كذبوا ذلك وزعموا أن ما كان مبدؤه مادة كونية وغايته فساد طبيعي

لا عودة له ولا رجعة بعد فساد المادة وانحلال التركيب وإن هذا هو الضلال البعيد ولا ادرى كيف ساع لهؤلاء الضلال أن يكذبوا الله سبحانه وتعالى ورسله وكتبه مع اعترافهم بأن فوق كل ذي علم عليم وأنهم ما أتوا من العلم إلا قليلاً وأن أعقل العقلاء منهم لم يصل عقله إلى الإحاطة بمجائب جسمه علماً فكيف يتمكن من إدراك ما ليس له به علم أو ليس الذي أوجد المادة التي كان منها التكوين يقادر على إعادة ما بعد فسادها كلاب هو القادر وقد أقام أقوى الحجج والبراهين على اقتدار قدرته وإتقان تصرفات حكمته ولكن سفهاء الأحلام وأسراء الفروور من عاداتهم إنكار كل ما جهلوه كما أنكروا كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء ولكنهم ما وجدوا من أنفسهم قدرة على مقاومة الرسل وعلى إنكار ما جاءوا به من الحق المبين فاعترفوا قهراً بأن للكون موجداً ولكنه لم يكن كما يقول المتدينون مع أنهم إن سألوا عنه لقالوا أنه هو مرسل الرسل ولكنهم يقولون بالاستنهم ما ليس في قلوبهم وذلك شأن المدعي الذي لا برهان له إذا أخجله الخزي وعجز عن إثبات ما يدعيه فلذلك قالوا بأن هناك دين ولكنه غير دين المتدينين وما ذلك إلا ليقعوا في قلوب الغافلين الشك والارتباب ومتى حصل الشك بطل اليقين ومتى بطل اليقين ضاع الإيمان ومتى ضاع الإيمان أصبح الإنسان فيلسوفاً منوراً تجميع به نفسه وفكرته حيث شاء الهوى وهذا هو المسلك الذي نهى الله عنه أنبياءه بمثل قوله لداوود عليه السلام (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) وقوله (لموسى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردي) ولقد مدح محمد صلى الله عليه وسلم

بقوله (وما ينطق عن الهوى)

ثم ما حمل القوم على اجتهاد نفوسهم في تمزيق شمل تلك الروابط الدينية الا شدة الخزي والحجل الذي التحق بأسلافهم من قبل فانهم علموا من قرأئ الأحوال أن العالم الذي لم يعمل بمله في جانب العالم المامل كالمذرة المجاورة للرياحين وأن الناس وإن كانوا على جانب عظيم من الجهل لا يميزهم التمييز بين العالم المحبوب لربه وبين الممقوت المبغوض عند مولاه فلذلك اتخذوا سبيل السفسطة مهرباً من كآبة الخزي والحجل حتى لا يظهر للناس كفرهم فيمقتوهم ولكن المسببات رهينة أسبابها فكما أن الحياة سبب للموت فكذلك الفسوق سبب للخزي والحجل وقد قال الله تعالى لنبيه (قل إن الموت الذي تفرئون منه فإنه ملائكم) فكذلك لا بد من الخجل والخزي لمن انكر الحق وتمسك بالباطل ولا حق الا ما جاء به الرسل ولا باطل الا ما يخالفه وسيأتي بيان ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الإجمال والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم أيها المغرور ان كنت الذي * لم يزل في الناس يسعى بالفساد تدعي العلم على جهل وما * صح اعجاب به علم يستفاد ليس ما تعلم علماً نافعاً * انما العلم قرين للرشاد وهو موهوب من المولى لمن * فاز بالفضل بما فوق المراد تالله لقد أضرت بالقوم زخرفة الاقوال . وغفلتهم عما هم عليه من سياآت الأحوال . وما ذلك الا لاستحكام القسوة في قلوبهم . وعي ابصارهم عن عيوبهم وذلك والله هو الخسران المبين . فما مثاهم إلا كش

الذنوة يدعين كمال المعرفة وهن نافسات عقل ودين . ومع قذارة الحيض
 يتبرجن ويتزين بأنواع الزينة للناظرين وما فوق وخرفة المقال غرور .
 ولا وراء رضا الأحمق عن نفسه شرور . وهذا هو الوبال الذي مقتته القرآن
 وحذرت منه الحكماء ونهت عنه الأتقياء . قال ابن عطاء الله السكندري
 رضى الله عنه اصل كل مصيبة وغفلة وشهوة الرضا عن النفس وقال لأن
 تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالماً يرضى عن
 نفسه ثم قال فأي علم لعالم يرضى عن نفسه وإى جهل لجاهل لا يرضى عن
 نفسه وقيل لأبي يزيد البسطامي متى يبلغ الرجل نهاية الوقار والتواضع فقال
 إذا لم ير نفسه مقاماً ولا حالاً ولا يرى أن في الخلق من هو شر منه وقال
 رجل لأبي حامد أحمد ابن خضرويه أوصني فقال له أمت نفسك حتى تحيى
 وقال أبو حفص عمرو ابن سلمة ألتفت إلى نفسك كلها ظلمة وسراجها سرها ونور
 ذلك السراج التوفيق فمن لم يصحبه التوفيق في سره كان كله ظلمة وما
 أسرع هلاكه من لا يعرف عيب نفسه وقال رضى الله عنه من لم يتم نفسه
 على دوام الأوقات كان مغروراً ومن نظر إليها باستحسان شيء منها فقد
 أهلكها من حيث لا يشمر وقال أبو علي أحمد ابن عاصم الأنطاكي رضى
 الله عنه إذا أردت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك واعمل على أنه
 ليس في الأرض غيرك ولا في السماء غير الله يريد رحمه الله بذلك أن
 لا يشتغل الإنسان بعيوب غيره فإن الإنسان إذا لم يوقفه الله على عيوب نفسه
 ودسائسها ينفضي عمره وهو جاهل بنفسه فكيف به إذا اشتغل عنها بعيوب
 الناس وقال منصور ابن عمار رحمه الله سلامة النفس في مخالفتها وبلاؤها في

متابعتها وقال ابو صالح حمدون ابن احمد القصار رضي الله عنه من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون فقد تمسك بمروة الكبر من حيث لا يشعر وقال لأصحابه من استطاع منكم ان لا يمي عن نقصان نفسه فليفعل وقال نهاية معرفة الإنسان نفسه ان لا يرى أن لأحد عنده حاجة لا في الدنيا ولا في الدين لأن من يرى أن الناس في احتياج إلى إصلاحه وإرشاده فقد انزل نفسه منزلة لا يستحقها وكان من المتكبرين وقالوا ابو عثمان سعيد بن اسماعيل رضي الله عنه لا يتردد العجب الا من رأى النفس والتمدح بأعمالها وقال الخوف من الله يوصلك الى الله واعجابك بنفسك يقطعك عن الله واحتقار الناس في نفسك مرض عظيم لا يد اوى وقال من جل مقداره في نفسه صفرت أقدار الناس عنده ومن صغر مقداره في نفسه جات مقادير الناس في قلبه وقال من رضي عن نفسه كان العجب ضجيجه وقال علي رضي الله عنه الإعجاب عذو الصواب وآفة الألباب وقال الفيض ابن عياض رضي الله عنه من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب وقيل له ما التواضع فقال

أن تخضع للحق إذا صادم أغراضك وهواك وقال ابو سليمان عبد الرحمن ابن عطية الداراني رضي الله عنه من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة العبودية وقال ابو علي احمد ابن عاصم الأنطاكي رضي الله عنه من علامة جهل المريء بنفسه أن يكون قليل الحياء والخوف وقال منصور ابن عمار الناس رجالان عارف بنفسه فهو مشغول بمجاهدتها وتهذيبها وعارف بربه فهو مشغول بخدمته وخشيته ومن لم يكن كذلك فهو الظالم

الجهول قال الجنيد رضي الله عنه قت لو ردى ليلة من الليالي فلم أجده ما كنت أجده من الحلاوة فأردت أن أنام فلم أقدر وأردت القعود فلم أطق ففتحت الباب وخرجت فإذا أنا برجل ملتف في عباءة مطروح على الأرض فلما أحس بي رفع رأسه وقال يا أبا القاسم إلى الساعة فقلت ياسيدي على غير موعد فقال بل سألت بحرك التلويح أن يحرك لي قلبك فقلت وما حاجتك إلي فقال متى يصير داء النفس دواها فقلت إذا خافت هواها صار دواها ودواها فقال لنفسه اسمعي قد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيت إلا أن تسمعيه من الجنيد وقد سمعت ثم انصرف عني وما عرفته وقال أبو عثمان سميد ابن اسماعيل ابن سميد ابن منصور النيسابوري رضي الله عنه من أمر السنة على نفسه قولاً وعملاً نطق بالحكمة ومن أمر هواه على نفسه نطق بالبدعة واعتنق الباطل وهو يظن أنه على الحق ثم استشهد بقوله تعالى مشيراً إلى نبيه (وان تطيعوه تهتدوا)

وقال أبو الفوارس شاه ابن شجاع الكرمانى ما أعجب عبدٌ بنفسه إلا وهو محبوب عن ربه . وقال محفوظ ابن محمود رضي الله عنه وكان من أصحاب أبي حنيفة النيسابوري رضي الله عنهم لا تزن الخلق بميزان نفسك وزن نفسك بميزان أتقياء المؤمنين لتعلم فضلهم وإفلاسك وقال رحمه الله من ظن بمسلم فتنة فهو المفتون وقال أكثر الناس خيراً إسلامهم صدراً للمساءين وأكثر الناس شراً أعلمهم بميوهمهم وقال من ابصر محاسن نفسه ابتلى بمساوى الناس ومن آثم نفسه شغلته عيوبه عن عيوب غيره . وقال أبو بكر محمد ابن حامد ابن محمد ابن اسماعيل ابن خالد الترمذى

ما استصغرت احداً من المسلمين الا وجدت نقصاً في ديني وشرقي . وقال
ابو علي محمد ابن عبد الوهاب المتقي لاشيء أولى بأن تزجره من نفسك
ولاشيء أولى بأن تغلبه من هواك . وقال ابو عبد الله ابن منازل من رأى
نفسه عند الناس منزلة يجب عليه ان يحتقرها والاهلك من حيث لا يشعر
ومن رأى نفسه فوق غيره فهو من الجاهلين ألا ترى أن ابراهيم عليه
السلام لما اتخذه الله خليلاً قال (وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) وما
اغتر بالخلة ولا رأى نفسه فوق بنيه في المنزلة

وقال رضى الله عنه افضل اوقات الإنسان وقت سلم فيه من إعجابه
بنفسه ووقت سلم الناس فيه من سوء ظنه . وقال ابو الخير الأقطع
المروفي بالتباني الدعوى رعونة في النفس لا يحتمل القلب إمساكها فيلقها
الى اللسان فتتطابق به السنة الحقاء فتردها العقلاء وتقبلها المجانين ثم قال
ان الاعشى لا يعرف ما عرفه البصير من محاسنه وقبحه . وقال ابو الحسن
على ابن محمد المزين المعجب بعمله مستدريج والمستعجب لشيء من احواله
مذكور به والذي يرى الناس دونه احمق والواعظ بغير ما جاء به رسول
الله صلى الله عليه وسلم مفسد والدال على الدنيا شيطان والواقع في اعراض
المسلمين سفيه ممقوت

فلو ان العقلاء تفقدوا نصائح السعداء الأتقياء الأمناء الذين استأمنهم
الله على اسرار حكمته وجعلهم اعلام المسترشدين الى سبيل رحمة لتبينوا
الاصراط المستقيم ولتحققوا احوال النصحاء وهبوا بين الغاش المخادع
وبين الأمين الناصح ولو انهم تفطنوا لما كان في زخارف هاتيك الاقوال

من التوبيعات الزينة والفسائس الفلسفية التي اتخذها اسلاف المتفلسفين
 معاويل لهدم الاساسات الدينية ومطايا لضعفاء الايمان من اتباعهم
 ليتورطوا بهم أو حال الشكوك ويوقعوهم في مهواة الشبه لأخذتهم الرأفة
 بسطالة العامة وأغبياء الأغبياء الذين نسفت تلك التوبيعات عقائدهم الإيمانية
 نفساً فأصبحوا لا يتحاشون الكبائر من الذنوب ولا يفارقون صفاتها حيث
 لا خوف من الله ولا حياء وقد تجاهروا بالمصيان وتباهوا بالمخالفات فتراهم
 لا يستعملون في شتمهم الا سب الدين ولا يميزون في مجتمعاتهم غير اتقياء
 المسلمين ولا لجأهم الحنان الى مقاومة هاتيك الفتن التي ساقط الأمة الى
 النقائص سوقاً وألهمهم عن مزايا الكمالات فأصبح النبيه الخافض منهم
 لا يبتدى الى الكمال سبيلاً كما يراه الراؤون ويسمعه السامعون وهم يظنون
 أنهم هو الكمال الا فضل وأن ما هم عليه من دنائة الاخلاق وسفاسف
 الامور هو الكمال والادب ومن يضل الله فما له من هاد

فلنترك الماضي بماضيه الذي امضاه الله فيه من عجائب تدبيره
 وغرائب حكمته التي حيرت الالباب ومن عمل قدرته التي من شأنها ان تحول
 بين المريء وقلبه وتزيين لكل عامل عمله الذي خصصته له الإرادة الازلية
 لكيلا يألوا جهداً في أداء واجباته حتى وإن كان في اعين الناس قبيحاً وانها
 لتأخذ بمنخلق اهل الضرور والطيش وان كانوا علماء الى مصارع الهلاك من
 قبائح الاعمال وسيات الاقوال وهم يحسبون انهم يحسنون صنفاً فيكون
 مشاهم كمثل الذباب الذي يتراعى على ما فيه حتفه وما ذلك الا من عمل الأقدار
 وتدبير الواحد القهار وما من عاقل الا وصرت عليه شؤون في ظروفه

الزمانية لو أنه تأملها لكان ذا شعور تام بأنه مقهور للقدره بأسرور الإرادة
ولكن أكثر الناس لا يشعرون

ثم ننظر في حكم الحال وأحواله والوقت وأهواله والزمن الحاضر
ومحدثات أعماله ثم نبسط شكوانا لمولانا الملك القدير ونستنجد من جور جنود
الزيغ وحلفاء الفاسفة بكل عليهم وخبير عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر
من عنده فيندم المفرور ويسكن غضب الطائش ويهتدي الضال المفتون
بنفسه إلى الصراط المستقيم . ولعل العلماء أن تهب ريح نشاطهم من ذلك
الهدى الذى يظنه السفهاء من الناس أنه استغراق في مضاجع الغفلة عسى أن
تقوى بهم قوا ثم الحق وترفع بهم اعلامه فإنهم نجوم الهدى ومصابيح الظلمات
الزيغية وما آتاهم الله العلم الا يعملوا فينفع الناس علمهم وعملهم اذ العالم
لا يقوى على مقاومة الباطل الا بربه وان ينصره الله الا اذا كان لله ناصرًا
وما كان نصر العالم لله الا باعلان كلمة الله ولا يقوم باعلاء كلمة الله من العلماء الا
من كان وارثا لرسول الله في القول والحال والعمل ومن لم يكن كذلك كان
ضرره أقرب للدين من ضرر الجهلاء

الا يرى العقلاء من العلماء ان الفرور التي كان فيها المسلم معصوبا بالعدل
كانت الهداية فيها أقرب الى القلوب من الزيغ والفرور . واليوم قد أصبح
الفرور والزيغ اقوى سلطانا وارفع من الرشد بنينا فلو ان تقبيل النمل يجدى
نفعا لقبلت اقدام العلماء ونعال الفضلاء منهم ليقفوا بين يدي مولا هم موقف
الإنابة بلسان الحال لا بلسان المقال قائلين (ربنا لا تجعلنا فتنه للذين كفروا
واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم) وليدفعوا بصالح اعمالهم عنا عوامل

الإِستقام والنضيب التي اطرائت اليها افئدة المفتونين الذين يعدون النقم لهما
 ويظنون ان الله اختص اهل هذا الزمن بالحضارة والتمدن حتى استنارت
 بصائرهم وما علموا أنهم فيما افتتنوا فيه اسوأ حالا من قوم موسى الذين افتتنوا
 بعجلهم والذين قالوا له اجعل لنا إلهاً كالهم آلهة لأن الذي يتوهم ان كثرة
 الفجور وانتشار الفواحش والتباعد عن العبادات والتجاهل بالزور والبهتان
 والتلاعب بآيات الله والركون الى ضلال الطيبيين وكثرة الخط الذي كان
 سبباً لفساد العقائد ونشر الميوب المكذوبة ويظن أن ذلك وما فوقه من
 النقائص تنور وتقدم في المعارف والعلوم فاهو الاضال وزنديق ولا دين له
 ولا إيمان وإننا لنقبل اقدم العلماء ليستعينوا بالله ويلجأوا اليه سرا وعلاية فإنه
 تبارك اسمه وتعالى جده اذا علم من عباده العلماء الهف والضجر والحرص على
 الدين والتمسك بسنة رسوله لا يسامهم الى السفهاء ولا يسلط عليهم اهل الاسانة
 فانه جل شأنه ما أعطي السفهاء المقال وسلهم محاسبن الأحوال الا ليجعلهم
 سوط عذاب لكل عالم لم يعمل بعلمه فليجأ العلماء لربهم والبناودة بما نادته
 به أم المؤمنين فيمن ظلمها حيث قالت : اللهم ياسامع النقم يادافع النقم يا فارج
 النقم يا كاشف الظلم يا اعدل من حكم يا حسيب من ظلم يا ولي من ظلم
 يا أولاً بلا بدايه وآخر بلا نهايه يا من له اسم بلا كنيه اجعل لي من امرى
 فرجا . وليدعه منهم من غلبته شهواته وتسلط عليه شيطانه بما دعاه به
 الإمام الجيلا في سيدى عبدالقادر بقوله يارب عبدك قد ضاقت به الاسباب
 وغلقت دونه الابواب وتمذر عليه سلوكك طريق اهل الصواب وزاد به
 الهم والنقم والاكتئاب وانقضى عمره ولم يفتح له الى فسيح تلك الحضرات

ومناهل الصفو والراحات باب وانصرفت ايامه والنفس راقمة في ميادين
الخفة وذنى الاكتساب وانت المرجو لكشف هذا المصاب يا من اذا دعى
اجاب يا سرير الحساب يا رب الارباب يا عظيم الجناح يا كريم يا وهاب رب
لا تحجب دعوتي ولا ترد مسألتي ولا تدعني بحسرتي ولا تكني الى حولي
وقوتي الى آخر ما قال ومن اراد ان يعلم كيف كان موقف الأدياء بين
يدي ربهم فليتنقذ بقية هذا الحزب المسحى بحزب الشكوى واليتبع اواراه
الصالحين ولقد قال ذلك العارف في هذا الحزب الشريف رب ارحم من
عظم مرضه وعز شفاؤه وكثر دأؤه وقل شواؤه وضمفت حيله وقوى بلاؤه
وانت عاجؤه ورجاؤه وعونه وشفاؤه يا من غمر العباد فضله وعطاؤه ووسع
البرية جوده ونماؤه الى آخر ما قال وقال آخر

عدت المادون وجاروا * ورجعونا الله محجيراً

وكفى بالله ولياً * وكفى بالله نصيراً

وانا اسأل ربى بكل ما سأله به السائلون وادعوه بما دعاه به الداعون
واتضرع واتهل اليه بما اتهل به المتهلون ان يكشف عني وعن المسامين
من بقية امة محمد صلى الله عليه وسلم غمة الزيف ومصائب الزلل وان يوفقنا
وياهم الى خير حال واحسن عمل وان يصرف عن قلوبنا سهام السنة الزائغين
وان يقوم احوالنا واعمالنا بمتابعة اصحاب الصراط المستقيم ان ربى لطيف
لما يشاء انه هو العليم الحكيم

وانادى اهل الآداب . واولى البصائر والالباب . قائلاً يا ذوى
الأذواق السليمة ويا اصحاب الضمائر الطاهرة ويا اولى الأراء الصائبة

ويا اهل الشهامة والروعة ويا قويا الايمان واليقين . ويا كابرمة خير النبيين
وخاتم المرسلين رُحِمَاكم ياليتني العواطف وأرقاء القلوب أقبلوا قلباً بمقلب
على حجر الضجر ويشكوا ألم المناوئتين بالهيب الوهم والهم . وانه ليكاد أن
يتميز من الغيظ والغم لانه لا نهاية لما هاله اذا لم تجدوه ولا مخلص له من
أحواله ان لم تجدوه . فيا اهل الايمان ويا أيها المتمسكون بآيات القرآن
أغثوا طُوف فؤاد احتوشته موحشات التضليل وأحاطت به من كل
جانب جنود الزيف والباطيل حتى اصبح لا يجد مهرباً اقرب من الموت
ولا يخاف غير غوائل الضياع والفوت ولقد ألقت به في تيه الحيرة وخارف
اقوال الأحداث من المتكلمين وتشعبت به في طرق الاستدلال دسائس
تمويهات سفهاء المصلحين وهالاً يا اهل الآداب الذوقية بن أيديكم امثل
لكم حال المتحير الباهت والمزعج المتهافت فاني لا ادري على أي دين من
الاديان وعَظَّ هذا الزمن المشؤوم والى أي غاية يسارع مرشدهم المنهزم
والى أي مذهب يوثق احدهم ان يذهب بنا حتى تكون الناس فيه امة واحدة
فان كانوا داعين الى الرشاد فقد أخطأوا سبيله فولا وعملوا وما تحول حالهم
الا الى اسواء حال من احوال الأمم الماضية والقرون الطاغية وما بينهم وبين
الكفر الاحاجز الحياء وخوف الافتضاح وان كانت دعوتهم الى سبيل
آخر فلماذا لم ينباعدوا عن النديس والتمويه حتى يتبين الدين الذي هم
داعون اليه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة حتى لا يكون
عليهم تبعه في اضلال من هجر دينه واتبع أهوائهم ولماذا لم يجاهرُوا بما
أكفوه من النوايا في اكنة صدورهم اليس الله ب قريب عليهم ألا يعلم من

خالق وهو اللطيف الخبير ألاهل يظن الغاؤون ان القلوب تفاتت من قبضة
مقابلها الذي يحول بين المرى، وقابه أما قرأوا قوله تعالى (من يهدي الله
فهو المهتدي ومن يضلل فان تجده له وإيامر شداً) ولقد دلت آيات القرآن
وحوادث المبر على ان الهدي هدى الله وانه هو مقاب القلوب وان المرشد
ما ييده من الهداية والتوفيق شيء وما ييد الغوى المضل من الإضلال شيء
قال الله تعالى لنبيه (ان تحرص على هدايتهم فان الله يهدي من يشاء) وقال له
(إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) وقال للشيطان
(ان عبادى ليس لك عليهم سلطان) وقال ابليس لعنه الله لرسول الله صلى
الله عليه وسلم يا محمد خلقت للهداية وليس بيدك منها شيء و خلقت للغواية
وليس بيدي منها شيء فهل يظن أولئك الضلال انهم يستطيعون جمع
القلوب على هجر المناسك الدينية واعتناق الأوهام الفلسفية والظنون الطيشية
إلا أن يشاء الله فتنة عباده ان هذا والله هو الضلال البعيد

أيها العلماء القادة والفضلاء السادة اني وانا العبد المذنب الحقير بكل
أدب واحترام ألقى بين يديكم نصيحي راجياً ان تقبلوه فاني خادم نعالكم
وحارس رحلكم وانكم الى المرض على الله لظاعنون وعلى كل قول وعمل
لمسؤولون سادتي ان الله سبحانه وتعالى لا يحب العالم الا لعمله ولا يحب
من الرجال الا لخصاله والعالم الذي لم يستعمله علمه كالبئر المظلمة وانكم
لتعلمون أن الله سبحانه وتعالى يحب معالى الامور ويكره سفاسفها وما هي
الا ما عليه أحدائكم منما انتقدكم فيه المنتقدون واعترض به عليكم المعترضون
وما ألسنة الخلق الا أقلام الحق وان العالم اذا أهان علمه فما أهان الا نفسه

وإذا استخف بنظر الله سبحانه وتعالى إليه وهو على حال ثبوت فقد سقط
 من عين ربه ومن يهين الله فماله من مكرم الا ترون ان الله سبحانه وتعالى
 يمد كل طالب بما طلب على قدر ماله من الاستعداد والقبالية وقوة العزم
 ومثانة الحزم وما كاد اعداؤكم أن يظهروا عليكم الا ببعض خصال يحياها
 الله سبحانه وتعالى وأبوا عليها وإن لله سبحانه وتعالى من تدبير حكمته
 وتصرف إرادته لتأييد المقول فقد عمل الفاجر لكي يجري على يديه أي
 شأن يريد إذ الفساد العام لا يقاوم الصلاح العام إلا بقوة المفسدين وضعف
 المصلحين وبالعكس وإذا كان في الغالب منكم من ضعف الهمة ودنائة
 الاخلاق ما كان سبباً لظهور الفساد وتظاهر المفسدين حتى كان ما كان
 مما يبصره المبصرون فلو لا أن الله سبحانه وتعالى علم منكم ضعف اليقين
 ونقص الإيمان وفساد الأحوال وإضاعة النسك ومخالفة السنة لما نزع
 من القلوب محبتكم ولما سلب عنكم ملابس الهيبة والوقار فالجأوا إلى ربكم
 واستقبلوا من ذنوبكم واعتصموا بحبل الله المتين وتمسكوا بسنة سيد المرسلين
 وتدبروا قول الله تبارك وتعالى (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن
 يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) واقبلوا معذرتي فإنه يضيق صدري
 ولا ينطلق لساني من عمل أحداثكم الذين لا تخلوا منهم مواطن اللهو ولا
 تجهلهم بأعة الخمر فوالله لو أنكم كنتم رجال الدين ونصراءه لما كان منكم
 هؤلاء الأحداث السفهاء الذين أضروا بالدين ضرراً بليفاً وذلك لأن الناس
 توهموا أن الدين ما هو إلا ما أتم عليه فاتخذوه هزواً ولعباً وقد اتحل
 السفهاء لهم ديناً آخر وهو ما عليه المتفلسفون الآن فلو أنكم أقمت شعائر

الدين وأحييتم سنة سيد المرسلين لكنتم بدور الهدى ونجوم الإقدي
ولكن الله فعال لما يريد

اللهم لا أضام ولك الأمر ولا أفتقر وأنت الغني ولا افتضح وأنت
الستار ولا أعذب بالنار وأنت ارحم الراحمين إليك انتهت الأمانى
يا صاحب العافية

ألا هل من ذي وقار يرى الحق حقاً والباطل باطلاً فينادى الذين
هائموا من قومه في أودية الغرور ان هلموا إلى طريق الهدى قبل أن
تهلكوا ألا هل من ذي بصيرة نيرة تستكشف خبايا ظلمات هذه الشبه
الزيفة فيبين للناس حقائق منازل إليهم من الهدى والفرقان ألا هل من
عافل ذي قوة غالبة وهمة عالية وبأس شديد يكف عن معالم الرشد معاويل
هؤلاء المضلين ويدع عن الرشاد نهشات المتكالبين من أهل الزيف والزندقة
ومناوشات سفسطة المتفلسفين ألا هل من ذي أصل كريم وقلب رحيم
وخلق عظيم يوقف ذوى اللسان من الأحداث عند حدودهم حتى لا يفتقوا
مواقف الأنبياء ولا يدعوا سفهاً وطيشاً أحوال الأتقياء ولا يمشون في
أرض الغرور مرحاً ألا هل من امام تقي وعالم رباني يسلك بالمسترشدين
من هذه الأمة صراطاً سوياً فينادى أهل الإيمان بما ناداهم الله به في مثل
قوله تعالى (سارعوا إلى مفارقة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض
أعدت للمتقين) ألا هل من ذي صوت مسموع يذكر الغافلين بقول الله
تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة
عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤصرون)

الاهل من رجال عقلاء يتساءلون فيما بينهم عن اسباب انتشار الفتن الدينية
 وصمد هؤلاء السفهاء الناس عن عوائد اسلافهم ونهيهم عن التمسك بنسك
 دينهم حتى اذا اطلع على تلك الاسباب السيئة من شرافات الأفكار الفيرة
 وعلم أن الباعث الذي بعث مبشري المسيحين على السعى في الارض فساداً
 هو الذي بعث هؤلاء الضلال على الإضلال بدعوى الانتصار للدين والشفقة
 على المسلمين ينادى في الناس بأنها فتنة ضارة واعمال سيئة محزنة وماهي
 بسارة فقد جعلوا الإسلام والمسلمين ضحية أغراضهم وأغراض المفسدين
 والناس عن دسائس تدليسهم وزخرفة أقوالهم غافلون ألا هل من قوم عقلاء
 يقوّمون اعوجاج الذين يزعمون الإصلاح من الأحداث حتى تهتدى بهم
 الأمة إلى سبيل الرشاد ألا هل من مرشد ينادى في الأمة إن هؤلاء السفهاء
 يريدون أن يرثوكم عن دينكم إن استطاعوا الا هل من علماء يشعرون
 من طريق التذكار والتفقه في الدين بزجر قول رسول الله صلى الله
 عليه وسلم اذا ظهرت البدعة وسكت العالم فعليه لعنة الله ثم يفقهوا عن الله
 خطابه في مثل قوله (إنما يخشى الله من عباده العلماء) فيفتدوا من لعنة
 ربهم بدفع هذه الشبه التي جمات كثيراً من البسطاء بما خالط قلوبهم من
 الارتباب حول جهنم جثيا لا حول ولا قوة الا بالله أما للناس عقول تدبر
 أما للناس مخيلات تتفكر وتتبصر أما للناس قلوب تخاف العذاب الأليم أما
 للناس بصائر يميزون بها الطريق المموج من الصراط المستقيم اما في الناس
 من يدري مسالك الكمال كيف تكون الا هل يستوى الذين يؤمنون
 بالله والذين لا يؤمنون كلا سيعلون ثم كلا سيعلون

أقول هذا وما وراءه وأنا المؤمن الموقن بصدق قوله تعالى (وأولئك
ربك جعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك
خلقهم) تمت كلمة ربك لأنهم من الجنة والناس اجمعين (ولكني
أقف مواقف الأدب في مواطن الرجاء والخوف متحققا بقول القائل رضى
الله عنه إلهي إن اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك
العارفين بك عن السكون إلى عطاء والياس منك في بلاء فأضرع إلى ربي
في نيل ما أرتجيه وأعرض عن مسامع العقلاء لأمر الذي اشتكيه قائلا
أيها العقلاء إليكم أشكوا أليم طعنات الفاضل الأديب فريد وجدي
صاحب المقالات المحررة في جريدة المؤيد التي صدرت في يوم الاثنين ٢٢
جمادي الثانية تحت عنوان بحثي اليوم وفي يوم الثلاثاء ٢٣ منه فقد احزنت
قواد كل مؤمن يخاف الله واليوم الآخر ولقد أحبت أن أختلي به خلوة
لتجاذب أمور اخفاء التوبيخات الزبغية عن وجوه الحقائق الدينية ليعلم أنه
طعن في غير مطمئن وليتذكر أنه هو النافل عن قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت
فيهوى بها في النار سبعين خريفاً وعن قوله وهل يكب الناس على مناخرهم
في النار إلا حصائد ألسنتهم وليعلم أن الدين الذي عابه ما هو إلا الصراط
المستقيم المذكور في قوله تعالى لنبيه (وإنا لك لتهدى إلى صراط مستقيم
صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور)
وليس صراط الله المستقيم إلا ما شرعه لعباده وليعلم أنه لو عود لسانه قول
الخير لما طعن في الدين والمتدينين فلقد مر عيسى عليه السلام بخنزير فقال

له أنج بسلام فقبل له لم قلت هذا بالخير يوقل صلى الله عليه وسلم ما أريد أن
أعود لساني الأقول الخير وليعلم أن الشيطان قد أساء نصيحة الإمام محي
الدين ابن عربي حيث قال في وصيته واحذر أن تكثر أحمداً عن أهل
النبوة بذنب فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لأخيه
أنت كافر فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال والا رجعت عليه ومن كفر
مسلماً للإسلام فهو كافر يقول الله تعالى (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس
قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) ثم رجع عليهم بما قالوا فقال (ألا إنهم هم
السفهاء ولكن لا يعلمون) وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تظهر
الشبهة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك هذا إذا كان على حال مذموم فكيف
إذا كان مؤمناً موحداً عاملاً بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك
عقدت العزم والنية على أن أناصحه سراً وإذا به قد أحسن البلاغ في إعلان
الإستبداد بالرأي وأبان عن رغبته في إذاعة التشنيع والتشهير بالمسلمين
وأنه لا يقبل في أذاهم وفي محاربة دينهم شفاعة الشافعين فلويت عنان ذلك
العزم وعلمت أن الشاب شديد الغضب وسريع الانتقام شجاع خلوته غير
مبغض لخصوته وما ذلك إلا لتبعه المعلومات الفلسفية قبل أن تقوي قريحته
لوقادة فبادر بالانتقام قبل إسدائ النصائح المعتادة ولما كانت كلماته لا تخرج
عن معنى ما جاء به المتقدمون من المتفلسفين الذين حاولوا أن يطفئوا نور
الله بأفواههم وأبي الله إلا أن يضرب بينهم وبين المتدينين بسور له باب
باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله المذاب فلذلك لم أجد بداً من المدافعة عن
الدين ولكنني أقدم لذلك الفاضل مهنرتي فيما تدعوني إلى الإتيان به

ضرورة الدفاع من القول الذي ربما ظنه سيئاً وإني أعوذ بعالم السموات والنجوم
من أن أقصد مؤمناً بسبيء قول أو عمل غير أن الحرب الهائل الفجائي
يستدعي قوة الدفاع والفاظظة عند الجدل والله على كل شيء شهيد

قسم ذلك الفاضل الدين الإسلامي إلى أصول عامة تجمعها كما قال ستة
أبواب وزعم أن الدين ما جاء إلا داعياً إلى هذه الأصول الستة فكان مثله
مع الدين كمثل رجل جاء لتفهيم أناس ما هو الإنسان فقال لهم إن الإنسان
حيوان ذو أربعين وله ثوب يستره ورداء فوق كتفيه وعلى رأسه قلنسوة
سوداء وفي يده عصا ومن عرف الإنسان بغير ما عرفته به فهو جهول

أفمن كان هذا تعريفه الإنسان أفلا يكون الغالب على حاله أحد أمرين
إما أن يكون عالماً لا يحسن التعبير وإما أن يكون جاهلاً بما هو الإنسان
وكيف تركيبه وبما انطوى عليه ذلك الجسم العجيب التركيب وإنا لنجل
هذا الفاضل عن أن يكون موصوفاً بواحدة من الحالتين في أمر دينه وإنما
نقول إنه من قوم ما جهلوا كيف تأكل الكتف ولكنهم يهدون بما يقولون
تمهيداً لا غراض يرومون إدراكها وما هي إلا أن يكونوا أئمة يقتدي
بهم في طريق شرعوها لأنفسهم وراء الدين اتبعوا أهواءهم من قبل أن
يبلغ الهدى محله أعني قبل الرسالة المحمدية لأن الطريق الفلسفية ما هي
الطريق الدينية ولكن بينهما تشابه في بعض الشؤون العلمية التي تتعلق
بالأخلاق وما من طائفة من الطوائف تجنح إلى معارضة الأديان إلا أهل
هذه الطائفة ولكنهم يأتون بيوت الفتنة من أبوابها لأن قوة الدين
لا تقاومها قوة الظنون الوهمية فتراهم يدعون النصيح وهم يخادعون الله وهو

خادعهم ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ولكن هذا المفاضل لسلامة
 قلبه وحسن نيته يظن أن كل ناصح أمين وأن كل عالم على الرشيد مهيئ
 قال ذلك المفاضل في تقرير الباب الأول من الستة أبواب إن الله
 تعالى دعا الأمم لمعرفة أن الدين بسيط في ذاته وقد وإلى الله إنزاله على
 الرسل بالتعاقب في صورة واحدة ليبيد اللاحق يعني من الرسل ما بدله
 أتباع السابق من حدوده وأن الدين الإلهي الخالص لا يمكن الاختلاف فيه
 لبساطته ثم استشهد على ذلك بقوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى
 به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا
 الدين ولا تتفرقوا فيه) إلى آخر الآيات التي أوردتها متعاقبة وقال ثم دعاهم
 الله إلى الدخول في هذا الدين الطام الذي جاء لتوحيد سائر الأديان
 والإيمان بسائر الرسل الذين أرسلوا لبني الإنسان وطلب إليهم أن يقولوا
 (آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب
 والأنبياء) إلى آخر الآيات الكريمة التي أوردتها ثم قال إنه قرر للناس
 كافة أن الدين كله كلمتان مجوشتان في قوله تعالى (ومن أحسن ديناً ممن
 أسلم وجهه لله وهو محسن) وقرر أن معنى هذه الآية أن العبودية لله
 الحق والإحسان في القول والعمل

ثم قال في مقارنة هذا الباب في جريدة يوم الثلاثاء ٢٣ جمادى الثاني
 تحت عنوان بحثي اليوم أن الإسلام أتى لربط الشعوب جمعاً بإزالة ما بينها
 من الشقاق وأن المسلم يجب أن يكون من مدرّكاته وأعماله على نقطة
 الوسط ليكون علم هداية لغيره ثم استنتج من تلك المقارنة أنه لا يعرف

ما عرفه من الدين من المسلمين إلا أفراد يُحدّثون وأظنه يعني بهم المتفلسفين
ثم قال وأما بقية المسلمين فمشغولون عن هذه الأصول بتعليم بعض العبادات
وما يشاكلها إلى أن قال وصار المسلمون بعد أن كان الرجل من الصدر
الأول يعد نفسه حادثاً طبيعياً وناموساً إصلاحياً ساطعاً لآداء وظيفة عالية
هي أن يكون مؤدباً لغيره صار المسلمون الآن لا يدرون من أمرهم إلا
أنهم على دين من الأديان تفصيله عند علماءهم إلى أن قال وعجيب لمن يعالج
الأشياء ويقوم على حراستها أن لا يشتغل بإجابات تلك المماثلة والحراسة
إلى آخر ما جاء به

وهذه التوجيهات هي التي ملأت آذان الأمة من قبل وترونت بها
الصحف وانتشرت بها المقالات الفلسفية التي علم العقلاء نوايا قائلها
وتحققوا منها أحوالهم وما هم عليه ما كفون وعلموا الغاية التي كانوا يعملون
على الوصول إليها ثم استكشفوا مصادر البواعث التي بعثتهم على العناية
بذلك التديس وما في الأمة من يجهل ما كانوا عليه إلا الذين فسقوا
وأولئك هم أصحاب النار

وما أدري كيف ساع لهذا الفاضل الأديب أن يحضوا حذو أقوام
بين طريقهم وبين طريقة الرسل الأمد البعيد وبين حالهم وبين حال
المتدينين من الفرق كما بين الظلمات والنور وبين الظل وبين الحرور وما
أرادوا بتلك الأضاليل إلا صرف القلوب عن الإيمان بالقضاء والقدر وعن
محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبة السلف الصالح من بعده كما ذكرنا
في مبادي هذا الكتاب ذلك من طريق الوجهة الدينية التي هي عند

الفلاسفة خراف واكاذيب وعند المؤمنين صراط الله المستقيم . وأما من
الوجه السياسية فيصنعون بها قطع الملاقى بين المسلمين وأسرانهم وملاكهم
لظنهم أن الرابطة الدينية والإخاء الإيماني هو الباعث القوي الجامع لقلوب
المسلمين على ذلك الحنان والتآلف وليش ما كانوا يصنعون

ولنا على كلام هذا الفاضل ملاحظة ذوقية قبل أن نبين الخلاف الذي
بين مقاله وبين الحقائق الدينية ألا وهي أن القرآن الكريم ما أجاز الولاء
وروابط الإخاء لكل مؤمن إلا لإخوانه المؤمنين وما أجاز رعاية اليهود
إلا لأهل الذمة ولا دعا الأمم إلا لأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً
وكثيراً ما صرح باستحالة اجتماعهم على دين واحد وأما قوله (قولوا آمنا
بالله وما أنزل إلينا) إلى آخر الآية فذلك خطاب المؤمنين لتكميل
درجاتهم الإيمانية حتى يفوزوا بأجر الإيمان بكافة الرسل وبما أعده الله
لأئمتهم من الثواب لو أنهم آمنوا بهم وما هو بخطاب عام كما يدعي ذلك
الفاضل ولو كان كذلك لما قال الله تعالى (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد
استبدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق وما شرع الله سبحانه وتعالى لعباده
الإقتداء بالرسل إلا في الكمالات التي توصل إلى سعادة الآخرة وأما في
شؤون المعيشة الدنيوية فلم يجعل لها عناية في القرآن إلا من طريق بيان
ما يحل تناوله وما يحرم وذلك لأن تدبير الشؤون المعاشية إن كان من
شؤون الخلق فليس الإنسان بأقل إدراكاً من باقي الحيوانات التي تعيش
بالاعتماد في جلب المنافع الحيوية ودفع المضار لانا نرى من الطير ما يصنع
وكرّاً من الحشائش والأحطاب بشكل لو أراد الإنسان أن يصنع مثله

لا يحجزه ذلك وما ذلك إلا ليرك فيه أفراده إذا دعت الحاجة إلى تركهم فيه
وطالب الرزق وكذلك الوحوش والنبات والنحل وغير ذلك من الحيوانات
المحتالة على الرزق فما كان للحكمة الأولية أن تكون ذات عناية بأمر تعيش
الإنسان لأن ذلك يشمر بأنه أقل إهداراً كما من باقي الحيوانات التي هو مسلط
عليها وأما إن كان المراد أن يكون الإنسان علم هداية إلى الدين فذلك
لا يكون إلا لأناس أخيار أبرار أطهار كانوا لله فكان الله لهم مثل ما كانوا
له عملاً ورد في الكتب السماوية من الآيات التي من تأدب بها جعل
الله له نوراً يمشي به في الناس (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور)
فايتعقل العقلاء مقالة هذا الفاضل ليهتدوا إلى سواء السبيل

والقد اشتمل هذا الباب على استدلالات تناقض صراعه منها لأنه
إنما يريد الاستدلال بأن الدين بسيط لا يقبل الخلاف وأنه هو الدين
الذي رضى الله به نوحاً والأنبياء من بعده كما جاءت به الآيات التي أوردتها
على أن المسلمين لا يدرون من الدين شيئاً غير أنهم يعلمون أنهم على دين
تفصيله عند علماءهم مع أن الواجب على كل مسلم أن يكون علم هدى كما
زعم في مقارنة هذا الأصل وزعم أن الرجل في الصدر الأول كان يمد
نفسه حادثاً طبيعياً وناموساً إصلاحياً سلط لأداء وظيفته عالية هي أن يكون
مؤدباً لغيره إلى آخر مقال في تلك المقارنة

والذي يراه العقلاء أن الأصل الذي قرره وهو أن الدين بسيط في
ذاته لا يقبل الخلاف وأنه هو دين الرسل جميعاً لم ينطبق مفهومه على مفهوم
المقارنة لأن الآيات التي ذكرها لا تدل إلا على أن الله دعا الأمم لأن

يبدوه وحده وأن لا يشر كوا به شيئاً ومذهبه هي إقامة الدين وما اختلف
 فيها مسلم ولا أهلها من الأتقياء أحد وما في الآية التي أوردها ولا في جميع
 القرآن ما يفيد أن المسلم يجب عليه أن يكون حارساً لجميع الأمم عاملاً على
 مصالحها العمرانية بل ولا يجب ذلك على أئمة المسلمين لأن الله سبحانه وتعالى
 خصص لكل عمل عاملاً ولكل إنسان مرتبة وجودية تتوجه إليها قابليته
 واستمداده فليست مرتبة الأمير هي مرتبة الوزير ولا تتحد مراتب الوزراء
 وليست مراتب الوزراء هي مراتب العلماء ولا مرتبة العالم المحدث هي مرتبة
 العالم الفقيه ولا مرتبة العالم الفقيه هي مرتبة العالم الفيلسوف الذي لا عناية
 له بالآداب الشرعية ولا مرتبة العلماء هي بعينها مرتبة العوام المتعلمين
 ولقد جعل الله لمصالح الروابط الاجتماعية عمالاً يعملون عليها والمصالح
 الدينية عمالاً حتى في زمن الرسالة فما كان أبوا هريرة رضي الله عنه مثلاً
 في مرتبة عمر ابن الخطاب في النظر في الشؤون الإصلاحية ولهذا قلنا إنه
 كلام غير معقول لأنه إن قصد به كل مسلم كان مخطئاً لأن الله سبحانه
 وتعالى اقتضت رحمته وحكمته أن لا يكلف نفساً إلا وسعها وإن كان يريد
 العلماء فما هم مكفون بحراسة الأمم والنظر في مصالح العمران وإلا كانوا
 من أحمق لزعماء الإحتلال ولوزراء القطر وموظفيه وليس لصاحب عمل
 منوط به أن يهمله ثم يشتغل بما لم يكلف به من الأعمال وليس العمل على
 المصالح الدنيوية ولا النظر في شؤون سياسة الأمة أو الأمم من شؤون
 العلماء ولكنه من شؤون ولادة الأمور كما كان في عصر رسول الله والقرون
 التي بعده ولقد علم كل عاقل اليوم وقبل اليوم بزمع بعيد أن أزمة الأعمال

السياسية والشؤون العمرانية هي في أيدي أربابها وما على العلماء إلا النصيحة لولاة الأمور إن كانوا ممن يميلون للنصح ويحبون الناصحين ولكن الناصح الآن إن لم يكن عاملاً على ما يخالف الدين كان ممقتوتاً والمفتى لا يكون محبوباً ومحترماً إلا إذا أباح ما حرم الله إباحة اجتهادية لموافقة الزمان والمكان كما هو شأن كل متفلسف وهذا مما لا يرتضيه الدين ولا يأتيه المتدين وإن قطع إرباً وما جاءت آية قرآنية ولا ورد حديث نبوي بأمر العالم بأعمال الحاكم والآيات المذكورة في استدلال هذا الأديب لا تشير إلى شيء من ذلك ولكنها تنادي على الأمم بمعنى ما ذكره الله سبحانه وتعالى في قوله لنبيه (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون) وكم نادى على نبيه بمثل قوله (وما أنت عليهم بوكيل) وقوله (إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقوله (لا يضركم من ضل إذا هتديتم) وقوله (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفنيكمهم الله وهو السميع العليم) وهي من الآيات التي أوردتها هذا الفاضل دليلاً على أن المسلم يجب أن يكون ناموساً إصلاحياً للروابط الاجتماعية وعاملاً على الإصلاحات العمرانية فما اهدى كيف فكر وقدر واختلق تلك المعاني وركب تلك المباني وهو من أفاضل المفسرين وكيف ساغ له أن يميم المسلمين بترك شيء ما كلّفوا به بل ربما كان فعلاً من المناهي الشرعية إن كان المراد منها قاله هذا الفاضل هو الحث على مجارات المتكالبين على الدنيا ومنافستهم فيها من

كل مسلم ولقد كان الأولى له إن كان مراده التحريض على مقاومة الأمم
الأورباوية أن يوجه خطابه للأمراء والوزراء والجنود وباقي النعمان المنوطين
بمحرسة الأمم والنظر في مصالحهم مستتملاً على ذلك بمثل قوله تعالى
(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) كاستدلال الفلاسفة قبله الذين ظالموا
نقموا من العلماء حتى انتقم منهم شديد الإيقام

فإن كان مراده هذا الفاضل بالدين الذي لا يقبل الخلاف هو عبادة
الله وتوحيده فما اختلف فيه مسلم ولا جهله من الأمة أحد وإن كان المراد
به الصراط المستقيم الذي كانت عليه الرسل وأمر الله نبيه بالإقتداء بهم
فما هو إلا ما تدرسه العلماء في مدوناتهم التي بين أيديهم قديمها وحديثها وما
نقصوا فيها من أعمال رسول الله شيئاً (وما أسروا إلا ليمجدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء وقيمو الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) فما كان
لؤمن أن ينادي عليهم بالإهمال والجور وقد قاموا فيما يدرسون به بمفهوم
البلاغ الذي كلف الله به كل من حفظ عن رسول الله أصراً من أمور
الدين وقاموا بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بما بينوه من
الأحكام الشرعية والآداب الدينية

والدين بالمعنى الأول هو البسيط الذي لا خلاف فيه وبالمعنى الثاني
ربما قبل شيئاً من الخلاف في الأمر والنهي فقد جاء الإنجيل مخالفاً للتوراة
في غالب المناهي فيقول قال من قبلي كذا وأنا أقول كذا والكل من عند
الله وما مقت الله تعالى ذلك ولا سماه تفرقاً في الدين ولا اختلافاً وكذلك
من آيات القرآن ما يدل على أن الله خفف في شريعة النبي صلى الله عليه وسلم

على أمته مالم يُخففه في الشرائع الأول كقوله تعالى (ربنا لا تؤاخذنا إن
نسيتنا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا)
وذلك يُشعر بأن في الأديان اختلاف غير مضر بجوهر الدين ولو علمنا
أي الأديان يقصد ذلك الفاضل بلفظ الدين لحسنت بيننا المجاورة ولكنه
أمرهم الأمر علينا لكيلا يهتدى المسترشد إلى طريق غير الطريق الفلسفية
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

ومن المصعب قول ذلك الفاضل إن الدين الذي دعا الأمم إلى تلك
الستة أبواب قرر للناس أن الدين كله كلمتان مجموعتان في قوله تعالى (ومن
أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) ثم فسر الآية بقوله أي أن
العبودية لله الحق والإحسان في القول والعمل فإن كان هذا المعنى الذي
قرره هو مدهول الآيات الشريفة كان كل مؤمن يعبد الله وحده ويكون
صالح القول ومباح العمل هو الذي على أحسن دين وإذا كان هذا اعتقاد
ذلك الفاضل فما معنى التشنيع بمسلمي إحدى عشر قرناً من هذه الأمة أو لم
يكن فيهم من هذا حاله أظن أن ذلك النبي لا يقول بذلك وإذا يكون هو
المسؤول بين يدي الله سبحانه وتعالى عن هذا التهور الفظيع ويكون اعلانه
الحرب بلا سفة سبب بل محض جرأة وتعمدي ولا نقول إنه شبيه بالعليش
إحتراماً لصلاة ذلك الفاضل وعلمه وأما أدبه فنكل أمره إلى علم الله به
كما نكل إليه مقاصده ونواياه (وكان الله بعباده خبيراً بصيراً)

ثم لا أدري السبب الذي الجأ ذلك المرشد النبوي إلى غض النظر عن
باقي الآية الشريفة مع ارتباط الكلام ببعضه ومع كون آخرها بمنزلة الشرط

في صحة أو لها فقد قال الله تبارك وتعالى (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً)
 فما أظن ذلك الفرض إلا تمهيداً لما جاء به في نتيجة هذا الباب من قوله
 ان المسلمين اكثفوا بتعليم بعض العبادات وما يشاكلها لأن الآية الشريفة
 دالة على أن الدين عبادات ومعاملات وما هي إلا ما في بطون الكتب
 الفقهية وتلك الدلالة كالمسطرة في طريق فلسفته التي يريد أن يزين للناس
 بها أن المسلم يعني الإنسان عن العمل الديني كما يعتقد أهل هذه الطائفة
 ولكن سمعة ذلك الأديب الفاضل شجّله عن أن يذهب إلى هذا المذهب
 الذي أهلك الله به أهل هذه الطائفة وهم لا يشعرون

﴿ الباب الثاني ﴾

قال ذلك الفاضل في يوم الاثنين ٢٢ جمادي الثانية سنة ١٣٢٤ في
 جريدة المؤيد أن الله دعا الأمم إلى استمداد روح الدين من النظر لآثار
 الله في ملكوته والتدبر في بدائع صنعه وطلابهم بالضرب في الأرض
 لاستشراف أحوال الأمم ومعرفة أسباب صعودها وهبوطها وللوقوف
 على أعلام الحقائق وشايع المعارف ليكتسبوا عقلاً يحميهم عن الإندفاع
 في الوسوس والاستمالة الأباطيل واستدل بقوله تعالى (قل انظروا ماذا
 في السموات والأرض) وقوله (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم
 قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى
 القلوب التي في الصدور) ثم بنا على هذا الأصل الذي لا أصل له مقارنة

الوجه الثاني التي قررهما في جريدة يوم الثلاثاء ٢٣ جمادى الثانية من قوله أن الأمة الإسلامية قد انحرفت عن ذلك الصراط الذي شرعه الله لها من آذن القرن الثاني وتركت استمداد روح الدين من الإشراف على المعلومات الكونية وجعلت ينبوع الإيمان علم المنطق والمناقشة في الآراء المسطورة في بطون الكتب ثم قال إن الناس لو حكموا النظر في الكون والاستدلال بالكائنات كما أمرهم الله لما اختلفوا في الدين كما لم يختلف الطبيعيون في العلم الطبيعي لأن الكون هو الكتاب الوحيد الذي لا يختلف فيه إثنان إلى أن قال وقد فتح لنا فينا باب لا أدرى وهو لا يتدح في كمال الشخص حتى قال بعض أئمتنا من قال لا أدرى فقد ائق

وما كان لذلك النبيه العاقل أن يدعي أن الله أمرنا أن نحكم النظر في الكون لكيلا نختلف في الدين وأنا لو حكمناه لما اختلفنا كما لم يختلف الطبيعيون لأن ذلك القول مع وجود الكتاب المنزل الذي حوى جميع الآداب الكمالية والنواميس الشرعية وجاء ليبين للناس ما اختلفوا فيه ومع وجود ماسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من السنن ما هو الا قول مردود وصرائه غير معقول لأننا لا ندري لتحكيم النظر في الكون معنى ولا وجهة فهل إذا حار الإنسان في حكم شرعي يكون نظره في الكون مرشداً له وهل إذا نظر في الكون من لا يعرف كيف يصلي تعلمه المعلومات الكونية آداب الصلاة وأحكامها أم إذا أحاط الإنسان بجميع الكائنات علماً وكان لا يدري ما هو التواضع ولا كيف يكون مع ربه في شؤون العبودية أينيه ذلك من الله شيئاً ثم ما شأن ما وقع بين العلماء من الخلاف وشأن المعلومات الكونية

فإن كان يريد ذلك الفاضل أن الإنسان بنظره إلى الأكوان وما فيها من بدائع الصنع يعلم علم اليقين أن الله هو الفاعل في كل شيء وأنه المنبر لكل شيء هو الخالق لعمل كل عامل كما يتقدمه المؤمنون فما أفاد ذلك النظر هذه الفائدة إلا قليلا من المتفكرين وما زاد الفلاسفة إلا بُدأ عن هذه الاستفادة التي عليها مدار السعادة الأبدية لأن الذي يستفيد من النظر في الأكوان هذه الفائدة لا يبد نفسه حادثاً طبيعياً ولا ناموساً إصلاحياً بل لا يبد نفسه من المرشدين إلا إذا أذن الله له في الإرشاد وتثبيت المؤمنين على دينهم وعلى هذا يكون ما تقوله ذلك الفاضل ما هو إلا من الغلط في العلم والسجلة في البيان وكان الله بعباده خبيراً بصيراً

وأى داع يدعو الطبيعيين للإختلاف إذا كانت أفكارهم وعقولهم متفقة على أن الأشياء موجودة بطبيعتها وأن الطبيعة هي العلة في إيجاد كل موجود ليس إلا وكل موجود له من ضيقه بواعث تبعته على العمل الذي تقتضيه إرادته واختياره إلى غير ذلك من الزيفات التي أزاغ الله بها قلوب من جعلهم وقوداً للنار وساطع عليهم شياطينهم وأوكلهم إلى أنفسهم فأهلكهم الغرور والطيش وافتتنوا بما علموا ومن أسوأ حالا ممن أضله على علم وختم على سمعه وقابه وجعل على بصره غشاوة فهو يرى الحق ولكن لا يهتدي إليه سبيلاً ويسمع الذكري ولا يميها ويقرأ القرآن ولكن لا ينفعه معانيه والله لا يهدي القوم الفاسقين

ولكن الأولى بالحيرة والإختلاف في الأفهام التي ترشد الإنسان إلى طريق نجاته عملاً واعتقاداً هو القوم الذين علموا أن وراء الطبيعة

مدبر حكيم اتقن العمل ورتب نظام ملكه ترتيباً حكيماً وجماله سريراً لا يبصره
ارتباطاً قوياً يظن النبي الناظر إليه انه هكذا وكان بلا موجد ثم تبسروا
في أنفسهم فوجدوها صجولة بأسرار قيومية ذلك الموجد على أمر لا يعلمه
إلا هو ولو أن ذلك الأمر فارق موجوداً من الموجودات مابق طرفه عين
فعلموا أن ذلك الأمر هو الذي يمسك السماء والأرض أن تزولا فخاروا في
عمل الإنسان هل هو له أم لذلك الموجد الذي هو مسالك السموات والأرض
ومثل كل شيء فذهب قوم إلى أن العمل للموجد الذي قامت بقيوميته
الموجودات فهو لا يقرب عن موجد طرفه عين وقال آخرون إن الإنسان
هو العامل وحده بما أودع فيه من القوى (وربك أعلم بمن هو أهدي
سبيلاً وإن الأمر لكما قال القائل

حكم حارت البرية فيها وحقيق بأنها تختار

ولكن الطبيعيين لا يتخيرون لأن الله أراح أهل الغفلة بالغفلة وتستتر
عن الضالين بظلمة الحجاب ولو أنه تجلي لهم تجلي عظمة لناقوا في غفاتهم
عذاباً أليماً (وإن الله بالناس لرؤوف رحيم)

وأقول في مقام الدفاع مستنداً لحضرة الفاضل عن كل هفوة ثغيبه
إن هذا الباب لا يدري داخله أمفتوح هو أم مغلق وذلك لأنه كالباب
الذي لا جدران حوله ولا حائط ومحاط بل بالنضاء ومهب الالهواء من جميع
جهاته وذلك لأن الله تبارك وتعالى جعل الفكر سبباً لمسببات متعددة تختلف
باختلاف استعدادات المتفكرين وقواياهم ولأن الآيات التي استدل بها ذلك
الفاضل لم تصادف الغرض المطالب به ولا مطابقة بينها وبين مراده لأن قوله

تعالى لنبيه (قل انظروا ماذا في السموات والارض) ما جاء الا بين آيات دالة
على أن النظر والاستدلال لا يخفيان من القضاء المبرم شيئاً فقد قال الله سبحانه
وتعالى قبل هذه الآية (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً
أفأنت تكبر) الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن
الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون (قل انظروا) ثم قال بعدها (وما
تخفي الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) فما كان قوله (قل انظروا) إلا
تمكيناً لهم يسبسون غير الله ليعلموا ان الذي أبدع هذا النظام البديع المتقن
هو الذي قدر عليهم الكفر وطبع على قلوبهم وليعلموا أنه ما أغفل في ملكه
شيئاً ولا سهى عن شيء فلو أنه علم فيهم خيراً أو أراد بهم نفعاً لهداهم لأن
الذي ينظر هذه التراكيب الكونية التي تمدح بها الله سبحانه وتعالى في
قوله (فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب
إليك البصر خاضعاً وهو حسير) لابد أن يرى نفسه أحقر من أن يدبر
لنفسه أمراً أو أن يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً أو أن يهتدي بفكره إلى شيء
إن لم يهده الله

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى (أفلم يسيرا في الأرض فتكون
لهم قلوب يعقلون بها) فقد جاءت بعد قوله تعالى لنبيه (وإن يكذبوك فقد
كذبت قبلكم قوم نوح وعباد وشمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب
مدين وكذب موسى فأملت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان تكبر
فكابين من قرية أهلكتها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبشر معطلة
وقصر مشيد أفلم يسيرا في الأرض) الآية أفلا يعلم ذلك الفاضل الذي

فسر من القرآن أغلبه بتفسيره المسمى بصنفة العرفان في تفسير القرآن
 أن هذا التبكيت ما كان إلا لقوم كافرين مكذبين وقد بين الله لهم طريق
 الاستدلال فلماذا لم يؤمنوا قلوا أن هذا الفاضل تقطع إلى دواعي التبكيت
 لما استحسن الاستدلال بهاتين الآيتين على خطأ المسلمين وعلى أنهم بدلوا
 دينهم لأنه لو كان المراد من الآيتين استعداد روح العلم من البير في
 الأرض والضرب فيها لكان قول الله سبحانه وتعالى لنبيه (وقل رب
 زدني علما) معناه طمأنينة في مشارق الأرض ومفاريها حتى أعلم ما عليه الأمم
 فأجاريهم في التدين والتكبر في الأرض بغير الحق وهو الأمر الذي لم يرضه
 الله سبحانه وتعالى لا تقية المؤمنين فضلا عن سيد المرسلين قيل لأبي يزيد
 البسطامي رضي الله عنه لم لا تسافر فقال إن صاحبي لا يسافر وأنا مقيم معه
 وقيل له يم عرفت الله فقال بطن جائع وبدن عار وقال ذوا النون المصري
 رضي الله عنه بأول قدم تطلب الله تجده فروح العلم أو الإيمان التي يشير
 لها هذا الفاضل في مقالاته لا تأتي لاستعدادها من طريق الضرب في الأرض
 كما يدعى ولكنها ربما كانت في زوايا مسارح الأفكار وما كل فكر غير
 ولا كل متفكر بهسير لأن للفكر ضروبا وبواعث ومسببات كما ذكرنا
 من قبل فإن الاستدلال (بالفكر في مصنوعات الله على وجود ما هو عين
 الاستدلال به على معرفته ولا فكر المستأنس به كفكر الخائف منه وليس
 فكر الخائف كفكر صاحب الرجاء وما كان التفكير الذي أشار إليه الحق
 سبحانه بمثل قوله (أفلا تتفكرون) وقوله (إن في ذلك لآيات لقوم
 يتفكرون) إلهام واستعداد لقبول ما يلقى إلى المتفكر من المعلوم الذوقية

الوهيبة التي يهبها الله سبحانه وتعالى للخاص من عباده إذا اشتغل عن
 كل ما سواه به ثم اطلال التفكير فيكون بمنزلة أسائل الزائف باب السؤؤل
 الكريم إذا اطلال الوقوف فلا بد أن يسأل عما سأل والتفكير ليس بسائل
 سوى العلم ولذلك قيل رسول الله صلى الله عليه وسلم التفكير النافع بمقتدار
 معلوم من الزمن بقوله تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة فباحية هذا
 التعليم وتلك السقائق التي انطوت عليها تلك العبارات وذلك لأن توجه الفكر
 لطلب واحد ساعة من الزمن لا يقوى عليه إلا أهل الثبات الذين جمعوا
 هو بهم إلى هم واحد وميزوا بين المذهب الثاني وبين المقبل الباقي فاختاروا
 ما لا يزول وتذكروا بأسباب تحصيله فلا يزحزح أفكارهم عن التوجه إليه
 نقاب القلوب لأن نقاب القلوب هو الثبات لهم وما ثبتهم إلا ليدعهم بأعدادات
 الإرشاد التي أشار الله سبحانه وتعالى إليها بقوله لنبيه (وقل رب زدني علماً)
 أي إرشاداً نورانياً يداني على طريقة الأدب محلك والوقوف منك والأنس
 بك والوحشة ممن سواك وذلك اطلال هو الذي سأله سيدي عبد القادر
 الجيلاني بقوله اللهم أنت الرحيم الرحمن الكريم المنان أسألك يا ودود يا مجيب
 يا علیم أن تفتح لي مواهب مرفاتك حتى أشاهد جلالك وجمالك ولا تقطع
 إرشادك عني يا رب العالمين وسأله سيدي علي أبو الحسن الشاذلي بقوله
 اللهم انا نسألك إيماناً واثماً ونسألك قلباً عاشقاً ونسألك علماً نافعاً ونسألك
 يقيناً صادقاً ونسألك ديناً قيماً ونسألك العافية من كل بلية ونسألك تمام
 العافية ونسألك دوام العافية ونسألك الشكر على العافية ونسألك الغني عن
 الناس وما من ولي الله منّا علمناهم إلا وسأل الله العلم النافع وما يقيهم العلم

بالنافع الا فراراً من العلم المهلك الذي افتتن به كل فيلسوف من كل ملة
لأن العلم الوهبي الذي يسعجه التوفيق يكون الأديب من أجل شأنه وما
لأديب منه محدود بل لكل حال أديب ولكل عمل أديب ولكل علم أديب
ولكل قول أديب فالذي يكون الله سبحانه وتعالى ذليلاً ومعلمه هو الذي
لا تقوته تلك الآداب فلا يسلك سوى سبيل الرشاد ولا يتحقق الا باحوال
المقربين ولا ينطق عن الهوى وأما العلم الذي تنشئه السفهاء من الفلاسفة
وتشوقه إليه سواد البشر من شأن المدارس وكثير من طلبة العلم
الذين هم في تلك العلوم الذين لا ينفكوا الا في الدنيا والخرق في
آيات الكتاب والمنى بالرأى ومثابة الا هو عوارض عن النفوس والا عجب
بالقول والعمل الى غير ذلك من الموبقات القلبية والمهلك المواتية لانه هو
العلم الذي فارقه التوفيق وصحبته الدعوى والدعوى شرك خفي وقد قال
الله تبارك وتعالى (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو
تهوى به الريح في مكان سحيق) وإنه هو الذي يعرّف عليه الضمير من قوله
تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين) إذ لا فرق بين التمسك بحجة الصنم الراجي
نفسه المتقرب ضرره وبين الواثق بنفسه الظان أنها جذيرة بتحصيل كل نافع
ودفع كل ضار فذلك ترى أن بين القريتين أمثلية بعينه وفرق شديد في
الأخلاق وفي الأحوال والأقوال والأعمال قيل للجنيب رضي الله تعالى عنه
منمن استفتيت هذه العلم فتأني من جالوس بين يدي الله سبحانه وتعالى تحت
هذه الدرجة وأشار إلى سلم في بيته وقال رضي الله عنه ما أخذنا علمنا من
القال والقليل ولكن من الجوع وترك الدنيا وقطع المأوفات وهجر الاستحسانة

الناس من أمر دنياهم وقال رضي الله عنه باب كل علم نفيس بذل المجهود في
 ترك العادات والتزود من الطاعات وقال رضي الله عنه لو أقبل صادق على
 الله ألف سنة ثم أعرض لحظة كان مافاته أكثر مما ناله وقال رضي الله عنه
 إذا رأيت العالم يعتني بظاهره فاعلم أن باطنه خراب وسئل أبو صالح حمادون
 ابن أحمد ابن عمار النيسابوري عن العلماء فقال المستعملون لعلمهم والمتهمون
 لديهم والمقتدون بالسلف الصالح رضي الله عنهم المتتبعون لكتاب الله وسنة
 رسوله صلى الله عليه وسلم لباسهم الخشوع وزينتهم الورع وحليتهم الخشية
 وكلامهم ذكر الله تعالى وأمر بمعروف ونهي عن منكر وصمتهم تفكير في
 نعم الله سبحانه وتعالى عليهم نصيحتهم للخلق مبنذولة وغيوب الناس عنهم
 مستورة يؤمنون الناس في الدنيا بالأعراض عنها ويرغبونهم في الآخرة
 بالحرص عليها وقال أبو علي أحمد ابن عاصم الأنطاكي رضي الله عنه امام
 العمل المسلم وامام العلم الأدب وامام الادب التوفيق والهداية وقال رضي
 الله عنه العلم اليقيني إذا وصل الى القلب ملأه نورا ونفي عنه كل ريب
 وجلب إليه الخوف من الله وآفة العلم الفتنة التي عرفها الله سبحانه وتعالى
 بقوله (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) وقال أبو تراب عسكر ابن حسين
 رضي الله عنه اشرف القلوب قلب حي يفهم عن الله تعالى خطابه وأتأس
 القلوب قلب يتقلب في المعلومات طوع هواه فلا أدب يصونه عن مصارع
 الزلل ولا توفيق يدنيه من منافع الذكر والعمل وقال أبو الحسين أحمد ابن
 الحواري رضي الله عنه من نظر إلى الدنيا نظر محبة وإرادة أخرج الله سبحانه
 وتعالى نور العلم واليقين من قلبه ومن عمل عملا بلا متابعة السنة فعمله باطل

وعلاوة حب الله حب طاعته وغفلة المسلم عن ربه عقاب أليم والفرجع إلى
تتميم البيان فنقول إن الله سبحانه وتعالى ما جاء بآية في محكم التنزيل دالة
على أن المسلم ينبغي له أن يطوف البلاد ليسلم ما عليه الأمم المخالفون له في
الدين ليجار بهم فيما هم فيه من الفتن التي حالت بينهم وبين السعادة الأبدية
ولم يكنه جاء بآيات تبكت اقواما بضلال افكارهم وهم أهل الدعاوى الكاذبة
الذين يكذبون بالدين ثم يمدح اقواما بمجودة الفكر وحسن الاستدلال بمثل
قوله (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات
لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون
في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا عذاب
النار) إلى آخر الآيات التي بين فيها نتائج تفكيرهم وما هي الأدلalat على
أن نتائج الافكار تختلف باختلاف القوابل والاستعداد وباختلاف البواعث
أيضاً فليس باعث الفكر في النباتات الأرضية والأفلاك السماوية ليعلم
المتفكر ماهي عليه من الشؤون الطبيعية كباعث الفكر فيها إلا بهاج بقسبيح
موجودها وتقديسه والانتقاس به وذلك لأن الباعث الأول يستنتج
الوقوف عند الطبيعية وهو المصراع الذي شاك فيه الطبيعيون ونهي عنه
المتقون قال ابن عطاء الله السكندري الأكو ان ظاهرها غرة وباطنها عبرة
فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها والقلب ينظر إلى باطن عبرتها وقال رضي
الله عنه أباح لك أن تنظر ما في المكنونات وما أذن لك أن تقف مع ذوات
المكنونات (قل نظروا ماذا في السموات) ففتح لك باب الافهام ولم يقل
قل انظروا السموات لئلا يدلك على وجود الأجرام وقال الأكو ان ثابتة

بإثباته ومحجوة بأحدية ذاته وقال رضى الله عنه ما ارادتم حجة سالك أن تعرف
عنده ما كشف لنا إلا وناديه هو اتق الحقيقة الذي تطلب أمالك ولا تبرأحت
له ظواهر الشكرانات إلا وباتت حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر وقال رضى
الله عنه كيف يشرق قلب عبود الأكراني منطبعة في سرآته أم كيف يرحل
إلى الله وهو مكبل في شبراته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو
لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجوا أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم
يتب من غفواته وهذا الخرفي وامثاله من اهل السرفان هم الملأ الذين عقلوا
عن الله سراده وفيهوا سرار خطابه به لا بأنفسهم فلا يسفكون سلكا
إلى الله سبحانه وتعالى من طريق القول والسمع أو التذكر إلا وهم
مستحجبون الأدب فاعلمهم أن الله سبحانه وتعالى يهلك بموامل الرحمة
ويرحم بموامل لا تقام ويضل بآيات الهدى ويهدي بهلامات الضلال
لأنه هو القاهر فوق عباده وهو اللطيف الخبير

ألا يرى المقلد أن السائحين أو الحجاج مثلاً أو المجتبهين من كل فجٍّ
لأنه لا ولياً لا تعرف أحوالهم اتق كانوا عليهم في تلك الجماع ولا تظهر نواياهم
إلا بعد العودة وهذاك بعلم الناقل ما كان عليه كل متكلم منهم من الشؤون
والنوايا والاستعدادات لأن عبارات المتكلمين تعرب غمما في ضمائرهم فمن
الحجاج مثلاً من يقول كان اللهم رخيصةً والسالك غالية القيمة والحجاج
كثير من كان الذهب والسلب في الطريق كثيراً وكان أمير الركب شجاعاً إلى
غير ذلك من الشؤون العادية كأنه مسافر إلا ليتفقد تلك الشؤون ويتباهى
بالإحاطة بها فبما منهم من يقل شاهدنا أنواراً ورأينا أسراراً واجتمعنا

بأناس من الأتقياء كثيرين وحظينا من الله بمواهب لا تقوم بشكرها
 وكذلك من السائحين من يقول عنه عرّفه رأينا مثلاً وقرى ذات فسور
 مشيدة وطرق مزيّنة وذات رياض زاهرة وأمتعة فاخرة ورأينا عمارها على
 أنتم نظام سياسي وكل منهم مشغول بشأه لا يشغلها عما هو منوط به شاغل إلى
 غير ذلك من الكلمات الدالة على أنه من الذين لا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة
 الدنيا . ومنهم من لا يتكلم إلا عند الحاجة ولا يكون كلامه إلا تبصرة
 وذكرى تقوم بذكره . يقول إذا لم يشعنا علم ورأي لقد شاهدنا من
 يدان مبيع الله بين السالكين في خلقه وتصايف تديره وحكمته ما يهر
 العقول رائد إذ صغرنا تلك المشاهد حكمة قوله تعالى (ومن آياته خلق
 السموات والأرض واختلاف ألسنتكم واللوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين)
 وقوله (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
 سمناً من فضة ومدارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون
 وزخرفاً وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك لذات بقين)
 فعلمنا من تلك المشاهد أن الله سبحانه وتعالى ما أمّا أهل تلك القرى والأوصار
 بتلك الامدادات الدنيوية والامامات الزخرفية إلا لجعلهم فتنه لمن شاء
 أن يفتنهم وما وجه عناية كثير من أفراد الأمم إليهم إلا لتعم الفتنه وتكون
 الناس أمة واحدة في متابعة الشهوات والافتتان بالطبعميات ليقضي الله
 أمراً كان منفعولاً

فلو أن سائحاً من سواح المسلمين نظر في تلك الشؤون الكونية نظرة
 ابراهيمية لرجع من سياحته تائباً راجعاً إلى ربّه خائفاً فضيحة الانتتان في

اليوم المهلول عالماً أنها العاقبة وملاهي ما آل اللاميين بها إلى ما قرره الله تعالى في كتابه الحكيم ولتحقق صدق قوله تعالى (إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد) ولو أن الفاضل (فريد وجدي) نظر إلى تلك الشؤون نظر الرجال الذين لم تلههم أموالهم ولا أولادهم عن ذكر الله ولم يشغلهم الطميش عن المثل المضروب في قوله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقبلاً) لتحقق ذلك الأديب أن الترقى والصعود الذي رأى أن العالم في مباديه ماهو إلا داعية التسفل والهبوط الذي يعتقه المتدينون لأنه ما تم شيء إلا وأخذ في النقصان ولا تعالى صاعداً إلا هبط لأن مرتبة العلو لله وحده وكل مادون الله مرتبة التسفل وإن تعالى ولكن أكثر الناس لا يعقلون فلذلك كان الاتقياء يخافون غوائل الظهور ويقولوا إن الظهور يقسم الظهور ومن زعم أن أحدهم كان يرى نفسه حاداً طبيعياً وناموساً إصلاحياً كما زعم ذلك الفاضل فاهو إلا مفتون بنفسه محبوب بحسه (ومن يضلل الله فما له من هاد) . وكذلك يرى الفقهاء أن الزائرین للأولياء تختلف عباراتهم باختلاف استمداداتهم وقوايلهم فمنهم من لا يرى في مجمع الزائرین إلا عيوباً فتراه يشيع الفاحشة ولو لم يرها يقول إن هذه الجماجم مجامع فسق وفجور لأنه ما توجه نظره وفكره إلا إلى ما رأى من بعض السفهاء فيغاب عليه الاستعداد الشرى حتى يحكم على كل زائر بما رأى وأما الآخر من الزائرین فما رأى

إلا محاسن الأتقياء ومحافل السعداء فلا تسمع منه إلا خيراً لما عليه قابليته
 واستعداده والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم
 ذلك ليعلم ذلك الأديب أن الله الذي يهب الإيمان بفضله ورحمته
 وجليل منته هو الذي يملأ قلوب المؤمنين إيماناً ونوراً ويشرح صدورهم
 للإسلام كما قال تعالى لنبيه (يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَل لَّا تَمْنُوا عَلَيَّ إِلَّا مَا كَمْ
 بِاللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) ولو أنهم كانوا
 صَادِقِينَ لَمَّا مَنَّا مِنْ أَيْنَ يَكُونُ اسْتِغْنَاءُ رُوحِ الْإِيمَانِ وَمَنْ هُوَ الَّذِي يَهَبُ
 لِلْمُؤْمِنِينَ نُورَ إِيمَانِهِمْ (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ)
 وعلى هذا البيان يرى المطلع أن استدلال هذا الفاضل بآيات الله على
 صروق المؤمنين من الدين من عهد القرن الثاني ما هو إلا إثم وخطأ كبير
 وأن المعنى الذي فهمه من الآيتين لم يكن هو مراد الله منهما ولكنه سها
 عن نفسه وطأ بهواه عن أسرار القرآني الحكيم كما لها الذين سبقوه
 بالفلسفة الطبيعية فحرفوا كلام الله عن مواضعه وما أظن أن ذلك العمل
 السيء مقصوداً له ولكن لازك غوائل لا ينجوا منها إلا من ثبتته الله تعالى
 لأن طغيان المسلم أشد وطاعة على النفوس من طغيان المال والجاه ومن
 أسوأ حالا ممن أضله الله علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة
 فمن يهديه من بعد الله

وأما الاختلاف الذي أشار إليه ذلك النبيه فما هو إلا تنافس في إرشاد
 العامة وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون ولقد جاء هذا الفاضل في هذا
 الباب وفي الذي قبله بأمرين غريبين لم نعلم من أي طريق وصلا إليه أحدهما

قوله في الباب الأول أن الرجل في صدر الإسلام كان يعد نفسه حادثاً طبيعياً وناموساً إصلاحياً سلباً لأداء وظيفة عالية هي أن يكون مؤدباً الفيرد والأمر الثاني قوله في الباب الثاني أن المسلمين انحرفوا عن الصراط المستقيم من عهد القرن الثاني فأما الأمر الأول فليست آدمي أي الرجال يعني فإن رجال كل طائفة من طوائف المسلمين كثيرون ولم نعلم ما هي الهداية التي كان ذلك الرجل عالماً لها وما هو الإصلاح الذي كان هو ناموسه فإن كان مراده الهداية الدينية والإصلاحات الباطنية التي هي معالجة الأخلاق ومداواة القلوب فذلك هو الأمر الذي دأب عليه أئقياء الأمة وخيار مرشديها إلى عهد قريب في الأمة المصرية وحتى الآن في باقي الأمم الإسلامية ولو أن ذلك الإصلاح أو تلك الهداية لم تكن من بعد القرن الثاني لازم على ذلك أن يكون الإمام الفزالي غير معدود من المرشدين وكذلك كل عالم وتقي نرى آثاره ونحقق أخباره وأن يكون الكل على دين مبدل وهذا مما لا يقول به عاقل ولا يعتقد متدين وكما كان في الأمة من هو فوق الفزالي درجات إذ المعلوم عقلاء ونقل أنه ما من قرن من القرون الماضية إلا وخلق الله فيه رجالاً قاموا بإصلاح شؤون المسلمين التي تتعلق بالدين وهو مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه إن الله سبحانه وتعالى يبعث على رأس كل قرن من يحفظ على الأمة أمر دينها وليكنهم لم يكن عندهم من الشهور النفساني ما ذكره ذلك الفاضل من أن الرجل كان يرى نفسه حادثاً طبيعياً وناموساً إصلاحياً إلى آخر ما قال فإن هذا شعور أرباب الدعاوي الممقوتة عند الله وعند عقلاء الأمم وليكنهم

كانوا رجالا يعرفون سرا كثر من مواقف اليهودية ويعلمون كيف يكون
العبد مع ربه إذا لم يتحقق بأوصافها التي خلقه الله عليها وهي الفقر والضعف
والذل والسجود إذا الإنسان الذي لا يشعر من نفسه بهذه الأوصاف حتى وإن
كان ملكاً مسلماً كان أو كافراً فهو الأثم الذي حاله كحال الوحوش والبهائم
التي لا تشعر بضعفها إلا إذا مرضت أو ثقلت عليها من هو أشد منها قوة
ولا تدري ماهو الفقر إلا عند فقد الغداء ولا تعرف الذل إلا إذا أهينت
ولا العجز إلا عند فقد القوى وأما السلافة من الناس فلا يحجبهم الغرور والطيش
عن العلم بحام عليه من الأوصاف التي هي مرتبة كل ماسوي الله فكذلك كان
أكابر الرعايا من السلف الصالح يرون نفوسهم في العلم والعمل وسلامة القلب
والإخلاص وأنواع المبادات أصغر من كل صغير كما وصفهم الله سبحانه
وتعالى بقوله (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وفي آية أخرى (أشداء
على الكفار رحماء بينهم) وهما هي مواضعهم ونصائحهم بين أيدينا وإنما هي
الآثار التي تجعل الغائب في حكم الحاضر في رأي أهل النظر والاستدلال
ألا يتبصر العقلاء في قول الفاروق رضي الله عنه ليت أم عمر لم تلد عمر
وكذلك كان حال كل تقى في ازدهار نفسه قال شبيب ابن حرب رضي الله
عنه بينما أنا في الطواف إذ وكزني إنسان برفقه فالتفت فإذا هو الفضيل
ابن عياض فقلت له ادع لي بخير فقال يا أبا صالح إن كنت تظن أنه قد
شهد هذا المشهد من هو شر مني ومنك قبئس ما ظننت وروي عن
إبراهيم ابن أدهم رضي الله عنه أنه كان حارساً على بستان فجاءه جندي
وقال له انطيني هذا الغنم فقال إن صاحبه لم يأمرني فأخذ يضربه على

رأسه فطأها له وهو يقول إضرب رأساً طالماً عصي ربه وروى محمد بن
 الباقلاني عن أبيه قال سمعت رجلاً يسأل بشر بن الحارث رحمه الله أن
 يحدثه فأبى عليه فجعل يتضرع إليه فلم يجبه فلما أيس منه قال له الرجل يا بن
 الحارث ما تقول لله عز وجل غدا إذا سألك لم لم تحدثه فقال أقول يا رب
 كانت نفسي تشتهي الحديث فخالفتها ولم أعطيها من شهواتها وكان السري
 السقطي رضي الله عنه يقول إني لأنظر في أنفي كل يوم مخافة أن يكون
 الله سود صورتي لما أتماطاه من التقصير وقال رحمه الله لو أن رجلاً دخل
 بستاناً فيه من جميع ما خلق الله من أنواع الطير وخاطبه كل منها بلغته
 قائلاً يا ولي الله ثم سكنت نفسه إلى ذلك لكان أسير نفسه وهواه وأمثال
 هذه الوقائع من رجال القرون الأولى غير محصورة فلا أدري كيف وصل
 إلى هذا الفاضل وهو حديث السن نبأ رجال كانوا يعدون أنفسهم حوادث
 طبيعية كما يقول ومن أين جاء بهذه الدعوى التي لم تكن من أخلاق
 المؤمنين بل ربما كانت من أخلاق الشياطين فإن الذي يرى نفسه فوق
 غيره ما هو إلا من الشياطين وما حاله إلا كحال القائل (أنا خير منه خلقتني من
 نار وخالقته من طين) وما كان نصيح القوم وعظهم وتوجيهات قلوبهم إلا
 لتأييد هذا الدين الذي زعم هذا النبي أنه مبدل ابتغاء مرضات الله تعالى
 مخلصين له الدين ولذلك كان وعظهم أقرب إلى القلوب نفياً وتأثيراً سئل
 أبو صالح حمدون بن أحمد بن عمار النيسابوري ما بال كلام السلف الصالح
 أنفع من كلامنا فقال لأنهم تسكعوا بعز الإسلام ونجاة النفوس ورضاء
 الرحمن واتم تسكعون بعز النفوس وطلب الدنيا وقبول الخلق وهكذا

هو حال أحداث المتكاملين من أهل هذا الزمن الذين كتب الله عليهم أن لا تميل قلوبهم إلا إلى المحرمات ولا ترغب نفوسهم إلا في تماطلي الشهوات وقد جهلوا آداب دينهم فأصبحوا من الميسرفين ولو أنهم علموا مضار الإسراف لتحرزوا من تناول كل ما زاد عن الحاجة من معلوماتهم التي تناولوها غير محتاجين إليها فافسدت عقولهم وذلك لأن الأغذية الروحية كالأغذية الجسدية سواء بسواء فكما أن الإنسان إذا تناول من الأغذية إلا حاجة له به وأكثر من تناول ألوان الأطعمة المختلفة وكان ضعيف البنية أفسدت الأخلاط المختلفة أمامها واطلقت عليه بطنه فكذلك المتناول الفنون المختلفة التي لا حاجة له بها في دينه ودنياه متى توفرت في مخيلته أخلاطها انطلق بفساد تصوره لسانه كما تنطلق على المبطلون بطنه قهراً عنه كما نراه في أحداث هذا الزمن الذين ملأوا الأرض صياحاً ونواحاً على الإسلام وعلى المسلمين وما مثلهم في صياحهم ونواحهم إلا كمثل مجنونة النساء ذات الرعونة التي كلما صغت إلى غوغاء ظنت ولدها صريع المتناوشين وإن العقلاء لا يرون سبباً لهذا الصياح ولا يعتبرونه إلا تشنيعاً فظيماً وتعداد معائب لا أصل لها لأنهم إن كان مرادهم بالانحطاط عجز الدول الإسلامية عن مقاومة باقي الدول فذلك أمر موكول لنوايا الملوك وسلامة قلوبهم ومن المعام أن ملوك الإسلام لا يضمرون لأحد من الملوك سوء أو لا يفاجئون مجاورهم بالحروب فلذلك كانوا غير ملتفتين لاتخاذ الآلات الحربية والتوسع في أنواع العدد المهلكة المؤذية والآب قد تنبه النائم واستيقظ الغافل ولا عدوان إلا على الظالمين

وإن كان المراد انحطاط المسلمين في أمر دينهم في هذا القطر الذي
 أفشت السفلة معايه واكثر السفهاء من الفلاسفة مصائبه فما لذلك
 الانحطاط من سبب إلا ما أذاعته هذه الطائفة الخبيثة من أن الفرائض
 الدينية ليست تحت أهمية وأن الموائد التي تمودها المسلمون من زيارة
 مقابر الأولياء وتمسكهم بحجة الصالحين ماهي إلا خرافات جاهلية وأن
 ذكر الله لا فائدة فيه وأن كرامات الأولياء لا أصل لها وأن الشفاعة عند
 الله ممنوعة وأن تقليد السلف الصالح مروق من الدين وأن الإنسان حر
 لا يتقيد بدين من الأديان فكان ذلك المنشيع الفظيع بمنزلة نداء زجل
 مفسد خؤون ظنه قومه عاقلا نصوحا قام بين شبان قومه وسنهابهم قائلا
 ازنوا ولا حرج عليكم اشربوا الخمر ولا تخشوا عقابا اتركوا الصلاة والصوم
 فما بعد الموت من عذاب ولا نعيم ارتكبوا جميع الكبائر فانكم أحرار وكل
 ما لا يؤذى الغير فهو لكم مباح فكان لذلك النداء الشيطاني في قلوب السوءاء
 من الناس تأثيراً عظيماً حيث هي بطبعها ميالة للفساد مطبوعة على حب
 الشهوات أسيرة أهوائها فقرت من الآداب الدينية كما نشطت من عقال
 ولم تلتفت عن مصالح حياتها إلا إلى تحصيل المواقات المهلكة وما كفى أولئك
 الأشرار ما أوقعوا فيه العباد من مصارع ذلك الإفساد حتى نادوا فيهم
 بحل ما حرم الله وزينوا لهم أن يتشبهوا بأهل أوربا حتى أصبحوا وأفقدتهم
 لا تشرح إلا بمصنوعات أوربا ولا يميلون إلا إلى خادومات أوربا ويات ولا
 نحن قلوبهم إلا للمصيف في أوربا ورأى تمويهات أولئك الضالين المضلين
 حتى صبحت أحوال أوربا بفسادهم واستغنت فقراء الأوربايين وافترق

غالب أغنياء المصريين وهم لا يشعرون وصارت خزائن البقالين ماوى دنائير
 الباعة ورعاع الأشرار وممكن نقود الأغنياء وأصبحت حوائيت الأورباويين
 ومواطن لهم هي معابد المصريين والذي لم يأت مصر من الأورباويين
 قد اتخذ السماسرة والمخبرات وسائل لاستجلاب ما في خزائن المصريين
 وما يصل إلى أيديهم من المرتبات في أوائل الشهور وقد تفتنوا في أنواع
 النجائل على تملك ما في أيدي المصريين حتى أصبحوا أرقاء لهم في صورة
 أحرار وأسرا في حياة منسكين فما من قرية إلا وغالب أهلها أسرا المراكبيين
 من الأورباويين وما من بلد إلا وفيها لهم مال وعقار كل ذلك والمصريون
 يتباهون باستخدام الكبريات ويتفاخرون باستجلاب كل من خرف من
 اللبوسات فلا تركب أبناؤهم إلا القمباتين ولا تلبس بناتهم إلا البرانيط ولا
 يتعلمون إلا ماتعلمه بنات أوربا وأبناؤهم تسمكوا بشعائر التمدن الذي أصبحوا
 به إلى الكفر أقرب منهم للإيمان وما هم بناظرون إلى ما يؤول إليه أمرهم
 بعد سنين بل تعشقوا الفقر فاعتنقوا أسبياه وهم لا يشعرون فلو أن
 المزارع وصاحب الألوف من الأفدن أطلعه الله على ما سيكون من أمر
 أبناؤه وبناته بعد حين من الزمن لأروت القفر من الأرض دونه وتضجرت
 لما انحمت عليه من حرارة الندم والحسرة ضلوعه ولو أن الموظف الذي
 لا يملك غير مرتبه يذكر أيام الأسراض لألمته عما أحاط بقلبه من لذات
 الشهوات والأغراض وإب العقلاء يعلمون من حال الأمة فوق ما أعلم
 ولكنهم إذا نزل القضاء على البصر . هذا وأولئك السفهاء الذين كانوا
 سبباً لهذه البلايا هم وشرار أسلافهم ينادون على العلماء بأنهم سبب الإتحطاط

وإنيهم والله ليعلمون غير ما يقولون ولكنهم يريدون أن يذهبوا ببقية الدين
 التي أصبح الأزهر الشريف مأواها ولكن أكثر الناس لا يشعرون
 والارجع إلى ما جاءنا به ذلك الفاضل فنقول وأما قوله أن المسلمين انحرفوا
 عن الدين من عهد القرن الثاني فذلك قول ماسمنا بمن قال به من قبل
 إلا قول صاحب الرد على هانتوا حيث قال إن المسلمين كانوا على أثر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في عدم الركون إلى القضاء والقدر حتى ظهر من
 عهد سبعمائة سنة أناس كانوا كرؤوس الشياطين ويعني بهم الصوفية إلى
 آخر ما أورده في ذلك الرد من الدلائل الزينة التي توهم كثير من بسطاء
 المسلمين أنها نصره للدين وذب عن المسلمين وما يخفى على الله من شيء
 في الأرض ولا في السماء وإنها لمكتوبة عنده في الإحصاءات التي أشار
 إليها بقوله (أحصاه الله ونسوه) وقوله (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين)
 فلا أدري كيف زعم هذا الفاضل أن الدين تبدل من عهد القرن الثاني
 وما نرى الدين إلا قيميا واضحا مشيدا بقواعده وأركانه مجلا بشعاره ومناسكه
 محفوظا من التحريف والتبديل إلا ما رآه من شؤون الدخلاء المفسدين
 الذين يدعون الإسلام وليسوا بمسلمين ويزعمون الإيمان وما هم بمؤمنين
 ولكنهم قوم يؤمنون ببعض الكتاب فيما يري الناس ويكفرون ببعض
 وأولئك هم الفاسقون الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا
 واطمأنوا بها فكذبوا صريح القرآن وجاءوا من التدليس والزندقة بما لم
 يأت به الشيطان (وما الله بغافل عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم
 تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفندتهم

هو اه) وما كان لذلك الفاضل أن يستنتج من آيات القرآن الحكيم الحكم الذي قوره على كل مسلم بأنه يجب عليه أن يكون علم هداية كما سبقه بذلك من كان قبله من المتفلسفين الذين أكثروا في الناس من الخطباء والنصحاء حتى أصبح لكل منصوح عشرة من الناصحين وإن لم يصعدوا المنابر ولم يتعهدوا الجامع لأننا نرى أن كل مطلع ولو على صحف الجرائد يعد نفسه كما قال ذلك الفاضل حادثاً طبيعياً وناموساً إصلاحياً كما كان يشعر بذلك من نفسه عند تحرير تلك المقالات حتى أفسدوا أخلاق كثيراً من العامة وكان الله بعباده خيراً بصيراً

وهل سمعتم أيها العقلاء بمن ضرب في الأرض من أتقياء السلف الصالح بنية الإشراف على شؤون الأمم المتقدمة التي نهى الله سبحانه وتعالى نبياً عن التشبه بهم والتشوف إلى ما افتتنوا فيه بقوله (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة لنفتنهم فيه) كلا ولكنهم كانوا يضربون في الأرض السبب الذي ذكره الله سبحانه وتعالى بقوله (وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله) فكان منهم من يريد الدنيا أي الرزق المطلوب للمعيشة الدنيوية ومنهم من يريد الآخرة وأولئك هم السائحون الذين يريدون أن يتصدقوا على كل أرض لم يذكر فيها اسم الله بأداء شيء من العبادات فيها لتشبههم في ذلك اليوم المشهود لا كما يضرب أهل هذا الزمن في أوروبا ليقال أنهم من المتمدنين فينفقون أموالهم في سبيل الشيطان وفيما تميل إليه أهواؤهم مما لا يفيدهم فائدة ولا يغني عنهم من الله شيئاً وأولئك هم الذين غرتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور وإنهم لا يزعجون

أنهم همو العقلاء ولو أنهم حاسبوا نفوسهم لتحققوا ما هم عليه من الخطياء ولقد عابوا المسلمين باتباع نبيهم وتقليد أئمتهم في الأعمال الصالحة والأخلاق المرضية وإنهم همو المقلدون الأورباوين في كل عمل لا ينتج إضياغ المال والعقل والدين ألا هل من عاقل منهم يدعي أنه اكتسب عقلاً أو خلقاً حسناً من تروده على تلك الأماكن التي لا خلاق لأهلها في الآخرة أو استفاد أي فائدة توازي ما خسره من المال ثم يقيم برهاناً صادقاً على صدق دعواه كلا إن الذين لا يؤمنون بالآخرة لفي ضلال بعيد وإخوانهم يمدونهم في النى ثم لا يقصرون

﴿ الباب الثالث ﴾

قال فيه ذلك الحادث الطبيخي والناموس الإصلاحي الذي هو علم الهداية في هذا الزمن أن الله دعا الأمم إلى الخروج من حيز التقليد فإن التقليد استسلام للعير كما قال وتطيل للإختيار وفيه وقوف عن التقدم ووجود على أوضاع محدودة ثم زعم أن الله سبحانه وتعالى قد طرقتهم في التقليد بقوله (قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون قال أولئكم بهتكم أهدي منهم وجدنم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) وقد سماه عبادة بقوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) ثم قال المنتقد في المقارنة لهذا الباب في جريدة يوم ٢٣ جمادى الثانية أما التقليد في الدين والشرعية فقد وقعنا فيه وهو ما نهى الله عنه بصراحة لا قبل التأويل ثم قال ولا ندري على أي آية استند المسلمون في إغلاق باب استنباط الأحكام

من القرآن والسنة على مقتضى حاجات الأزمان والأمكنة والاعمال البشرية
ثم جاء بكلام طويل جاءت به السفهاء من قبله وأطال في مجالته الجدل ابن
تيميا وكثير من المنطسفين الذين الجأهم الإعجاب بنفوسهم إلا أن يجعلوها
فوق المتقدمين من السلف الصالح في العلم والمعرفة ثم اختتم مقالته بقوله إن
التقليد أسر وهذا دين الحرية والتقليد عمية وهو دين البصيرة والتقليد
جمود وهذا دين الترقى وكيف يكون التقليد من نباني الإسلام وما جاء
الإسلام إلا لتخليص الأمم منه

وقول إن أمر هذا الدين مبني بين عامة المؤمنين وخاصتهم على أسس
على إقتداء ومتابعة والإقتداء هنا بمعنى التقليد الذي اجازته هذا الفاضل
في مقالته للإمامة والمتابعة هي من صفات الخواص من هذه الأمة ودليلهم
القرآن في اعتناقها هو قوله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)
وقوله تعالى (فاتبعوه أعلكم تهتدون) وقوله فيما حكاه عن إبراهيم عليه
السلام إذ قال لآبيه (فاتبعني أهدك صراطاً سوياً) وقوله لنبيه (قل هذه
سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) فجعل المتبعين له هداة
يجب اتباعهم إلى كثير من الآيات القرآنية التي تجهلها هذا المفسر الخبير
ودليلهم من الحديث النبوي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابي
كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم والماقلون يملكون إن الله سبحانه وتعالى
قيض لهذا الدين من خواص عباده أناساً مطهرين عن متابعة الأهواء
والميل إلى الأغراض والغايات اجهدوا نفوسهم في تناول أصوله واحكامه
وآدابه من الثقة العدول حتى كان من أمر الامام البخاري رضي الله عنه

انه علم ان رجلا من رواة الحديث على بُعد من مقره فسافر له اياماً طويلاً
 حتى وصل اليه ليأخذ عنه حديثاً فلما جاءه وجدته يستجلب حمارة بشيء من
 الملف في حجره وهو منطلق فرجع ذلك الإمام ولم ينقل عنه شيئاً وقال
 انه متحاييل لا يصلح ان يكون من رواة الحديث وهكذا كان عمل الأئمة من
 الفقهاء والمحدثين ولقد كان من ورع الامام ابن حنبل انه لم يأكل البطيخ
 لانه لم يعلم كيف كان يأكله رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان ذلك
 منهم الا رغبة في وعد الله تعالى لهم بالمحبة على لسان رسوله في قوله
 (فاتبعوني يحببكم الله) وفراراً مما وقعت فيه الامم الماضية من قسوة
 قلوبهم ومتابعة أهواءهم عند ما طال عليهم الأمد فجاؤا في دينهم بمثل ما يدعوا
 الناس اليه هذا الفاضل النبيه الآن من العمل بالرأي والحكم بالاجتهاد
 متابعة لظروف الاحوال فأحرمهم الله بركة الوحي فهلكوا ووصفهم
 سبحانه بالخيانة وتحريف الكلم عن مواضعه وما كان ذلك الا من عمل
 المتفلسفين منهم لانهم في كل زمن وفي كل امة هم المامل القوي في اضعاف
 الايمان وفساد العقائد ولكن اكثر لا يفقهون . وما ذلك إلا لانهم
 لا يجدون من نفوسهم الأية باعثاً على المتابعة لأنهم أهل غرور وطغيان
 وقد وصف الله سبحانه وتعالى حالهم بقوله (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن
 الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يشعرون)
 ولو أنهم عقلوا منهموم قوله تعالى (زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون
 من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير
 حساب) لما استنوا المؤمنون ولما سخروا منهم لأنهم أعداء المدن والحضارة

وأما استشهاد هذا الأديب على ذم التقليد بقوله تعالى (قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) فذلك من الفلط في العلم وما أظنه في هذا الإستشهاد إلا مقلداً للمفسدين لأننا كثيراً ما نسمع هذا الإستشهاد من كل متفلسف وما ندري كيف عقلوا مطابقة الآية الشريفة لما استشهدوا عليه بهامع علمهم أنها نزلت في قوم جاءهم رسول من عند الله بكتاب حكيم وسراج منير لينقذهم من الظلمات إلى النور فعكفوا على الضلال الذي عليه آباؤهم وقالوا إنا على آثارهم مقتدون فقال لهم الرسول (أو أوجتكم بأهلي مني وجدتم عليه آباءكم) فهل جاء لهذه الأمة رسول من المتفلسفين بأهلي مني جاء به رسول الله ولم يتبعوه حتى يقال ان مفهوم هذه الآية ينطبق على حال المؤمنين المتمسكين بأهلي ودين الحق الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا إن الذي يدعي ذلك لني ضلال بعيد وهل عامة المؤمنين الآن إذا سئل أقلمهم علما بالدين عن دينه يقول أنا مقلد لأبي كلا بل يقول أنا على سنة رسول الله أو دين الاسلام الذي من الله به على أظن ان العقلاء لا يشكون في قوة إيمان العوام وعدم قبول قلوبهم للشبه التي ضل في فلواتها الفلاسفة المبطلون . وأما قول ذلك العلامة إن الله سبحانه وتعالى سمي التقليد عبادة فما هو الا من باب المغالطة الجدلية والسفسطة الفلسفية لأننا نجل هذا الفاضل مع ما رواه من سعة علمه وحدة ذهنه أن يستطلع هذا الظن من مفهوم الآية الشريفة لأن الله سبحانه وتعالى ما قال ذلك لأنهم مقلدين لأخبارهم ورهبانهم فيما أنزله الله على رسوله بل قاله لأنهم تركوا أوامر الله ونواهيه واتبعوا أوامر

الرهبان والأخبار ونواحيهم وقد وصفهم في مواطن من القرآن بالكذب
 على الله وأكل السحت وتحريف الحكم عن مواضعه وبمعارضة الدين وبكل
 وصف قبيح نرى عليه فلاسفة هذا الزمن فلذلك قال إنهم اتخذوه أرباباً
 من دونه لأن الذي يصحى الله ويطيع من عصاه فقد اتخذته إلهاً وما كان
 هذا من شبح المؤمنين وإن كانوا مقلدين لأنهم ما قبلوا أثمتهم إلا في العمل
 بأوامر الله واجتناب مناهيه فلا يكون القدح والطعن فيهم بمعنى هذه
 الآية إلا بهتاناً عظيماً نريد هذا الفاضل من شره وشر الإصرار عليه برجة
 مولانا الحكيم والطفه العميم والله على كل شيء قدير . وأما قوله أن التقليد
 تمطيل الاختيار وفيه وقوف عن التقدم وجود على أوضاع محدودة فما أظنه
 إلا جاء به من قبيل الفكاهة كما هي عادة أدباء العلماء الذين يأتون في خلال
 مواعظهم ومدوناتهم بالمضحكات الفكاهية لترويح نفوس المطالعين لكيلا
 يملوا لأنه يعلم علم اليقين أن للدين حدوداً واحكاماً وآداباً تحول نواحيها بين
 المتدين وبين اختياره ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون هذا إذا كان
 المراد بالإختيار أن تكون عبادة الإنسان لربه تابعة لمراده واختياره لأن
 ذلك ممنوع فإن العبادة إذا خالطتها الأهواء والشهوات فهي عبادة بل
 تكون عملاً ممقوناً خالياً عن العلم والأدب وإن كان المراد بالإختيار أن يكون
 الإنسان مخيراً بين الإتيان بالرخص أو بالغرائم فما حجب أحد من الأئمة على
 أحد من أتباعهم أن يقلد غيره في ذلك وأما أن كان الإختيار بمعنى عدم
 التكليف فهذا هو الكفر والجحود وأما كون التقليد فيه وقوف عن التقدم
 فلم نعقل له معنى لأنه إن كان المراد بالتقدم هو التشبه بالأورباوين في

اباحة المنكرات مثل الزنا اذا كان عن تراضي وشرب الخمر الخالي عن العريضة
 وغير ذلك من الكبائر فها هو الا التقدم الذي جاء في قوله تعالى (كلا والقمر
 والليل اذا قَبَرَ والصبح اذا اسفر) فيها لأحدى الكبائر نذيراً للبشر لمن شاء
 منكم ان يتقدم او يتأخر (فنسأل الله سبحانه وتعالى ان يعيد عباده المؤمنين
 من التقدم الى النار وان كان التقدم هو المتداول على السنة السفهاء الآن
 فليس للدين عليه سلطان وماله على الدين من سبيل لأنه لا سبب له الا
 استبعاد الجنود الحربية ونهاية الحكام السياسيين ورواج الأعمال التجارية
 وكل هذه الأعمال تابعة لغيرهم العاملين ومقاصدهم فإن صاحبت النوايا كانت
 الأعمال موافقة للكمالات الدينية وإن ساءت المقاصد تبرأ الدين منها وعلى
 هذا يكون اتهم المتدينين او الدين بأنه عثرة في طريق التقدم الدنيوي
 من اغلاط المتصورين وفساد خيال المتخيلين واما الجود على الأوضاع الدينية
 المحدودة فهو الحال الممدوح الذي ترجي فيه النجاة وهو الذي امر الله به
 المؤمنين فيما اشار اليه القرآن بقوله (شرع لكم من الدين ما رضى به نوحاً
 والذي اوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين
 ولا تتفرقوا فيه) والعاقلون يعلمون ان اقامة الدين لا تكون إلا بأداء واجباته
 ألا وهي اتباع الاوامر واجتناب النواهي في العبادات والمعاملات التي اشار
 اليها ذلك الاديب بقوله فيما سبق ان المسلمين اشتغلوا عن اصول الدين بتعليم
 شيء من العبادات وسمى ذلك الاشتغال جهوداً مع ان المقلاء يعلمون انه
 لولا هذا الجود الذي كان عليه المتمسكون بالمروءة الوثقي من الدين لكان
 العوبة للمفلسين من زمن غير قريب ولكن الله حفظه من شرورهم

بتمسك أهله به وعضوهم عليه بالنواجذ كما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ندري ما يفضل الله به وبأهله في هذا الزمن الذي أعلن فيه هذا الفاضل الحرب مستقيماً بالاغنياء والشمراء وأرباب النفوذ من الأوروبيين وما الله بناقض عما بعملت . ولقد تبين من هذا البيان أن التقليد المذموم ما هو إلا الانقياد لمن لم يكن على الحق كتقليد أغنياء الأمة وأغنياء فقرائها للمتفلسفين الذين كانت ذخارف اقوالهم سبباً لفساد عقائد مجيهم والمجيبين بأعمالهم واتوالهم (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)

وأما التقليد الذي هو بمعنى متابعة من تحقق صدقهم وأمانتهم من أئمة الدين في كل ما نقلوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلا يقول عاقل بأنه مذموم بل هو الواجب المطلوب من كل من بلغته دعوة الرسالة لأن كل ناقل لنبا من انباء الرسالة هو في حكم المبلغ الأول فيجب على من سمع منه البلاغ متابعتة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كلف كل من بلغته دعوته بأن يبلغها نيابة عنه وما هو إلا تكليف شرعي قام به كل امام من الأئمة ومن تابعهم وعلى هذا يكون العامل على قطع هذه المتابعة أو المحارب لأهلها حكمه عند الله سبحانه وتعالى حكم الذين كانوا يؤذون رسول الله ويصدون عن سبيل الله ويفسدون في الأرض بعد إصلاحها وكفى بذلك مقتاً عند الله ولعنة والله لا يهدي القوم الفاسقين

﴿ الباب الرابع ﴾

قال فيه ذلك الأديب أن الدين دعا الأمم للاعتراف بناموس الترقى

واعتقاد أن العالم في ارتقاء وتقدم وليس كما يزعم أهل الأديان أنه في هبوط
وتسفل وكشف لهم ذلك بقوله (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) وقوله
لنبيه (وقل ربي زدني علماً) وأصرهم بالأخذ بالأحسن من كل شيء بقوله
(فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولوا الالباب)

ثم قال في مقارنة هذا الباب في جريدة يوم الثلاثاء ٢٣ جمادى الثانية سنة ١٣٢٤
أن المسلمين أنكروا الاعتراف بناموس الترقى وحصروا العلم في المتقدمين
وأنهم خالفوا الله الحكيم إذ يقول لنبيه (وقل ربي زدني علماً) وهم
يقولون العلم انتهى الى هذا الحد . هذا ونحن نريد أن يتف المقلد معنا
في هذا الموضع موقف التأمل والتعجب فقد جاء هذا الفاضل في هذا الباب
وفي مقارنته بالمعجب المجاب ولولا أنه هو الرجل الماقل الأديب لقلنا أنه
ما حرر هذا التحرير في هذا البحث إلا وهو منفرد بنفسه في هذا الملك
الفسيح حيث لا يظن أن ما عليه عليه الخيال إذ ذاك منظوراً أو مسموعاً ولو
أنه كان ذا شعور بوجود أمة أحاطت بذلك القضاء الذي كان فيه أنفاس
أفرادها من كل جانب وأحدثت به حركات آفاقها وصغت إليه آذان
اسماعها لحفظ لنفسه حرمتها وحصنها من أن يرميها به أهل التحقيق من سهام
الملام ورماح الطعن إفا ما أبدى ذلك التحرير نصب أعينهم مساوئته ووقف
بين أيديهم فوق هاتيك الصحف موقف الصبي الذي يرفع ذيله ليقول في
ملاء من الناس

قال ذلك الفاضل إن أهل الأديان يقولون إن العالم في تسفل وهبوط

وذلك لم يكن من أي متدين إلا بمعنى آخر لم يستطع ذلك الفاضل النصح
به لمجزه عن إنكار حقيقته عقلاً وشرعاً فجاء بهذا التعبير الذي لا يفقهه إلا
هو وما كان لمتدين أن يقول إن العالم في تسفل في أمر حياته الدنيوية مع
ما يعلوه من صدق وتيمد الله سبحانه وتعالى ووعدته بأن الساعة لا تقوم إلا
والأتم في أعلى مقام الترقى في الحضارة والمدنية كما هو مفهوم قوله تعالى
(حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها
أنها أمراً ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس) هذا إذا
كان سراده بالترقى والتقدم اتساع الميشت والتمتع بالرفاهية وقوة
الاستعدادات والعُدَد في كل شؤون المعيشة وذلك يحتاج إلى علوم شتى
وهي المبر عنها الآن بالعلوم المصرية وبعبارة أخرى بالعلوم الحديثة وإنها
ليست بمصرية ولا حديثة كما يزعم السفهاء من متفلسفي هذا الزمن ولكنها
علوم قديمة تداولها علماء قرون أعصر ماضية لم يدرك منها أهل هذا الزمن
غير شواردها والقليل منها ومن جهل ذلك فالينذهب إلى الهرم
والانتكخانات في كل دولة من الدول يرى العجب وتلك العلوم هي التي
اهلكت أهلها في القرون الماضية لأنهم ما تناولوا معلوماتها بأيدي الآداب
الدينية ولكنهم تناولوها بتخاليف الطيش والغرور وصرفوا كنوزها في
مصارف الإسراف والتبذير الفكري فأهلكهم الله وأنهم العذاب من حيث
لا يشعرون وما ذلك إلا مفهوم قوله تعالى حكاية عن صاحب ثمود إذ قال
لقومه (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض
واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب) فأجابوه

بقولهم (يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أنهننا عنا كان يجب آباؤنا
وإنساني شك منا تدعونا إليه صريب)

ثم طال الجدل بين صالح وشمود كل يقيم حجته بما علم فكان صالح يبرهن
على دعوته إلى الله بأن الله هو الذي أسبغ عليهم نعمه فصرفوها في شهواتهم
وهم يحتجون بأن ما هم فيه من النعم من عمل الطبيعية ليس لأحد عليهم فيها منة
وطالما ذكروهم بنعم الله عليهم بما حكاه الله عنه بقوله (واذكروا إذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتتحتون
من الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تمشوا في الأرض مفسدين) وبقوله
(أنتزكون فيما هاهنا آمنين في جنات وعيون وزرع ونخيل طلعها هضيم
وتحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله وأطيعوني ولا تطيعوا أمر
المُسرفين) فما زادهم ذلك إلا طغيانا وغرورا جلهلهم بالآداب الدينية وتغولهم
في العلوم الطبيعية وقال لقومه (إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون
وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى الأعلى رب العالمين أتبنون بكل
رئع آية تمشون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين
فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين
وجنات وعيون إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) فما كان جوابهم إلا
أن قالوا له (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) وفي قوله
أمدكم بما تعلمون دليل على أنهم كانوا علماء بهذه العلوم التي هي قوام ما صنعوا
من أنواع التمدن والزخرفة وما من رسول إلا وجادله علماء قومه وما كانت
علومهم إلا العلوم الرياضية التي هي منشاء الطغيان العلمي ومبدأ الفساد

الاعتقادي ولولا تلك المعلوم لما توسعت هاتيك الامم في عمل تلك المصانع
كما توسعت امم هذا الزمن في عُددها ومصنوعاتها وزخارف امتعتها ولما
فسدت عقول العلماء بها وعقائدهم واحوالهم ولما ساءت معاملتهم لربهم كما
كانت عليه الأُمم الطاغية وكان امر الله قدراً مقدوراً

وليس هاتيك المعلوم هي المرادة من قوله تعالى لنبيه (وقل رب
زدني علماً) كما زعم ذلك الفاضل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
لم يستحسن من بعض اصحابه ان يعتمدوا في استنتاج ثمار النخيل على التلقيح
ثم اهلوه عما فلم يحسن الثمر واخبروه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال اتم
اعلم بأمر دنياكم والله سبحانه وتعالى يحل نبيه عن ان يشغله بعلم حطام
زائل ونعيم باطل ولكنه امره بطلب زيادة العلم الأدبي الذي هو مزرعة
المزايا ومقر الوقار وملاك الحياء والحشمة وغرس الاستقامة وعرش
الكمال ومنبع التواضع واصل كل خلق كريم وما نزلت الآية الشريفة
على حديثها حتى يتوهم ذلك الفاضل انها تشمل كل علم تتلاعب به السفهاء
ويجملونه صولجان الاعجاب ومهرجان الزهو ولكنها نزلت وراء قوله
تعالى (وكذلك انزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون
او يحدث لهم ذكراً فتعالى الله الملك الحق ولا تمجل بالقرآن من قبل ان
يُنْزِلَ اليك وحيةً وقل رب زدني علماً) فهل لما قل ان يفهم ان هذا الامر
امر عام يطلبه كل ذي علم اذا كان للاقصة ومديرة شؤون الاوتار
والدفوف مثلاً ان تقول رب زدني علماً فليعجب العقلاء من اقتدار القدرة
العلية التي غابت هذا الشاب العاقل الفاضل في زمن ذلك التحرير عن معالم

رشده حتى غشيت بصيرته النيرة غياهب هذا الوهم الواهي وتسلط على
 قلبه السليم ذلك الظن السيئ والله على كل شيء قدير
 واما قوله تعالى (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) فقد فهم ذلك الاستاذ
 من خوى هذا الخطاب الكريم ان الله سبحانه وتعالى يقول للقوم الذين
 كان فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اننا لم نؤتكم الا قليلا من العلم
 وقد خبا لنا العلوم العالية حتى يفيض ختامها السيد فريد وجدى ومن عاصره
 من علماء اوربا والذين يلونهم حتى تتقدم الامم تقدما لم يخطر لكم على بال وما
 كانت هذه التخيلات الخالية من الصحة هي مفهوم تلك الآية الكريمة لانها
 جاءت تيمنا لجواب عن سؤال قوم جهلاء يريدون ان يسألوا رسولهم كما
 سئل موسى من قبل فأوحى الله لنبيه تعليماً له ما يجيبهم به اذا هم سألوه قوله
 (ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا)
 يريد سبحانه وتعالى اظهار سفاهة احلامهم لانه لا حق اشد من حق جاهل
 يجهل حقائق ظواهر الاشياء ثم يسأل خصمه عن بواطنها فكأن الله سبحانه
 وتعالى يقول لنبيه قل لهؤلاء القوم انكم لتسألون عن امر عال لا يسأل عنه
 الا من علم حقائق ما بين يديه وما علمتم الا قليلا من المعلومات فجاء هذا
 الفاضل يدعي ان الله سبحانه وتعالى يشير بخطابه الشريف الى انه ما آتاهم
 من العلم الا القليل وسيعطى اهل القرون التي بعد الثلاثة عشر قرنا باقي
 العلوم حتى لا يبقى عنده علم الا ويظنهم عليه اذا هم تقبوا المعلومات حتى
 تقابلوا معه وجهاً لوجه فيعلمون ما يعلم ويعملون ما يعمل كما صرح بذلك
 ابن رشد وغيره من الفلاسفة او كأن ذلك الفاضل توهم ان الله سبحانه وتعالى

يقول لنبينه ومن معه اننا لم نؤمنكم الا قليلا من العلم واما كثير العلم فسنوثيه
 لابن سينا وجمال الدين الافغاني وعلماء اوربا وغير ذلك من لم نقف له
 على حقيقة وما أردنا بما عرضناه على عقول العقلاء تصغير ذلك الفاضل
 ولا تويجه كلا والله لا نريد بذلك إلا إعلان الحيرة الفكرية لعل عاقلنا
 أن يتكروم علينا بتوضيح ما جاء به ذلك الفاضل وإنا إن شاء الله لنبتهون
 وإن كان مراد هذا المليم الحكيم بقوله إن أصحاب الأديان يزعمون
 أن العالم في تسفل وهبوط ماورد به القرآن من أسر اقتراب الساعة وذلك
 هو الذي قلنا من قبل أنه أخباء في زوايا التعبير حتى لا يفقهه إلا من سبق
 له الإطلاع على اقوال جمال الدين الافغاني والمتقولين من أتباعه فذلك
 أمر منفي وإنه لمن الأنباء الغيبة التي أصبحت منكرها ومدعيها في إيراد
 الأدلة العقلية عليها سواء لأن العقل مهما بلغ من مقادير الوفرة والكمال
 لا يدرك حقائق مستقبل الموجودات ولو صح ذلك لعلم العاقل يوم موته
 وما سيصير في مستقبل أيامه وهذا لم يكن ولن يكون والجاهل بشؤون
 نفسه هو بشؤون غيره أجهل وإذا يكون المتدينون في علم ذلك أقوى سندا
 وأقوم مستندا وبهذا لا يكون لذلك الأديب حق في الحكم بسفاهة
 أحلام المتدينين ولقد تشككنا في شأن ذلك الفاضل عند قوله وليس كما
 يزعم أهل الأديان فكأنه أنسخ من المتدينين ثم قال في موضع آخر نحن
 أبناء الدين وأحبائه فكأنه تمسك في كل أحواله بما ذهب إليه سفهاء
 الفلاسفة من وجوب محابات الأزمان ومراعات ظروف الأحوال في كل
 قول وخال وعمل فهو لذلك يدخل نفسه في المتدينين صرة ويخرجها أخرى

وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
 وأما استدلاله بقوله تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول
 فيتعلمون أحسنه) على أن الله أباح للأمة متابعة كل ذي قول من خرف
 وأن هذا يفيد أنه إذا وجد في المتأخرين من هو أعلم من المتقدمين يجب
 اتباعه وأن قول المؤمنين أن العلم انتهى حده بانقضاء آجال أهل جموعهم
 فما هو إلا استدلال على أمر موهوم أو حكم خيالي حكمه التخيل لأن مراد
 الله سبحانه وتعالى بأحسن القول كلامه القديم الذي هو أصديق الحديث
 وأحسنه وليس يريد من عباده الإغترار بخرفة الأقوال وسفاسة المسلمين
 التي أهلكت كثيراً من أهل هذا الزمن لأن أحسن الحديث المتبع هو
 ما ينتج النجاة في العاجل والآجل وبرشد إلى الإستقامة في القول والحال
 والعمل وما من حديث يكسب هذه الحظوظ الوافرة والمزايا الطاهرة إلا
 حديث الله وحديث رسوله والداعين إلى الله من بعده قال الله تبارك
 وتعالى (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من
 المسلمين) والعقلاء من الناس يعلمون من هم الداعون إلى الله من طوائف
 العلماء وما اظن أن العامة يجهلون ذلك لأن السفية اللاحق الذي يدعوا
 الناس إلى التشبه بأهل أوربا وإلى العلوم الرياضية لا يجد من نفسه قدرة
 على أن يدعي أنه من الداعين إلى الله سبحانه وتعالى فلا ادري كيف أتى
 ذلك الفاضل بقوله تعالى (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتعلمون
 أحسنه) دليلاً على أن المسلم يسوغ له أن يترك هداية المتقدمين من أئمة
 الدين المجتهدين وكبار الصوفية المحققين ويتبع الزائغين المزخرفين الذين

يجزون التشبه بمن لا دين لهم ولا يتناولون علومهم الا من فلاسفة
الأورباوين ثم يحرفون كلام الله عن مواضعه ويحللون ما حرم الله بفتياهم
فهل الذي يخون الله بأن يفسر كلامه بما يلائم اغراضه وهواه ويخون
رسول الله بنسبته الى أنه كان يعمل للحضارة والتمدن ورفع شأن قومه بين
الأمم ويخون المسلمين في تزوين ما يفتنه الله لهم من الاعمال والاعتقادات
يجوز لمن ان يضافه فضلاء عن متابعتة الى طريق الشيطان الذي حذرنا الله
منها بقوله (انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير)

ولا أدري كيف ساع لتلك الماضل ان يأتي بشرط الآية دليلا على
ما يريد ويترك شطرها الأول مع شدة ارتباط الكلام ببعضه فهل هو في أمة
تناست كتاب الله تعالى ام يظن ان قراء جريدة المؤيد كلهم كفار وفلاسفة
فلقد قال الله تبارك وتعالى في سورة الزمر (والذين اجتنبوا الطاغوت أن
يؤثروا الى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون
أحسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولوا الالباب) فمن سياق الآية
يعلم المقلاء ان الله ما جعل البشرى الا للذين اتبعوا قول الله ورسوله وما قال
الله سبحانه وتعالى تنافسوا في الدنيا وسابقوا اهلها اليها ولكنه أمر بتناول
الانسان نصيبه منها قل او كثر بيد الاعتدال والاستقامة حلالا طيبا مع
اداء الشكر لموجد الاشياء وممر خصها ومذلل الانعام ومكور الليل على النهار
وما قال اتبعوا كل من جاءكم بكلام مزخرف ولكنه قال اتبعوا الرسول
الذي الاى وخوفنا من الانقطاع عن متابعتة بما حكاه عن الامم الذين طال
عليهم الامل بينهم وبين رسلهم فقست قلوبهم وغيروا وبدلوا في دينهم

وما سلكوا ذلك المسلك الا من طريق الفلسفة التي يريد ان يسلكها
 بنا هذا الفاضل كمن سبقوه من أئمة الفلاسفة مع ان العوام والمحجابين القلوب
 السليمة من علماء الأمم لا تقبل قوايلهم سلوك هذا المسلك الذي لم يخلق
 الله من هم له أهل الا المتفلسفين لانه مسلك يحتاج الى دهاء ومكر
 وخدعة وتحايل وتدليس وزخرفة أقوال وتظاهر بحسن أعمال وإثارة
 فتن وحسن سياسة وتحسين القبيح وتقبيح الحسن وتليدس الباطل ملابس
 الحق ويحتاج الى إتيان فن النفاق والتملق والزندقة وغير ذلك من الاوصاف
 الشيطانية وأرباب القلوب السليمة من العوام والعلماء لا تقبل قوايلهم ذلك
 فلهذا قلنا ان التبديل والتغيير الذي حصل في الاديان السابقة ما كان
 الا من المتفلسفين الذين هم اصحاب الفتن وكانوا احق بها وأهلها وكان الله
 بعباده خبيراً بصيراً

وأما قول الفاضل ان المسلمين حصرُوا كل العلم في الأقدمين
 وجمدوا مع ما قالوه وحكموا بلزوم الوقوف معه ولو عارض مقتضيات
 الأزمنة والامكنة

فإنه قول لا محل له من الاعتدال ولم يكن بقول حكيم عليم وربما
 كان صدوره عن سهو أو سبق قلم لأننا لا يجئنا باعث على القول بأنه يجهل
 ما هو العلم وما هو الدين إذ من البديهيات التي لا يجهلها من له أقل حظ
 من الذوق والادراك وحسن التصور أن المعلوم لا تحصى أعدادها وكل
 علم له معلوم هو متعلقه وكثرة المعلوم تابعة لكثرة المعلومات وكل علم
 مضاف في التعريف الى متعلقه فيقال علم التاريخ وعلم المنطق وعلم البيان

وعلم الحديث وعلم الفقه وعلم التصوف وعلم الاخلاق وغير ذلك من
المعلوم وللمدين علوم خاصة به والدنيا علوم تخصها وما جاءت معلومات الدين
الا من طريق الرسالة ومنها ما هو محدد ومسنون لا يجوز الابتداع فيه
كالاحكام المفروضة والحدود القصاصية التي جاء بها صريح القرآن ومنها ما هو
غير محدد كالاآداب والاخلاق فيكون متعلق علم الفقه بالمعلومات المحددة
المسنونة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن القرآن الحكيم وهو
علم لا يزيد فيه مخلوق ولا ينقص لانه هو العلم اى المعلومات التي عندها الله
بقوله (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا) فخرن المسلمون هنالك وعلموا أن اجل النبي قد قرب

ومن ذلك علم الآداب والاخلاق الذي اقتبسها القوم المطهرون من
اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم المشار إليها بقول أم المؤمنين كان
خالقه القرآن فتأدبوا بما علموه وتحققوا منه بما تحققوه وتناولوا ذلك تابعا عن
تابع وقد كان حكم تلك الحدود والأحكام والآداب في الاسلام كحكم
حروف المجيء في الكلام فكما انه ليس في طائفة متكلم عربي أن يأتي
بحرف زائد على حروف المجيء فكذلك لا قدرة لمسلم أو غير مسلم أن يأتي
بخلق كالي أو أدب ذوقي أو حكم شرعي لم يكن معروفا للمتقدمين وعلى
هذا البيان يكون الجمود على متابعة المتقدمين من اكل مزايا الانسانية
والانحراف عن متابعتهم من أخس النقائص ولو ان ذلك الفاضل تفتن
لحكمة مشروعية الدين لا اعتدل في قوله واسكنه شطح وراء من شطحوا
ثم تناول الدين بيد الاجنبي المتلاعب فانكمش منه وتحجب كما هي عادة

الملاح إذا صادفهم من لا يحفظ لهم حرمة ولا يرجوا لهم وقارا
وأما العلوم الدنيوية المعبر عنها بالفنون الرياضية الآن فما هي من
الدين ولا هي من مهمات الاتقياء ولا من ضروريات أهل الخشية من
العلماء ولكنها من لوازم السياسة والروابط العمرانية والإصلاحات
الحديثة التي أشار إليها الفاضل في مقالاته ولكل معلوم عالم ولكل مسلك
سالك ولكل غاية طلاب ولكل مليحة أحباب

وأما العلوم الوهية التي أصر الله نبيه بطلب الزيادة منها فهي علوم
ذوقية لا أحد يحدها ولا راد يردها وهي للأتقياء في مقابلة الإلهامات
للأشقياء الذين أشغفهم الله عنه بما بين أيديهم من الشؤن والشهوات وهو
مفهوم قوله تعالى (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) وذلك مدد
لا ينقطع ما دامت السموات والارض (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من
عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) (ولقد فصّلنا الآيات لقوم
يعقلون) (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا
اعتمدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل
يشوي الوجوه بأش الشراب وساءت مرتفعها) ومن أظلم ممن ظلم نفسه
بالركون إلى الضلال بعد ما تبين له الهدى فاليستعمل العتلاء عقولهم
واليستمدوا أفكارهم في هذا الموقف الحرج والمقبة المخيفة ليتبينوا طريق
النجاة فإن زخرفة الأقوال لا تغني من الحق شيئا وكفى العتلاء موعظة
ما حكاه الله عن إبليس من قوله لم تبعيه (وما كان لي عليكم من سلطان إلا
أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) فلي الاتقياء العاقل

والبيك الرشيد والباشا المتمايز وطالب العلم الفطن والعالم النبيه والقاضي
الشرعي والأهلي وكل من تحوزه دائرة الإسلام أن يتثبت في هذا
الزمن ويتبصر في كل ما يدعوه إليه الداعون تبصر الحكيم المحترس الذي
يرى النار خلفه والموت أمامه ويرى حوله ذئاباً وثعالب وأسوداً ضارية
ويرى المأمَن وهو ما والداعين إليه مختلفين في الإشارات وفي المواقف فمن كان
ذاعقلاً وافر وفكر سليم لا يلقى بنفسه إلى الهلكة بمجرد دعوة من أي
داع إلى أي مأمَن بل يتخير الداعين ويؤم مأمَن الآمين والله يقول الحق
ويهدي السبيل

﴿ الباب الخامس ﴾

قال فيه ذلك الفاضل النبيه أن الله حدَّ للعقل وظيفته سواء في
المعارف العلوية أو الأرضية فاما من جهة المعارف العلوية فقرر له بقوله تعالى
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً أن إدراك الله فوق
متناول العقل فليس لنا إلا مجرد الإعتقاد بوجوده على أتم وجوه التنزيه
وأما من جهة المعارف الأرضية ففتح لنا كتاب الطبيعة وأمرنا بدراسته
قائلاً (أنظروا ماذا في السموات والأرض)

ثم قال في مقارنة هذا الباب إن المسامحين تعدوا تلك الحدود وجافوا
ذلك الأصل الذي هو من أصول الدين وقضوا قروناً طويلة في مناظرات
عجيبة ليست من وظيفة العقل مثل قولهم هل صفات الله عين ذاته أو غيرها
وهل الله في أحكامه يراعي فعل الأصلح أولاً يراعيه إلى أن قال إنها تراكم
معجزة لا تفيد الطالب شيئاً

وعن ذلك نقول إنه قد افاد العقلاء بما جاء به في هذا الباب من الاعتراض العلم بأنه غير عالم بحقيقة الجدل الذي وقع بين أهل السنة وبين المعتزلة في نسبة أعمال الإنسان ومعرفة مصادرهما فقال العقلاء إن الله هو الخالق لجميع الأعمال وإلكن الإنسان هو مصدرها لهم إن الله هو خالق كل شيء وهو الميسر والميسر وممد القوى الباطنية والظاهرية وهو خالق القوابل والإستعدادات والمخصص لكل قابلية عملها في جميع أنواع الموجودات لأنه المدبر الحكيم المبدع لهذا النظام التكويني ومن كانت حكمته منزهة عن السبب وأعماله بعيدة عن الملل والأغراض لا يسأل عما يفعل

وقال الجهلاء كيف يكون هو الفاعل والمخصص والميسر ويكون المذاب واقماً على من صدر منه العمل فلماذا لم يفعل ما فيه المصلحة لعباده وفي هذا الموقف الخرج ضل من ضل واهتمدى من اهتمدى وذلك الموقف هو انفصال بين السعداء وبين الأشقياء فأنجما من نجا من العلماء إلا يتجاوز هذه العقبة ولا هلاك من هلك إلا بالخوض في ورطات أوحاها وقد تهاون بها الطبيعيون وسخروا بأهلها فهلكوا وهم لا يشعرون وما كان نزاع العلماء في هذا الموضع إلا رحمة بالعوام لكيلا تهوى بهم شبهات أهل الضلال في مصارع الكفر والفسوق كما هوت بأهلها وأما النزاع في مسألة الصفات فما هو بحث في الذات كما يقول ذلك الفاضل ولكنه فرار من دعوى تمدد الآلة لكيلا يظن الجهلاء صحة اعتقاد المسيحيين في أن الله ثالث ثلاثة فلذلك اجهد العلماء نفوسهم في توسيع نطاق الإستدلال النظري ليحولوا بين طلاب العلوم الدينية وبين الشبهة الزيفية فكان ذلك حسرة في قلوب الطبيعيين الذين

لا يهتدون ذلك البهت وظالما اعترضوا العلماء من قبل ذلك الفاضل واستقدموهم
وإنهم والله لن يضلوا بهتد وإنا لا نجد فيما نعلم قولا حقا ينطبق مفهومه على
حال أولئك الضلال إلا قول الله تبارك وتعالى (فأما الذين آمنوا فعملوا فيه أعمالهم
الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) وما علينا
إلا أن نبين لهذا الأديب أن اتباع مناهج المضامين الضالين لا يجمل بأمثاله
لأننا ما سمعنا عنه إلا خيرا وكذلك ما سمعنا بأحد من العلماء بحث في ذات
الله ولا ادعي أنه لاحظ به علما كما أدعت الفلاسفة ذلك بما سبق ذكره من
قول ابن رشد أن الباحث في المعلومات الكونية متى تنهى بحثه قابل ربه
وجها لوجه فيعلم ما يعلم ويعمل ما يعمل وهذه هي الإحاطة به علما وأما
الذين تنازعوا من المسلمين فيما ذكره هذا الفاضل فما كان نزاعهم إلا لدواعي
دينية وذلك لأن الله سبحانه وتعالى أرسل رسلا وأنزل كتباً ينادون
بأن هذه الموجودات لها موجد لا تدركه الأبصار ولا تصل إليه المدارك
الحسية ولا التصورات الفكرية ولكنه تعرف خلقه بأسمائه وصفاته
وأفعاله وكان من جملة أفعاله إرسال رسوله الكريم وتأيدته بما بهر العقول
وأدهش الأفكار فآمن الناس في زمن الرسالة بالله ورسوله وكتبه إيمانا عن
عيان وشهود ذوق كالتصديق بالمحسوس برأيا العين لأنهم عاينوا آثارا ظاهرة
يقينية عينية لم يحتم حول إدراكهم لها بالمدارك الحسية والمعنوية شك
ولا ارتياب ياجوهم لاستعمال مباحث النظر والاستدلال ثم تابهم في ذلك
الإيمان التابون لهم ثم من تابهم فلما تقدم العهد ظهر المنفسفون الذين
ذكرنا من قبل أنهم جرثومة الفساد في كل أمة متدينة لأنهم إخوان الشياطين

وأعوانهم بل هم شياطين الإنس فأخذوا في إحداث البدع وإنكار ما أثبتته
الرسالة من أن الله هو خالق كل شيء وزعموا أن الإنسان بل وكل ذي
عمل تأثير هو مؤثر بطبعه وعامل بما هو مودع فيه من القوى التي
وهبها له ذلك الموجد الذي زعم الفاضل أنه ليس لنا إلا مجرد الاعتقاد بوجوده
فتغطن المسلمون لهذه الخدمة التي ماوراءها إلا نسبة الأعمال للطبيعة وقواها
الأمالة كما يزعمون فنادوا في الناس بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الدعوة إلى معرفة الله تعالى الذي هو خالق الطبيعة وموجدها من
طريق اسماء وصفاته وأفعاله فوقع النزاع بين أهل السنة وبين المتفلسفين
الذين منهم المعتزلة والجبرية وغيرهم وذلك ما هو إلا مصداق قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذوا النمل
بالنمل حتى إن كان فيهم من أتى أمة علانية لكان من أمتي من يصنع ذلك
فإن بني إسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة وستفترق أمتي على ثلاث
وسبعين ملة كلهم في النار إلا ما عليه أنا وأصحابي وهذا هو الذي الجأ أهل
الإيمان إلى الجمود على ما نقله الأئمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما كان تنازعهم مع الرافعين من الطوائف الأخرى إلا خوفاً على عقائد
العامّة من الشك والشرك والزيغ الذي هلك في مصارعه المتفلسفون من
حيث لا يشعرون وهل النزاع في مسألة أو مسألتين أو مائة مسألة أبدي
فيها كل ذي رأي رأيه يقضي أن الفوم قضوا قروناً في ذلك النزاع مع أن
الباحث في مؤلفاتهم عن تلك المسائل من بين ما دونوه من مسائل
الهدمي والإرشاد والآداب الدينية والأحكام الفقهية في العبادات

والمعاملات التي شرعها الله لعباده بما قضى زماناً طويلاً ولم يوصله البحث إلى
الوقوف عليها إلا برشد لأهلها لم تكن في جانب مادي نوه شيئاً مذكوراً
وما كان ذلك النزاع شائعاً لهم عن تصحيح كل منقول ديني على الوجه
الذي يرضاه الله ورسوله فجزاهم الله عن الأمة وعن الدين خيراً إذ لولا أن
الله القدير الذي هو رؤوف ولطيف بمعباده جعلهم حاجزاً بين العامة وبين
الفلاسفة لعموا بهم في تلك الأزمان ما فعلوه بأهل هذا الزمن الذي
ظهرت فيه الفتنة التي نقلها هذا الفاضل في مقالاته عن سفيان ابن عيينة
وهو عن ربيعة إذ رآه يبكي فقال له ما بك بكى فقال رياء ظاهر وشهوة خفية
والناس عند علمائهم كالصبيان في حجبهم أمهاتهم فظن هذا الفاضل أن ذلك
الإمام كان يبكي على تقليد الناس للعلماء فجاء بكلامه دليلاً على مقت التفليد
وإنه انحط في العلم وفساد في التصور لأن بكاء ذلك التقى كان على حال العلماء
الذين يظهرون الزهد والتقوى والشهوات ملاء بطونهم لعلهم أن ذلك
هو السبب الأقوي لفساد أحوال العامة لأنهم كالصبيان في حجبهم والصبى
الذي في حجر أبيه تابع لأبيه في فساد الأحوال ومصلحتها فيكون الممقوت
بسبب الفساد هو الوالد لا الولد لأن الآباء مسؤولون عن حال الأبناء ومضى
فساد حال الآباء فساد حال الأبناء فكان فساد حال العلماء هو سبب بكاء
ذلك التقى إذ لا يتصور عاقل أن الناس كلهم يكونون علماء وأولى بحث
وتدقيق وتنقيب عن المنقول لأن الغالب منهم مشغول بأمر دنياه وما جعل
الله منهم لوظيفة البحث في المنقول والتدقيق ونقل المعلومات الدينية إلا
القليلين فمن أراد أن يكون الناس كلهم غير مقلدين فما أراد إلا تبديل سنة

الله ولن تجد لسنة تبديلاً وإن تجد لسنة الله تحويلاً ولقد صدق القائل
 وما آفة الأخبار إلا زواتها لأن هذا الفاضل لو كان من أهل هذه الطائفة
 أغنى طائفة الصوفية لفهم عن ربيعة كلامه وما معناه إلا هني ما حكاه سفيان
 ابن عيينة بعينه عن الفضيل ابن عياض رضي الله عنه إذ قال له كنتم معاشر
 العلماء سراج البلاد يستضاء بكم فصرتم ظلمة وكنتم نجوماً ابتد بكم فصرتم
 خيرة أما يستحي أحدكم أن يأخذ من مال هؤلاء وقد علمتم من أبي هوشم
 أسند ظهره وقال حدثني فلان عن فلان وسفيان مطأ طاء رأسه وبسمع
 فرفع رأسه وقال هاه هاه والله إن كنا لسنا من الصالحين فإنا نحبهم فسكت
 الفضيل ثم طاب منه سفيان الحديث فحدثه ثلاثين حديثاً عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وقد كان سفيان عالماً ولكن ما استنكف أن يتعلم من الفضيل
 ولا أن يقتدي به وما كان بكاء ربيعة وكلامه إلا تملأ سفيان لا مقتاً للعامة
 المقلدين لعلمائهم ولو أن ذلك الفاضل تبين سنة الله في خلقه حيث جعل
 المتقدم قدوة للمتأخر حتى في الحرف والصنائع لما تهور هذا النهور الذي خرج
 به عن دائرة الإرشاد والنصح إلى حوزة الإغواء والإضلال والنيمة بين الله
 وعباده بما يعلم الله أنه باطل ولا موضع له من الصدق فكان حكمه عند ربه
 حكم القائل وهو في سكرات الموت ما نقله عنه النافلون حيث قال
 ولست أبالي أن يقال محمد أبو أم اكتظت عليه المآثم
 ولكن دينا قد أردت صلاحه أحاذر أن نقضي عليه العمام
 فكان هذا مصداق قول الإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى
 عنه إذ قال من لم يتعامل في علمنا هذا مات هراً على الكبار من حيث

لا يشعر يريد علم الصوفية ومصادق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
يموت المرء على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه وقد كان ذلك الفقيه
مفر ما بذم العلماء فلم تشغله سكرات الموت عن اعتناق تلك الشهوة عند
الإحتضار ولم يتفطن إلى أن النية والإزدراء كبيرة وأنه ربما كان هو
المضيق للدين بما كان يعمل ولو لا تحجير رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا
بقوله اذكروا محاسن موتاكم لظهرنا حقائق الأمور وبيننا كل مستور
ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة (وإنه لتقدير
ويعفوا عن كثير والله غفور رحيم

وإن العقلاء ليملمون أن الاستشهاد بالآيتين لا يقع موقع المطابقة
التي تكون بين الدليل والمطلوب لأن قوله تعالى (ولا يحيطون به علما)
لا ينفي غير الإحاطة به وهي في نفسها لا يتصور وقوعها متصور لأن
الصنعة لا تدرك الصانع إلا إذا أودعها قوة ذلك الإدراك والله سبحانه
وتعالى لم يعط مخلوقا قوة الإحاطة به ولكنه ما حجب بهذه الآية أو
غيرها على العقول أن تحاول معرفته بل طلب منها ذلك بإشارة قوله تعالى
(قل انظروا ماذا في السموات والأرض) فحول ذلك الفاضل الحقيقة
عن مفهوم الآية وصرفها إلى ما زعمه من أن الله فتج للناس كتاب الطبيعة
ليدرسه وما ورد اسم الطبيعة في القرآن ولا في أحاديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل أن رسول الله حكم بكفر من يقول مطرنا بنوء كذا
يشير إلى اعتقاد البدو إذا عابوا الرياح التي تتقدم الأمطار في الغالب لأنها
هي التي تحمل السحاب فيسوقه الله بها إلى أي مكان يريد فيسمونها أنواء

ثم يقولون مطرنا بنوء كذا فيظنون أن التأثير في إيجاد المطر للأنواء والحقيقة أن المؤثر هو الله ولو أن هذا الفاضل تبين أن الوقوف عند الطبيعة كان سبباً لوقوع أقوام كثيرة في مهواة الزيف وزلة الأقدام لما اتخذ الآية الشريفة دليلاً على هذا المصراع الوخيم والله در الصوفية فإنهم لا يأتون بيوت الإرشاد إلا من أبوابها ولذلك تدينوا من قوله تعالى (الله نور السموات والأرض) مفهوم قوله تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) وقوله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) فتحققوا أن مراده تعالى من تطاول اعناق افكارهم وشخوص أبصار بصائرهم معرفة أنه مع كل شيء وفي كل شيء ووراء كل شيء فما استحقروا شيئاً ولا أعرضوا عن شيء خوف الوقوع في قوله (وكم من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون فكان حالهم مع العوالم حال القائل

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدار

وما حب الديار شغفت قلبي وإنما حب من سكن الديار

وأما الطبيعيون فقد احتجبوا بالجدار عما وراء الجدار فكانوا من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ومن اظلم ممن نصب له الحبيب أعلاماً ليستدل بها عليه ويصل بها إليه قبل أن يحول بينه وبينه حائل الموت فتشاغل عنه بتلك الدلائل حتى حيل بينه وبينه بحائل لا يتحول ومن أسوأ حالا ممن فتح الله له أبواب التعرف فأغلقها على نفسه بنفسه وفتح لنفسه باب العوائق والقواطع ولكن الطبيعيين يقولون إن البحث في الطبيعيات أقرب دلالة

على الله من كل طريق وإنهم والله الكاذبون لأنه لو كان كذلك لكان
الأطباء هم أولياء الله وأحبائه وإنا لا نجد في الناس من هو أقسى قلباً منهم
إلا أوباش الدوام وكذلك كل طبيعي كلما تفول في تفقد تلك المملومات تباعد
عن ربه بملء وعمله لأن كل عمل لا يكون باعته متابعة السنة مردود على
عامله ولكن أكثر الناس لا يفقهون

وعلى هذا البيان يرى العقلاء أن المسلمين ما تركوا شيئاً من أصر
دينهم إلا من كان منهم من أهل الملاحى أو من ناشئة هذا الزمن الذين
أضرت بهم الفلسفة أيما ضرر وأساءتهم في دينهم أيما إساءة وكانت حاجزا
قويا وسدا حديدياً بينهم وبين ربهم الذى ما قطع إحسانه عنهم طرفه عين
فترام يتقلبون في نعمه ويتعرضون بها إلى سخطه ونقمه حتى أصبح الدوام
أحسن منهم حالا وما آلا

ولقد أضرت بهم كتب التواريخ ومعلومها ضرراً بليغاً لأنهم توهوا
أن طول أمد الدنيا وقدم عهد وجودها دليل على أن كل ما فيها طبيعي
الوجود وما ذلك إلا من سيئات تعبير المؤرخين وسوء تفهيم المعلمين فقد
القوا إليهم أن المتدينين يعتقدون أن مبدأ الدنيا وجود آدم وما ظهر آدم إلا
من عهد قريب لا يتجاوز سبعة آلاف سنة تقريباً والدنيا أقدم من ذلك
بلايين من السنين ثم استدلووا بذلك على قصور أفهام كل متدين وما كان
القصور إلا في أفهامهم وما كان الضلال إلا في ظلمات شبهات إعتقاداتهم
لأن عقلاء المتدينين يعلمون أن آدم آخر الموجودات وجوداً وأنها تقدمته
بأمد غير قريب ولكنهم لا يشغلون أنفسهم بما لا يفتيهم لأنه لا ثمرة في

البحث في الموجودات إلا معرفة الموجد والإيمان به وإنهم ليعلمون أن مجرد الإيمان به لا يستجلب رضوانه ومحبته وكل عبد محتاج إلى رضوان سيده ومحبته وصريّة التقرب إليه فيبحثوا عن طريق التقرب واستجلاب الرضوان فما وجدوا سبيلاً غير سبيل الخدمة واستعمال الآداب التي جاءت بها الرسالة فاشتغلوا بهامع إجهاد نفوسهم في مدافعة الذين يصدون عن ذلك السبيل بالنزاع الذي مقتته هذا الفاضل في مقالاته وربك أعلم بمن هو أهدي سبيلاً

﴿ الباب السادس ﴾

زعم ذلك الفاضل أن الله سبحانه وتعالى دعا الأمم إلى اعتقاد أن كل نفس مسئولة عن ذاتها وحاملة تبعه أعمالها على عاتقها لا يغني عنها أحد شيئاً ولو كان من المرسلين وضرب لهم مثلاً ناصراً نوح وامرأة لوط في قوله تعالى (فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِيَيْنِ) ثم بنى ذلك الفاضل على هذا المثل الذي ضربه الله تعالى أن الوساطة ممحوة بين الله وبين عبادة بسبب ذلك المثل وقال إن الله ماض به إلا ليخلص ما بين الرب ومربوبه ثم قال في المقابلة السادسة إن المسلمين أعرضوا عن ذلك كله وزعموا أنه يكفي الإنسان أن يقول إني قلدت فلاناً مع أن العلماء الذين يؤخذ عنهم تبرؤاً من تبعة تقاليدهم وقال بعد ذلك إن هذا هو مكان الأمة الإسلامية اليوم من الأصول الستة القرآنية والتمس لنفسه عذراً في ماجاء به من الغاظة والتهور والحكم بكفر الأمة ثم رجع بعد الاعتذار إلى ما هو

أشد تهوراً وغلظة بقوله إن هذا الدين يجب محاربته ثم أوعده بتعريف المضار
التي تنشأ عن ذلك الجحود بقوله من أراد معرفة ذلك فمعه الفد
وعن هذا الباب نقول أما ما جاء به من أن كل نفس مسؤولة عن
ذاتها وحاملة تبعه أعمالها فذلك هو الأمر الذي تدور عليه دوائر التكليف
الشرعية والآداب الدينية والأحكام الفرضية والحدود القصاصية وقد قال
الله تبارك وتعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) وكم في القرآن من آية
دالة على ذلك منها ما هو بصريح العبارة كقوله تعالى (وكل إنسان الزمانه
طأره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى
بنفسك اليوم علينا حسيباً) ومنها ما هو من طريق الإشارة كقوله تعالى
(يوم ينظر المرؤ ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً) وما
ترك هذا الفاضل كل آيات القرآن وجاء بهذا المثل إلا لفرض يتغنيه وغاية
يطالبها ولكنه لم يصب مرماه لأن المثل الذي ضربه الله في القرآن لا ينطبق
مفهومه على ما يريد ولأن الذي ذكره من الآية ليس هو كلها ولكنه جاء
بالمسبب وترك السبب ليقع الاستشهاد في نظر المطالعين لا قواله موقع المطابقة
لما يدعيه وذلك تلاعب بالدين وخوض في آيات الله وتحريف لها عن
مواضعها قال الله تبارك وتعالى (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح
 وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما
 من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين) وضرب الله مثلاً للذين
 آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من
 فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنة عمران التي أحضنت فرجها

فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين (وما جاء هذا المثل إلا بعد آيات نزلت في بعض أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبات به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني المليم الخبير إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالحوا المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسي ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) إلى أن قال (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسي ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم) إلى آخر الآية ثم قال (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلاظ عليهم وماؤام جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلاً) إلى آخر الآيات التي سبق ذكرها فما كان له المزمع بتفسيره القرآن ثم يقول انه سيذكر في التفسير أسباب نزول الآيات ليكون أقرب للفهم أن يستشهد بآيات الله على ما لم يطابق معناها والمعنى الذي أنزلت بسببه ثم يترك بعض الآية ويأتي ببعض تدليسا وتليسا وما هو إلا مثل ضربه الله للذين كفروا ليعلموا أن الهدى هدى الله وان الخيانة ممقوتة وأن النفاق والخداع من شيم أهل النار ثم ضرب المثل للذين آمنوا بامرأة فرعون حيث كان ظاهرها مع فرعون وباطنها مع الله فنجهاها الله من فرعون وعمله ليعلم الذين كفروا وللذين آمنوا أن المدار على القلوب والأخلاق الكريمة ومراعاة الأسرار وحفظ الأمانة وذلك كله من باب التأديب لزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحفظن حرمة ولا يذعن أسرارهن لأي عارض طرأ على هذا الفاضل حتى

جاء بالآية في مرض ذم الاقتداء ومنع الوساطة بين المبيد وربهم وكيف
ساخ له أن يمنع وسائط التقايد وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مبدأ أمره الا مقلداً لجبريل عليه السلام في غالب أفعاله ولقد قال
الصديق عليه السلام (واتبعت ملت آباءي ابراهيم واسحاق ويعقوب
ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) وما نزل عليه وحى ولا صدرت له من
الله أوامر بل كان مقلداً لآبائه وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل الوحي يعبد الله مقلداً لمن كان قبله من الرسل وما مقت الله ذلك منه
بل أمره بالتباع ما كانوا عليه ثم زاده تعالماً وتأديباً وكيف ساخ له أن يمت
الذي يطمع أن يقر من شدة الحساب بقوله أنا قلت فلانا مع قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتكم شفعاءكم

ولست أدري السبب الذي أوجأ هذا الفاضل إلى مقت التقليد والمقلدين
بغير حق مستند لا بما حكاه عن أبي حنيفة من أنه كان إذا أفتى يقول هذا
رأى أبي حنيفة فن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب فهل جهل هذا
الفاضل هذا الشرط وما هو إلا شرط إمام تقي يجب متابعتها لتقواه وتحريزه
من الخطاء وفراجه من إعجابه بنفسه ومن رضائه عنها ومثل هذا الإمام الأعظم لو
سجن أو ضرب أو أودى بأنواع الأذى على أن يقول بحل المؤودة لفضل الموت
على الحياة ولم يقل بذلك فلو أن أهل زمانه وجدوا من هو أحسن منه رأياً
لا تبعوه وكذلك قول مالك رضي الله عنه لا صحابه عند استنباط كل حكم انظروا
ما فيه فإنه دين وما من أحد إلا وهو مأخوذ منه ومردود عليه إلا صاحب
هذه الروضة فما هو إلا قول عالم عامل مأمون مخوف من متابعة الهوى متبع

لقول الله تعالى (وشاورهم في الأمر) فهل يكون ذلك القول سبباً لتحريم
 تقليد الناس له كلا ولكنه أقوى سبب لوجوب متابعتة وأخذ الدين عنه عملاً
 بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم دينك دينك إنما هو لحك ودمك
 خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين قالوا وما أخذت الأمة دينها
 إلا عن المستقيمين فهل بمد ذلك ينبغي للمقلد فم الاقتداء الذي هو بمعنى
 التقليد والمتابعة وهل قول الشافعي رضي الله عنه للربيع وهو من أكابر
 الأتقياء لا تقلدني في كل ما أقول وانظر في ذلك لنفسك فإنه دين فيه
 مظنة لدم التقليد لا والله بل هو حجة على جوازه لأنه إما خيره في أخذ
 ما يوافق السنة وأمره بالنظر فيما لا يوافقها لعلمه أنه مؤمن قوى الإيمان
 والمؤمن ينظر بنور الله وما ذلك إلا مثل قول الصوفية استغث قلبك وإن
 أفتاك المفتون ولا أدري أهو حديث أم أثر من آثار الأتقياء وأما قول
 أحمد لأصحابه انظروا في أمر دينكم فإن التقليد لغير المعصوم مذموم فما
 هو إلا من باب التواضع ومما نعمة النفس عن الآفات الباطنية التي يخاف
 غوائلها المتقوت كما أنه إن صح أنه هو القائل إن التقليد فيه عي للبصيرة
 وكان الناقل عنه ذلك الإمام الشعرائي فما هي إلا نصيحة يلقيها كل إمام
 لأصحابه الذين يرى منهم الاستعداد للنظر والاستدلال فهل في هذا شائبة
 تحريم للتقليد الذي هو أساس التواتر وجمع دعائم الإيمان ولو لا ما صبح التواتر
 ولا وصل الينا نبأ الدين ولا تأكدنا صدق الرسالة فهل لعافل أن يقول
 إن تحريم التقليد من أصول الدين وبودي لو علمت السبب الذي حمل هذا
 الماضل على هذا التهور هل علم من أوثق الأئمة ما شان سمعهم أو قدح

في صدق متابعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو رأي حكماء من أحكامهم التي استنبطوها مخالفاً للكتاب والسنة أو سمع أن أحدهم قال لمتبعيه أعبدوني من دون الله فأخذت الفيرة الدينية بمخنته إلى هذا التهور الفظيع الذي أُلجأ إلى إعلان الحروب والإستتجاد بالاغنياء والشهراء وأرباب النفوذ من الأوروبيين أم كيف أعجبت هذا الماقل الفاضل نفسه ورضي عنها حتى استخيرها عن فضلاء إحدى عشر قرناً من أكابر هذه الأمة التي يبلغ مقدار عدد أفرادها الثلاثمائة مليون كما قال وكلهم كانوا على هذا الدين القويم الذي تناقلوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام تالله أنه ليضيق صدري ولا ينطق لساني احتراماً لما طالعت في مقدمة تفسير القرآن من قول هذا الفاضل المزخرف الذي ينبوء عن سعة اطلاعه وجودة فكره الذي تحقق به أن الفوق فضاء لا نهاية له وما فيه إلا الكواكب وأقلامها ولا كنى لم أصل في تفسيره إلى قوله تعالى (والسماء بنيناها بأيدي وإنا لموسعون) وقوله (وبنينا فوقكم سبعة أشداد) ولا أدري بماذا فسر هذه الآيات وهل راعى في تفسيره قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مشيراً إلى الله سبحانه وتعالى إن الملائكة الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه أتم وقوله تعالى لنبيه (قل هو نبي أعظم أتم عنه مرضون ما كان لي من علم بالملاء الأعلى إذ يختصمون)

وليت شعري إذا حارب هذا الفاضل الأمة الإسلامية في دينها وفرض من لا عقل له أنه انتصر في حروبه وأصبح لها قائداً فإلى أي طريق يوجهها وأي مسلك يسلك بها مع علمه بأن أبواب الرسالة مغلقة وأن

النبوة ما قضى الله ختامها وأن اهلى أوربا رفضوا كل دين وأن الفلاسفة لا دين لهم لأنهم هم القائلون الناس رجالان عاقل لا دين له وصاحب دين لا عقل له فهل يسلك بها إلا المذهب الذي يحاول الفلاسفة من زمن غير قريب أن يذهب إليه كل متدين ألا وهو ما عليه الطبيعيون الذين يعتقدون أنه لا إله إلا القوي الطبيعية وأظن أنها هي التي أشار إليها الله سبحانه وتعالى بقوله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) فهل من الانصاف أن يدعوا هذا الفاضل إلى الحرية وينادي على الإنسان أن لا يلق به أن يكون غير مقيد بقيود ثم يأتي بما به يريد أن يجمع الناس على ما يعتقد هو أو ما يعتقد سفيهاء الطبيعيين الذين غرتهم الظواهر الكونية وأهملتهم الفوائد الفكرية ألا يعلم أنه كما وجد هو من نفسه باعثاً بعثه إلى رفض هذا الدين الذي عليه الخيار والأكبر وإنه لم يجمع الكمالات الإنسانية وغلبته نفسه وظنونه حتى مال إلى اعتناق الطيش المسمى الذي هو اضر من كل طيش ثم بعثه ذلك الوجدان النفساني إلى أن يقف بنفسه موقف الحرية التي لا يخشى فيه لومة لائم كذلك كل متدين متمسك بدينه يجد باعثاً من نفسه يبعثه لرفض ما ذهب إليه هو فلماذا لم يترك لكل ذي عقل نصيبه من الحرية لكيلا يحتدم الحرب بينه وبين العقلاء أم توهم ذلك الفاضل أنه إنما يلقى ما يقول بين قوم فقدوا الشعور والإدراكات الذوقية فهم لا يميزون بين استقامة الاعتدال واعوجاج الطيش ولا يفرقون ما بين محاسن الآداب الدينية وبين مساوي الآداب المدنية إن هذا والله لا جحاف بحقوق الوطنية وانحراف عن الاعتدال في المعاملات الأدبية وتجانف عن مضامع اللطائف السلمية الذوقية

إلى مواجع الآلام المصائبية الوحشية لا يعلم ذلك الفاضل انه إنما هاجم
كل متدين بأسلحة المدون وفاجأه بمسمومات من سهام الطفيان اليس
لذلك الفاضل من الشهور وحسن التصور ما يتخيل به انه إنما وقف في
مواجهة كل مسلم قاتلاً دينك ملامون وانت غبي ومجنون وسأهدم لك
ما بناه اسلافك واقطع ما بينك وبين نبيك وربك وسأتيكم ايها المسلمون
بجنود من التمويهات الزيفية والخارف الفلسفية لا قبل لكم بها ولا اقبل في
الفتك بما انتم عاكفون عليه شفيماً ولا تأخذني بكم رأفة في دين الفلسفة
والزيغ فإن كان ذلك الفاضل تخيل من نفسه هذا الموقف ثم قدم عليه
عمداً مضطهداً كان من الماديين الذين لا يحفظون حرمة الجوار ولا
يخافون غضب الجبار وإن لم يكن عنده من الفكر ما يوقفه على نتائج الاعمال
ويبصره بسيئات الأحوال كان من الأحداث الذين يؤزهم الشباب أزا
ألا يعلم ذلك الفاضل أن للأمة شعوراً ذوقياً وإحساساً أدبياً يلجؤوها
إلى حفظ حرمة مآدِينت به وإن لم يكن حقاً فهلا تخيل حال اليهود
والنصارى فيما حكاه الله عنهم بقوله (وقالت اليهود ليست النصارى على
شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء واستحضر في ذهنه أنه لو ان
فرداً من أفراد الدول التي حاربت أهل دينها وقهرتهم وإن كان مبغضاً لدينه
قام أمامه في موقف جدل أو مشاجرة ثم قال له إنك على غير دين يا يهودى
او يا نصرانى وأن أسلافك كانوا ضالين فهل يتفارقا عن تراضٍ إذ ذاك
أو يحتد بينهما الخصام والجدل فلماذا لم يتصور صدور هذا العمل المدهش
الذي أساء به أهل وطنه وأبناء دينه إن كان من أبناء الدين وأحبائه كما

يدعي إن هذا هو البلاء العظيم

تبارك الله ما أحلم المسلمين وما أسلم قلوبهم وما أصبرهم على الأذى
وترادف المصائب المؤلمة في آن واحد من الأقارب والأجانب قامت الدول
الأجنبية في مقام الاستخفاف والإزدراء واتخاذ وسائل الممذرة قبل استعمال
القدر والإساءة قائلين لقد دب في قلوب المسلمين ديب التعمصب الديني
حتى ضحكت الشككي وتروح بتلك الألغام السياسية المحزون وإنها لأحوال
ينطبق عليها قول القائل

أمور تضحك السفهاء منها ويبكي من عواقبها السليم

وقام هذا الفاضل في أثرهم ينادي على المسلمين بأصوات مزعجة وأقوال
مؤلمة إنكم لأعداء الإنسانية وأضداد التمدن وعلى دين مبدل ألم يكن لهذا
الفاضل جوار مسلم تدعوه المروءة وحسن الخلق أن لا يؤذيه أليس لأمه وأبيه
عليه حق إن كانا مسلمين وقد حكم على من مات من آباءه وأجداده أنهم
على غير دين الإسلام وحكم على الحاضر منهم أنه عاش أحمي البصيرة لا يصلح
إلا للنار فهل ينبغي لما قل فطن أديب انتصب لتحويل أُمم يبلغ عددهم
ما قال عن دينهم إلى دين يزعم أنه أولى الناس بالإرشاد إليه وأنه هو أدري
به من كل مسلم أن لا يلاحظ ما بيناه وما وراءه من المؤلمات وأن يعمل
عملاً قبل أن يتبصر في مآله وعاقبته أهكذا يكون عمل المرشدين أهكذا
يكون عمل العلماء أهكذا يكون عمل العقلاء أهكذا يكون عمل من يدعي
أنه أعرف بما كان عليه رسول الله من كل مسلم ألم يعلم ذلك الفاضل
العاقل أن الدعاوى التي تكذبها قرآن الأحوال باطلة أقول هذا وأنا ظان

وعالم بأن بعض الظن إثم أن الرجل نظر إلى فلاسفة أوروبا وفلسفتهم بالبين
التي نظرت بها سحرة فرعون إلى عصا موسى وعملها إذا وأعمالها فوق
عملهم فالتجأوا إلى الإيمان بموسى فكان ذلك الفاضل من قبل مطالعة
تواريخ الأورباويين وفلسفتهم يتقلب في الفنون الرياضية بلا مرشد ولا
معلم متردداً بين الدين والفلسفة وما علم من الدين إلا ما يسمعه ويراه من
أحوال بعض الأزهريين المتفلسفين الذين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء وما
علم من الفلسفة إلا ما أشار الله سبحانه وتعالى إليه بقوله (يعلمون ظاهراً
من الحياة الدنيا) وبقوله (ذلك مبلفهم من العلم إن ربك واسع المغفرة هو
أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) فلما أقيمت بين يديه عصى
التمدن والفلسفية الأورباوية هاله أمرها فآمن بالذي كفر به المسلمون وقام
لمحاربهم وراء الدين ظنوا أنهم استفتحوا (وخاب كل جبار عنيد) جاء ذلك
الفاضل بعد ما أثقل البعير بما جاء به من الطعن في الدين والتحذير من متابعة
أئمة المسلمين ودعوي أن التمسك بالدين جمود أمات القلوب وذهب
بالشعور بمبدأ الخالص من ذلك الجمود فقال إن الخالص منه هو مكافحة هذا
الدين المبدل ومحاربه وزعم أنه قارن بين الدين الذي عليه الأمم الإسلامية
من عهد القرن الثاني إلى الآن وبين الدين الحقيقي فوجد الخلاف بينهما
جوهرياً فالزم نفسه إهانة هذا الدين وأهله وزعم أن الإهانة غير مؤلمة
لهم لأنهم رضوا بالإهانة والهزائم وقال

من بين يسهل الهوان عليه ما لجرح يميت إسلام
فكانه عني الله عنه وعافاه يشير إلى سكوت العلماء على ما كان من

سفهاء الفلاسفة والمبشرين من محاربة الدين بما يلقونه في المجمع وعلى
صفحات الصحف من التموهات والنضائيات أو يلوم العلماء على عدم
موافقتهم للفلاسفة فيما يدعوا الناس إليه وذلك ما يشير إليه قوله تعالى لنبيه
(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) ولكن العلماء
قد تمسكوا بما جاء عقب هذه الآية من قوله تعالى له (قل إن هدى الله
هو الهدى وأئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا
للمن الظالمين)

ولقد احتج ذلك الفاضل بما كان من الإمام الغزالي من الطعن في
بعض العلماء الغير المأمولين من أهل زمانه وبما جاء في القرآن من الزواجر
والقوارع وبنصائح الخلفاء وذلك كله ما هو إلا من باب اللفظ والمغالطة
وخلط العمل السيء بالحسن وإلا فما معنى الإستشهاد بما يتقوى به الدين
على ما يضعف الدين ويوجب ثلثون منه فهل هو الآن يناهض بما نادى
به الخلفاء الراشدون من تذكر الموت والنظر في أمر الآخرة وتقوى الله
في كل عمل وعدم التشوف لما افتتن فيه الكفار وهجر الحرص والطمع
ومجاهات الشيع وموالات الفرائض وتجنب الكبار وما يماثل ذلك من
النصائح الدينية ولم يجد على ذلك معينا كلا ولكنه يرمي لغرض آخر يتبينه
العقلاء من خلال تخيلاتهم التي طرحها بين أيديهم الجريدة التي اتخذوها
للمتلفسون أكتانا لسهام قسى طعنهم في الدين وأهله

ولقد أثنى ذلك الفاضل على مدارس الدنيا ثناء جميلا وزعم أن العلم
فيها قد أزهروا في ثمراته الجليلة إلا المدارس الدينية التي جمدت على الأساليب

القديمة وأدعى أن أهل هذا الجمود حرموا على أنفسهم العلم النافع فحرموا
صراياه وزعم أنه لو كان كل أفراد الأمة على هذا الجمود لما حدث فيها
أي ترقى مطلقاً

ثم في جريدة يوم الاثنين ٧ رجب جاء ذلك الفاضل بما يشبه ما يراه
النائم في عالم الخيال بالرؤيا المنامية قائلاً أنه تخيل أنه يشاهد حروباً هائلة
سببت بين الأديان وبين المدنية كان الانتصار فيها للمدنية وتخيّل أن تلك
الحروب قد انتقلت إلى الدين الإسلامي بتسلط المدنية الغربية على أهله
ورأى أن الأمة قد توالى هزائم دينها أمام المدنية وسأل نفسه عن هذه
الهزائم ما سببها وهل المضاد للمدنية والمهزوم أمامها هو الدين الإسلامي الحقيقي
أو الدين المبدل فقالت له إن الدين الإسلامي لا ينافي المدنية ولا يضادها
ولكن الذي وقف أمام المدنية هو الدين المبدل ثم قال في بقية تلك الرأيا
أنه أطال البحث هو ونفسه معه وطافاً على مواطن المطاعن وجاساً خلال
معاهد هاتيك المشاهد فرأيا أن المهزوم أمام المدنية هو الدين المبدل ثم
استكشف العدد الحربية فوجد أساحة تستخدمها المدنية في اكتساح الأديان
وما هي إلا التخيلات والظنون التي زينها الشيطان لكل متفلسف من قبل
أن يظهر الله الدين الإسلامي على الدين كله نذكر منها أوصاف أقوى
سلاح أعده السفهاء لمحاربة الدين الا وهو قولهم إن الإنسان يمر من حياته
على ثلاثة أدوار دور الدين ودور الفلسفة ودور العلم ففي الدور الأول
يعيش بالدين راتعافى أحلامه وأوهامه لا يعرف غيره مرشداً ولا غير كاهنه
هادياً وفي الدور الثاني يتيقظ عقله وتهب مداركه فيشك في القديم المتحجر

فيميل للتبديل وبناء المقائد الجديدة والذب عنها وفي الدور الثاني دور العلم يصل إلى أرقى الأدوار فيعلم أنه سبب السعادة ويكون قد بلغ رشده فلا يستطيع أن يقيد نفسه بقيد أو يضع مواهبه تحت عبء التقليد فيعلم أن الدين كان كله خيالات وأوهام لأنه لم يأت بأدلة حسية تثبت الحقائق التي يدعيها والعلم لا يقبل إلا ما كان من الحقائق ثابتاً بأدلة حسية

ثم قال ذلك الفاضل أن الحرب القائمة هي بين أصول مدينة أوربا القائمة وبين أصول ديننا الجامدة التي هي ضد الإسلام على خط مستقيم وأدعي أن هذا الدين الجامد ينازع المدنية في طلب السيادة على الأمة وسينتهى الأمر به إلى هزيمته كما انهزمت الأديان قبله وأدعي أنه إنما يخشى توهم الأمم أن المهزوم هو الدين الإسلامي وما هو إلا الدين المبدل في زعمه الذي كان سبباً لانحلال هيئتنا الاجتماعية وأنه لا دواء لهذا الداء إلا الرجوع إلى الدين الإسلامي الذي أوعد ذلك الفاضل ببيان قواعده وأصوله بمقالة مقالاته في المؤيد تحت عنوان بحثي اليوم بعد أن قال أنه تخيل أن بحثه أحدث تأثيراً في نفوس كثير من الأمة وأن الناس ميالين إلى أن يبين حقائق الدين للمسلمين وقد تمدح بأنه غير ضان على الأمة التي يبلغ عددها ثلاثمائة مليون في مشارق الأرض ومغاربها بتتابع مقالاته فيأله من همام فاضل وإمام كامل أصبح جديراً بأن ينادى عليه بأنه سيد الأولين والآخرين وإمام المتقين ومرشد الضالين وعالم الأمم أجمعين

أقول هذا وأنا شاهد له بقوة القرينة وحدة الذهن وسعة الفكر وسرعة التغطن وما قلت ذلك إلا مادحا لعلمي أن الزكي إذا مدح بغير ما

يستحق أن تخله مكاناً من القلوب بمراعات نظر الناس إليه وخوف قلب
قلوبهم إلى ما هو ضد ذلك

وأقول وأنا في موقف الخشية أخشي مفعول ما قال الخمر لسيدي
عبد القادر الجيلاني وهو ينفه على ما هو عليه إذ ناداه إليك عني يا عبد
القادر إن الذي جعلك شيخاً كبيراً وصيرني خموراً قادراً على أن يبدل
الحال في الحال

وأقول ذلك وأنا معترف لمقلب القلوب بأحدية ذاته ووحدانية أسماءه
وفردانية صفاته وأنه هو الآخذ بالنواصي والفعل لما يريد وأنه هو الذي
أطلق الألسن بما به ترجعت إذ لا يتصور متصور أن عاقلاً من العقلاء فضله
مشهود وعمله محدود أن يقف موقفاً مثل هذا الموقف إلا مقهوراً عليه
لأنه ما خلق إلا لأن يكون هكذا

ألا يرى العقلاء اختلاف العقائد والمذاهب والأديان والاميال
والأعمال والاقوال والأحوال بل وكل صفات الإنسان الذي هو هو
في كل زمان ومكان حيوان ناطق ولكنه كالقطع المتجاوزة التي ذكرها
الله في القرآن بقوله (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب
وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على
بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) ذلك يعلم الإنسان
الظالم الجهول أن اختلاف القوايل والاستعدادات واختلاف تخصيصات
المراتب الوجودية في جميع الموجودات التي منها ذلك الإنسان ماهي من
عمله ولا من عمل مخلوق لأن جميع المخلوقات العلوية والسفلية في حكم

الإيجاد والتخصيص والتسخير سواء ولكنه أي الاختلاف الذي ذكرناه
 من عمل الواسع الحكيم جل شأنه وتقدسست أسماؤه فترى الآخرين
 الشقيقتين بينهما التباين البين وترى المتعلمين مع اتحاد المعلم لم يتحدوا في
 المرفان والآداب وترى العلماء على حال مدهش في الاختلاف وما نشأوا
 إلا على ملة واحدة وعلم ديني متحد المبادي والغايات وقرآهم واحد
 لا تغيير فيه ولا تبديل وما أنزل إلا هدى للناس وشفاء لما في الصدور
 ورحمة للمؤمنين الذين اختصهم الله بخدمته وجنته ولكن الأوضاع الإلهية
 التي تميز البار من الفاجر جعلتهم مختلفين في المذاهب والإعتقادات
 والتوجهات الفهمية والأُممبال الفطرية ليقضى الله أمراً كان منفعه مولا وكل
 حزب بما لديهم فرحون ولقد أصبح ذلك الاختلاف العلمي في هذا الزمن
 أشد ظهوراً منه في كل زمن من أزمان القرون الماضية وذلك لأن الأزمان
 الغابرة التي قبل النبوة كان الحكم فيها الأُهواء والأغراض كما قال الله تبارك
 وتعالى (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل
 معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس) وما أراد سبحانه وتعالى بالاتحاد في
 قوله أمة واحدة إلا في متابعة الأُهواء والغايات واتخاذ العلوم الكونية
 والطبيعية مسرحة الأفكار ومترعة للمقول ومركبا للشهوات وعدة
 الأعوجاج عن طريق الاستقامة التي خلق الإنسان لاتخاذها سبيلا إلى
 منازل الكرامة فبعث الله النبيين ليدينوا للناس طريق تلك الاستقامة
 ثم حجب سلكها على من لم يخصص له قابلية توجهه إليها بمثل قوله (وما تشاؤون
 إلا إن يشاء الله) وقوله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) وقوله (الله

يحتجى إليه من يشاء ويهتدى إليه من يذنب) ولقد كان الغالب على الكثير من
المسلمين سلك هذه الطريق حتى جاء زمن الفتن الذي سيطر الله فيه الجدل
على أهل اللسان والزبغ وهو مصداق قول رسوله عليه الصلاة والسلام
إذا أراد الله بقوم سوء أسلط عليهم الجدل فاشتد لذلك ظهور اختلاف
الشؤون التي ذكرناها من طريق إشارة قوله تعالى (ولكل وجهة هو موليها)
فترى طلاب العلوم يتنافسون ويتسابقون ويتفاخرون في فنون المعلومات
كل يتباهي بما وجهه إليه التخصيص الإلهي وقبلته قابليته ممجبا بنفسه
مختلا فخورا يرى أن ما فوفه في المدارك العلمية أحد وأنه أولى الناس بالتعليم
والإرشاد وإن كان ضالا لأنه لا يدري أنه هو الضال وذلك هو الضلال
المبين وما جثنا بهذا البيان إلا ليعلم العقلاء أن التوجيهات التي تأتي بها
اللاسفة مهما كانت مزينة بالتضليلات الكاذبة أو مزخرفة بالآراء التي
يظن المطلع عليها أنها صائبة فإنها لا تقاوم الإرشادات الدينية ولا تثبت
أمامها في حال من الأحوال وأن سكوت المتدينين عن مقاومة سفهاء
المتشدين ما هو من قبل المعجز ولا وهن البراهين ولكنه تحرز عن خباثات
اللسان وأحوال الجدل الذي لا تميل إليه أميال المؤمنين ولا تقبله قوا بلهم
ولقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه الكتاب الحكيم
إلا بالتي هي أحسن وما في الكلام الذي يسمعه السامعون أحسن من
القرآن وقد حرقوه عن مواضعه وما راعوا حرمة (فبأي حديث بعد
الله وآياته يؤمنون)

فقد أمر الله سبحانه وتعالى بالإقتداء ونهوا عنه وجعل المتابعة رأس

الدين ومقتوها واتخذ الواسطة بينه وبين خلقه وأنكروها فلو أنهم أهل
هداية لاهتدوا بما اهتدى به الخيار ولكن قوا بلهم لا تقبل إلا الضاد
والإصرار والمكابرة والدعاوي العريضة الكاذبة قال الله تبارك وتعالى
(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل
رسولاً فيوحى بأذنه ما يشاء) فهل لعاق أن يقول إن الواسطة غير هذا
وهل لما قل أن يجزها في حال ثم يحرمها في حال آخر فيكون كالذين يؤمنون
ببعض الكتاب ويكفرون ببعض وقد قال الله تعالى (فما جزاء من يفعل
ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهل
كان الإنسان مع ربه أي إنسان كان في حال من الأحوال بلا واسطة
كلا ولكن أكثر الناس لا يفقهون ألا فاسئلوا العالم الطبيعي الذي أطال
البحث في العوالم العلوية والسفلية عن ثمرة بحثه والغاية التي يريد أن يصل
إليها من طريق ذلك البحث فإن قال أنا ما أريد إلا معرفة الله إن كان
من المؤمنين فليخزّه السائل بقوله لقد اتخذت الجمادات والنباتات والنجوم
وغيرها وسائط بينك وبين ربك وهي لا تكلمك إلا بلسان حالها وقد
اعترفت بأن الله هو الذي أمرك بذلك فإذا يكون منك وساطة المعلمين
الذين يجب تقليدهم لأنهم هم الدالون على الله أمر شبيه بالهوس أو شعبة
من الجنون وكيف يكون منك هذا الهوس وماقت صائحاً ونائحاً بما واليته
من النداء المزعج إلا لتكون متبوعاً مُقلداً فتكون واسطة بين الله وعبده
فما أكره ضميرك

وإن قال إني لم أتبع جميع المعلومات الكونية بالبحث إلا للوقوف

على حقائقها لا كون عالما بربي فاليعلم السائل أنه مفزور ومفتون وما مثله مع
 ربه إلا كمثل عبد سيء الآداب مع سيده وممقوت عنده ولكنه لم يكن
 له مالك سواء ولا بد له من رعاية ذلك السيد وحنانه فاقضت مراحم
 السيد الرحيم القادر أن يشغله عنه بأشياء حتى لا يزاحم المحبين من العبيد
 فيما أعد لهم من الكرامات والمنازل العليا ومن كان هذا حاله لا يصحبه
 إلا من كان شبيهاً به في القابلية والاستعداد وأولئك الذين وصفهم الله
 بقوله (تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يفتقون) ولذلك نهى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عن مخالطة السفهاء ومعاشرة قرناء السوء ونهى
 الصوفية أتباعهم عن ذلك قال ابن عطاء الله السكندري لا تصحب من لا
 ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقالته ولقد جعل الله سبحانه وتعالى قرين
 السوء عقوبة للغافلين عن ذكره في قوله جل شأنه (ومن يعش عن ذكر
 الرحمن قضيض له شيطاناً فهو له قرين وإهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون
 أنهم مهتدون حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس
 القرين) وهل هناك سبيل موصل إلى الله غير سبيل الهدى الذي أشار إليه
 الحق سبحانه وتعالى بقوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
 ويتبع غير سبيل المؤمنين فوالله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً) وهل
 للمؤمنين سبيل غير الذي سار فيه المسلمون خلف رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مقلدين لأئمتهم الذين دونوه في كتب الفقه وما هو إلا العبادات
 والمعاملات والآداب التي توارثها الأتقياء ومن يدعي سبيلاً سواه فما
 هو إلا من الذين يصدون عن سبيل الله ولقد فصلنا الآيات لقوم يفتقون

نقل الفاضل الاديب فريد وجدي عن فلاسفة أوروبا أن الإنسان يمر في حياته على ثلاثة أدوار دور الدين ودور الفلسفة ودور العلم وقالوا إن الأديان حوادث تاريخية اقتضاها ميل الإنسان للمعيشة تحت وصايتها وأنا أقول إن هذا هو الهوس الشبيه بهندي المرضا وعبث الاطفال وما كان له من سبب الا تطواف أوهام وخيالات تبعثها نشوات خيرية لاستنتاج الحقائق من أباطيل الظنون وأقاويل أهل الغرور والزيغ الطغياني وهو الذين نهى الله عن متابعتهم بقوله (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل)

ألا يرى كل عاقل نبه أنهم فرقوا بين الدين والعلم والفلسفة ولا ندري كيف كان ذلك التفريق فإن الذي نعلمه ويعلمه أولو العرفان وكل من كان له ذوق يدرك دقائق القرآن أن العلم الذي جاء لاصلاح أخلاق الإنسان وأحواله وجميع شؤونه السكالية هو علم الدين وأن الحكمة التي تسمى باللسان العربي حكمة وبلسان آخر فلسفة هي الحكمة الدينية التي أشار لها الله سبحانه وتعالى بقوله (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) ولقد ادعى الاتصاف بمدلول هذا اللفظ أعني الحكمة طوائف كثيرون حتي أن أفراداً من الناس لينادون على بعض المتفلسفين بأنه الحكيم العليم وإنهم لينادون في الناس بأن الحكمة هي الفلسفة وأن الفلاسفة هم العلماء وأن الإنسان الذي ليس بفيلسوف لا قيمة له فكيف اذا ساغ لهم أن يقولوا أن الفلسفة شيء والعلم شيء آخر وما هي الفنون التي أطلقوا عليها لفظ العلم وزعموا أنها لا من الدين

ولا من الفلسفة وما مفهوم هذا التقسيم الذي قسمته أوهامهم وراء أهولهم
في مرور الانسان في حياته أيريدون حياة الافراد أم حيات النوع الانساني
التي مبدؤها وجود آدم وانهاؤها خراب الدنيا فإن كان الأول فما هو
الاجهل فاضح وغلط بين وتصور فاسد إذ الانسان مامل يوما ما بطبعه
إلى القيود الدينية الا مغلوباً للعلم الديني والتأديب الوعظي ولا يتمكن من
الدين إلا اذا استصحب العلم والادب معاً وهناك لا يكون للفلسفة
الطبيعية عليه من سبيل ولكنه يكون من طريق الوراثة النبوية هو الذي
أوتي الحكمة وفصل الخطاب بين أهل عصره

وإن كان مرادهم من الحياة مدة الدنيا فذلك التقسيم تقسيم جهل
وسفه لا تقسيم علم وحكمة لأن الأمم من قبل موسى ما آمنوا برسالم ولا
برسالم بل كانوا طيحيين ودهريين وكانوا على جانب عظيم من العلم الذي
يفخر به فخار هذا الزمن وشهد لهم القرآن بأنهم كانوا أشد قوة وأكثر
جمعاً ولو أنهم كانوا ميالين للمعيشة تحت وصاية الدين ما أهلكهم الله
بالطوفان ولا بأنواع العذاب التي أهلكت قوم عاد وثمود واصحاب لوط
وغيرهم وإن كانوا يريدون بالدين عبادة الاوثان فما كان ذلك الا ضلالاً لا دين
يعيش الانسان تحت وصايته ولو أنهم أرادوا ذلك لكان جهلهم بالدين
الحق الذي جاء لرفض تلك الخرافات هو الذي ألجأهم إلى ذلك التقسيم وحملهم
على القول بميل الانسان إلى المعيشة تحت وصايته على أننا نقول والله يقول الحق
أنه ما مضى على الانسان طور من أطوار الحياة الدنيا خالياً من أحد الثلاثة
التي ذكروها وما ظهر الدين الحق في أمة الا وكانت له الغلبة بخيار أهله

على كل باطل من العلم المظني والفلسفة المهلكة حتى جاء هذا الدين الذي
جمع شوارد الآداب ومعالج الكمالات فاعترف بفضله وحسن مزاياه كل
عاقل له نصيب من الذوق العرفاني وإن العقلاء ليطعمون أن كل علم يارض
هذا الدين فما هو إلا أضر بصاحبه من الجهل كما سنبينه بعد وعلي هذا
يكون ذلك التقسيم لأحظ له من الصديق ولا مضجع له في مهاد الأفكار السليمة
وأما القائل بأن الأديان حوادث تاريخية فما هو إلا فاقه العقل والدين
لأنه لو كان عاقلاً لفرق بين الأديان التي هي من عند الله وبين الأديان
الأخر التي هي بمنزلة العوائد التي يتخذها البسطاء ليميزوا بها عن غيرهم
ففيها ما يكون حسناً ومنها ما يكون قبيحاً ولا يعرف صاحب القبيح قبحه
إلا إذا رأى ما هو أحسن منه وهذه لا يقال لها أديان يميل لها الإنسان
لكي يعيش تحت وصايتها فلا يكون ذلك القول إلا من قبيل التديليس
والسفسطة التي اتخذها معلموا العلوم الرياضية في المدارس الشبيهة بالمدارس
الأوروبية تمهيداً لإخراج مترشيحي التلامذة عن دارة الدين الإسلامي
فيلقون اليهم أن الأديان من مخترعات العقلاء وأن الدين الإسلامي ما تناوله
مؤسسه إلا من عوائد الأمم المتقدمة وما تلك التضاللات لو تفتن لها
السامعون إلا مماثلة لما كان يقوله سفهاء الفلاسفة من قريش وغيرهم من
الكفار الذين طبع الله على قلوبهم وجعل على سمعهم وعلي أبصارهم غشاوة
كصاحب تنوير الأفهام الذي رددنا عليه بمسموم الأُسنة والسهام كتاب
يباع بمكتبة الشيخ أحمد المليجي بالكتيبة الأزهرية فهل بعد مضي ثلاثة
عشر قرناً والعقلاء على دين معمول بشرائمه إلى الآن ينبغي أن تصفي أذن

سامع المنكر عليه أو جاحده إن هذا هو الخسران المبين
 والترك كل ما تحينه ذلك الفاضل من التخييلات التي استقرت منه
 ساكن الغضب وألجأته إلى إعلان الحرب ثم ننظر في المقارنة التي
 قارنها فيما بين الدين الإسلامي الحقيقي وبين هذا الدين الذي عليه المسلمون
 من عهد القرن الثاني لتبيين أصححة هي كما يدعي أم فاسدة فنقول كما قال
 الله (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) إني أنا رجل مسلم آمنت بالله
 ورسوله وبكتابه الذي نزل علي محمد وآمنت باليوم الآخر والملائكة
 والنبين وتناولات من المعلمين ما تناولوه ناقلا عن ناقل من أصر المبادات
 والمعاملات الدينية رها أنا من المؤمنين ولكني من أكابر المذنبين غير أني
 أترقب العفو وأخذ في أسباب المتاب فما حكمي في المقارنة التي قارنها ذلك
 الفاضل أمسلم أنا وعلي ملة رسول الله أم علي دين مبدل
 وهل الدين الذي عليه هذا الجليل الأديب هو هذا الدين الذي أنا
 عليه أم غيره اظن أنني لا أجد مجنونا ينادي علي بالكفر حتى وإن كنت
 غارقا في لجج الملاهي ووراء هذا الاستفهام سؤال آخر وهو هل علم الأصول
 الذي هو في أيدي الفقهاء ومدون في كتبهم هو من الدين أم لا فإن لم
 يكن من الدين فعلي المنكر البيان البرهاني تفصيلا لا إجمالاً وهل العبادات
 والمعاملات التي قررهما الإمام الغزالي في كتاب الأحياء هي من الدين أم لا
 وإذا كانت من الدين فعلي موافقة أي مذهب هي أم هي اجتهادية وإن
 كانت اجتهادية فهل فيها ما يخالف المذاهب الأربعة كلا والله أن الذي يدعي
 المخالفة أو معارضة علم الأصول لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم

لكاذب فملي هذا لا يكون وراء ما عليه المسلمون إلا الدين الفلسفي الطبيعي أو
الاديان المماثلة

﴿ مسألة ﴾

إن قلنا أن الحامل لفلسفة أوروبا على محاربة الدين الإسلامي بما
أعدوه له من المدد القولية التي منها هذا الكلام الذي يأتي به المتفلسفون
من أحداثنا وكذلك الخدع السياسية التي منها بعثة المبشرين هو أنهم يريدون
التخاذل الوسائل لقطع علائق الروابط الدينية والإخاء الإيماني من قلوب
المسلمين كيلا تجمعهم جامعة ولا تربطهم بملوكهم رابطة وكان ذلك لأغراض
سياسية كما يقول العقلاء الآن فما هو الباعث الحامل له وهو المسلم وابن
المسلم والمسلمة ومن أهل الوطن لا من الأورباويين على التعامل على أهل
ملته بالطعن في دينهم وبإعلان الحرب للدين وللمتدنيين والحكم بأن
محاربة هذا الدين واجبة فلا أدري هل الحكم بهذا الوجوب حكم شرعي
شرعه ذلك الفاضل من تلقاء نفسه أو هو حكم سياسي أو طبيعي فإن كان
حكماً شرعياً فما مستنده من الكتاب والسنة والإجماع وإن كان سياسياً
فأي قانون يوجب ذلك وإن كان ذلك لا يحجب حكماً طبيعياً تلزم به الفلسفة
الطبيعية معانيتها فما له يدعو أغنياء الأمة وشعراءها لمعاونته ألم يعلم ما في
قلوب الأمة من السخط والحقد على المتفلسفين الذين تركوا كثيراً من
البسطاء في مصارع الزيف والزندقة وصيروهم وإن كانوا أحياء حول جهنم
جثياً أما لهذا الفاضل من الطلائع النظرية ما يساهج منه ثمرات النظر
في المواقب التي تنتجها تلك المحاربة أيظن أن ديناً قوياً جاء به رسول الله

صلى الله عليه وسلم وامتن الله به على عباده وأجهد السانف الصالح من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تابعهم نفوسهم في ضبط أحكامه وتدوين آدابه تذهب به قوهرات المتفلسفين أو معارضة الأروباوين وقد ملأ الأقطار نوره وحررت الصحف سطوره وبلغ مقدار المتدينين به ثلاثمائة مليون كما يقول ذلك الفاضل وهل كان أغنياء الأمة وشعراؤها الذين استنجد بهم إلا من أهل هذا الدين وأنهم ليجودون بأرواحهم دون ضياعه فهل استأنس ذلك الفاضل من نفسه ومن أفراد تلك الطائفة قوة تقاوم تلك الملايين أم يظن أن أوروبا تساعد على ذلك سرا وعلاية ولو فرضنا أنها ساعدته وكان الله سبحانه وتعالى يريد بالناس خيرا بقاء دينهم فهل لهم قوة على مقاومة رب العالمين الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كلا والله إنهم إذا زعموا ذلك لمن الكاذبين

أليس لهذا النبيه المتحامل بلسانه من الفكر ما يتبين به أنه بهذا التحامل وتلك الغلظة التي أصبح بها ناصراً للباطل على الحق ولا كفر على الإيمان ولأهل أوروبا على هذه الأمة الضعيفة ومعيها للمدينة التي يدعي أنها تحارب الدين الإسلامي وما شممنا لهذه الحرب رائحة قد تعدى الحدود الدينية ومن يعمد إلى حدود الله فأولئك هم الظالمون وأنا لنجهل المحاربة المدنية للدين ما هي فإن كان يقصد بذلك الحرب أن المدينة تحل ما حرمه الدين وتجبر المتدينين على متابعتها في تحليل ما حرم الله وفي هجر مناسك الدين فليس ذلك الحرب حرباً أوروبا ولا حرب مدنية ولكنه حرب فلسفة طبيعية شن غارتها ذلك الرجل الأفغاني ومن تبعه ولقد أثبت ذلك للعقلاء الوقائع

الفلسفية والحوادث الزمانية والمقالات الزيفية ثم زاد ذلك البيان اللورد كرومر ايضاً في تقرير هذا العام الذي نقلته عنه جريدة المنار في الجزء الرابع والمجلد التاسع الصادر في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٢٤ هـ إذ قال في مقالاته اختطفت المنية في السنة الماضية رجلاً مشهوراً في الهيئة السياسية الاجتماعية بمصر أريد به الشيخ محمد عبده ثم استرسل في سرد المداخل إلى أن قال وأذكركم له مثلاً على نفع عمله الفتوي التي أفتاها فيما إذا كان يحل للمسلمين تدمير أموالهم في صناديق التوفير فقد وجد لهم باباً به يحل لهم تدمير أموالهم فيها من غير أن يخالفوا الشرع الإسلامي ثم تقاضي جنابه عن الفتوى الترنسفالية التي كانت لها الشهرة المملومة واستطرد الكلام إلى أن قال فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربايين ولعلمهم أن يجحدوا بعض التنشيط من نقلي قولاً لرجل من أهل دينهم إلى أن قال وأعود فأبسط الرجاء أيضاً أن الذين كانوا يشاركونه في آرائه لا تخور عزائمهم بفقد بل يظهرون احترامهم لذكره أحسن إظهار بترقية المقاصد التي كان يرمى إليها في حياته

فذلك ليعلم المسلمون أن أوروبا لا تتظاهر بمحاربة الدين الإسلامي لعلمها أنه هو الدين القويم والصراط المستقيم ولا وجه لها في محاربته بمدينة ولا بمبدأ جوري ولكنها ميالة إلى من يحاربه من الطبيعيين بمثل هذا الحرب الذي ذكرنا مبدأه وقد أعلمه هذا الفاضل ووجد له من أحداث قرناء السوء أعواناً لا تخلوا جريدة المؤيد من تمويهاتهم وتشجيعاتهم يوماً من الأيام لأنهم توهموا أن اللورد كرومر ماشطهم إلا لشن الفارعة وإعلان

الحاربة والتمسدي على الدين وأهله ولكننا لا نظن ان ذلك يكون من عقلاء
 السياسيين ولكنها اوهام اعانت الأحداث على التظاهر برعونة الطيش
 والتباهي بالضلال والله لا يهدي القوم الفاسقين فواعجباً لعقلاء الأمة كيف
 يدعون العقل وحال المعرفة وإذا سئلوا عن دينهم قالوا إنما نحن مؤمنون
 ولكنهم إذا دعوا إلى مفسدة دينية أو تزيت لهم الأباطيل المزخرفة
 بزى الإصلاح لا يجدون من عقولهم باعثاً يبعثهم على التبصر في عواقب
 ما دعوا إليه ولا على البحث عما تستر من المفسدة في زوايا زخارف اقوال
 الموهين حتى يكونوا على بصيرة مما دعوا إليه قبل ان يتلبسوا بعمله او
 يتخيلاو اصلاح الداعين إليه فإن النظر في المواقف وتمييز الشؤون الضارة من
 النافعة من وظائف العقل ولقد جاء أولئك الضلال الموهون زاعمين انهم من
 نصراء الإسلام والمسلمين فهل من نصرة الدين هجر المساجد والتهاون
 بالدر الثمن وغيبة الاتقياء وإعابة العلماء ومقت من يميل إلى محبة عباد الله الصالحين
 ويجعل زيارة قبورهم تذكاراً لما كانوا عليه من الاستقامة والعمل الصالح والآداب
 الكريمة والأخلاق الكريمة هل من نصرة الدين النهي عن التوسل برسول
 الله صلى الله عليه وسلم بدعوى ان ذلك شرك كشرك عبدة الأصنام هل من
 نصرة الدين معاداة العلماء والخمض في آيات الله وتحريفها عن مواضعها هل
 من نصرة الدين التشنيع بالمسلمين وسمح الأورباويين والتشبه بهم هل
 من نصرة الدين الإقبال على الدنيا والإعراض عن الآخرة فما ظنك ايها
 العاقل النبيه بدعوى العلم الذي لا يشئني إلا على علماء اوربا الذين إذا قيل لهم
 آمنوا بالرحمن قالوا وما الرحمن وما ظنك بدعوى العقل الذي لا ينفذ إلا من

يذكر الله ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ظنك بمن يدعي
 الإيمان وهو لا يعمق في جميع المال وفي قومه إلا من كان يؤمن بالله ورسوله
 واليوم الآخر ويعمل صالحاً فهل ينبغي للعقلاء ان يتركوا انفسهم هملاً وياقوا
 بقلوبهم في قبضة اعدائهم ضالين فيمهلكوا كما هلكوا ألا هل من عاقل يقول
 لا قرأه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو إمام الأمة ومشرع
 الشريعة ومؤسس الدين ورسول رب العالمين ما كان طبيعياً ولا جغرافياً
 وما كان إلا صواماً وقواماً وداعياً إلى الله بإذنه وهدى في الدنيا ومرغباً
 في الآخرة وهو لاء الاقوام على غير هذا المنهج فإن كان هو المخطئ وهو
 المصيبون فلا إسلام ولا مسلمين وإن كان هو المصيب وهو المخطئون فما هم
 إلا من جنود الشيطان فالواجب التحرز منهم

أهل من عاقل يتبصر في دعواهم ان الدين ليس هو الذي جاءت به
 الأئمة ودونه العلماء في كتبهم ثم يتأمل فيما زعموه من أن فساد الدين كان من
 الصوفية ومن الأئمة المجتهدين فيقول لقومه يا قوم إن هذا زعم يستلزم البحث
 والإلتهات فلتكن منكم طائفة متبصرة ذات افكار نيرة وقلوب سليمة
 تستحضر مؤلفات الفقهاء ومدونات الصوفية لتبحث عن الدين فتعلم مأواه
 وتبين أهله فإن تحققنا أنه هو الذي عليه علماء الأمة واتقياؤها عضدناهم
 واتبعنا طريقهم القويم ونبتدنا اتوال أولئك الأحداث وراء ظهورنا الكيلا
 نهلك معهم فإنهم حزب الشيطان وإنما يدعون حزبه ليكونوا من اصحاب السعير
 وإن كان الدين مضاداً لما في تلك المدونات من قناها واغرقنا أهلها
 وتركناهم في ظلمات لا يبصرون * الأهل من متبصر الأهل من متدبر

الأهل من متفكر في سبب تنشيط اللورد كرومر للطائفة التي كان
كبيرها الشيخ محمد عبده فإن علم أنه تنشيط لإقامة شعار الدين يناديه
باجتباب اللورد نحن المتدينون ونحن الأحق برعايتك وتنشيطك وإن كان
لغير ذلك يقابله من الاستعطاف والإسترحام بما يخفف وطأة أولئك المحاربين
عن الدين حتى لا يكون ذلك التنشيط سبباً لتصديقهم لهذا العمل السيء الذي
ما سبقهم به إلا الدول التي تحققت بطلان دين المتدينين من رعاياها فمارضتهم
وكان لها الحق في تلك المماوضة فإنهم كانوا على شرائع منها ما هو منسوخ
بالشرعية الإسلامية ومنها ما هو مخترع لهم والدين الإسلامي محفوظ من
هاتين الماهيتين ولا يصيبه إلا من كفر بالله واليوم الآخر وعاد عن طريق الهدى
واتبع سبيل الذين لا يعلمون ولقد كنا ظننا أن المحاربين للدين قد كفوا عنه
السهم حتى هتف هاتف تلك الجريدة التي إن تأملها العاقل ملأ وإن سامها
التي سُمها قاتلاً

إن وجدني كل يوم في ازدياد والهوى يأتي على غير المراد
زعم ذلك الفاضل أن المسلمين على دين مبدل من عهد القرن الثاني كما
سبق نقله عنه فصار الواجب علينا أن نبين حقيقة ما نحن عليه وما عليه كل
مؤمن من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الآن ليتحققه المتحققون
حتى إذا علموه حقاً حالوا بيننا وبين هذا المحارب وأعوانه بحال تنقذ قلوبنا
من أحوال القلق ومن عجائب الإضطراب حتى إذا علم كل أناس مشربهم هدأت
الخواطر وصفت القلوب واستتب الأمن واتصلت حبال المودة بين الأمة
وبين الأورباوين متى تحققنا أنهم لا يمينون أعداء الدين على محاربه فإن

ذلك لا يحمل بمدي المدل والحرية ونشر اعلام المدنية فلذلك نقول والله
يقول الحق ويهدي السبيل

جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم داعيا إلى الله بإذنه وقال لقومه
إني رسول الله إليكم فمنهم من آمن ومنهم من تولى واستكبر وكان من
الكافرين فلما ثبتت رسالته واحقق به قومه ليقفوا على حقيقة ما جاء به قال
جئتكم لتؤمنوا بالله وحمده ولتكونوا مسلمين قالوا وما هو الإسلام فأجاب
بما جاءت به ثقة الرواة وهو قوله بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله
إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج
بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً ثم صلى بهم حتى عرفوا ماهي
الصلاة وصام معهم بالطريق التي قررها القرآن وكذلك الحج والزكاة حتى فقهوا
عنه جميع آداب الدين وتوالت ذلك العمل تابعا عن تابع بالضبط والتحرير الذي
سخر الله له الأئمة المجتهدين حتى فنيت القرون الأولى قرناً بعد قرن وكنّا نحن
الوارثين لتلك المزايا وها نحن نعمل كما عملوا ونقول كما قالوا ونشهد كما شهدوا
إيماناً وصلاة وصوماً وحجاً وزكاة وما هدمنا قاعدة من قواعد البناء الذي
بني الله الإسلام عليه عند ما جاء جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله
عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وأصحابه شهود وقعود وجلس امامه ثم
سأله ما الإسلام فقال ما قدمناه ثم قال ما الإيمان فقال أن تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى
فقال وما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك
ثم انصرف فقالوا يا رسول الله من هذا فقال هذا جبريل جاء ليعلمكم امر

دينكم فثبتت هذه العقيدة في قلوب الصحابة والتابعين ومن تابعهم حتى
 أصبحنا ممن لا نرحزهم عن هذا الاعتقاد زلازل الزيع ولا شوائب الشبه
 المضلة التي ضرب الله لها مثلاً في القرآن بقوله (ومثل كلمة خبيثة كشجرة
 خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) ولما كانت هذه الأعمال
 والاحوال والاعتقادات محتاجة إلى آداب تجملها أجهد الصحابة نفوسهم
 في دقة المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والإقتداء به تقليداً في كل حال
 ادبي وكال فوقي وتابعهم التابعون ومن تابعهم حتى الآن فكان منا من
 جهل تلك الآداب ومنا من عرفها ولم يتحقق بها في كل أعماله أو بعضها
 ومنا من أجهد نفسه في اتباعهم ولكنه لم يتمكن من نفسه كما تمكنوا ولم
 يحسنوا كمن أحسنوا ولما قضى الله سبحانه وتعالى أن هذه الأمة تكون
 خير الأمم هداية ورشاداً وإيماناً واعتقاداً وتلقياً عنه واستمداً يأصرون
 بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله أنزل لهم كتاباً جامعاً لكل
 ما يحتاجه الإنسان في دنياه وفي آخرته ثم قال إن هذا القرآن يهدي للتي
 هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً
 وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذاباً أليماً (فأوصى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أمته بالتمسك بهذا الكتاب بقوله ألا أيها الناس إنما
 أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وإني تارك فيكم ثقلين أولهما
 كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ كان على
 الهدى ومن أخطأ ضل فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به واهل
 بيتي اذ كرم الله في أهل بيتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ستمكون فتنة قبل فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ من
قبلكم وخبر من بعدكم هو الفصل ليس بالهزل وهو حبل الله المتين وهو
لذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم من هرب إليه من جبار قصمه الله
ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا
تشبع منه العلماء ولا تلبس به الألسن ولا يخلق عن كثرة الرد ولا
تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرأنا عجبا
يهدى إلى الرشده فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن دعا
إليه فقد هدى إلى صراط مستقيم

فلما سمع المسلمون وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلموا أن
أولى الناس بمعرفة ما في القرآن من الأحكام والآداب التي بها تحسن
العبادات والمعاملات هم أهل الخشية من العلماء فلجأوا إليهم ووقفهم الله
سبحانه وتعالى لاستنباط الأحكام التي بها يتبين الحرام من الحلال والواجب
عمله وغير الواجب من نذبة وإباحة وغير ذلك كل حكم مقرون بدليله
ولما علم المسلمون المعاصرون لهم صدقهم وامانهم لم يجدوا بدا من متابعتهم
عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتمكم شفعاؤكم فانظروا بمن
تستشفعون وهناك انقسم العلماء إلى طوائف في ضبط أحكام الدين وآدابه
فمنهم المحدثون ومنهم المجتهدون ومنهم المفسرون وقد اتفق كل عامل منهم
عمله وهماهي أعمالهم وآثارهم واقوالهم مدونة بين أيدينا وما علمنا من مذهب
يخالف ما جاؤا به إلا مذهب الفلاسفة فاعلى العقلاء إلا أن يتثبتوا في تحقيق الذي
ادعيناه وما ادعاه ذلك الفاضل حتى إذا تحققوا الحق زجروا من كان منا مفتونا

وعوياً ومضلاً مبيهاً ثم ان اختلاف المختلفين وتنازع المتنازعين الذي ادعى ان المسلمين تركوا الدين واستعملوه لم يكن سبباً في صروق مسلم من دينه ولا داعياً لضياع إيمانه كما سبق بيانه واما دعواه ان تلك المنازعة لم يستفد منها الطالب شيئاً وان العلماء وقفوا بالطلاب في موقف الجمود فلذلك لم ينجحوا فإنها دعوى لا دليل لها لأنه إن كان ذلك الفاضل استأنس الخسران وعدم النجاح من فساق الطلاب الذين يلازمون الملاحى في أوقات الفراغ فاهم إلا أتباع المتفلسفين الذين غرهم زخارف أقوال المضلين وما انتشرت فيما بينهم الفاحشة إلا لما سمعوه من معلمهم أن الإنسان حر الضير يفضل ما يريد وأنه مادام عالماً لا يضره شيء العمل شيئاً

وإن كان استأنس ذلك من سكوت العلماء المتدينين كما قال إن الصمتهم بالدين أشدهم جهوداً فها هي الا دعوى تشابه دعوى المدعى أن الصيف لا فائدة فيه لأنه شديد الحرارة مثلاً إذ لو لا جهله بمنافع الحرارة ما ادعى تلك الدعوى الباطلة ولو أنه سأل العقلاء لا وقفوه على ما للصيف من المنافع والتأثيرات المفيدة للزروع والضرع واجسام الحيوانات وغير ذلك مما لا يجهله أهل المعارف فكذلك حال ماقت المتسكين بدينهم لأنه لو كان من أولى الأبواب الدين ما أنزل الله كتابه الحكيم إلا ليهتدوا به إلى الآداب الدينية التي بها يعلم الإنسان كيف يعامل ربه وكيف يعمل بأوامره ونواهيه لعل ما هو الدين ومتى عرف الدين اعترف بفضل المتدينين ولكن القوم أخذ بمخترتهم الجهل إلى معالم الغرور والطيش فادعوا العلم وهم لا يعلمون وتوهموا الهداية وهم لا يهتدون وما يمدم الشيطان إلا غروراً

(ان الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بهو خة فما فوقها ؛ استخدمنا
 خادمة في عمل من الأعمال المنزلية وكانت تميل إلى المألوهي وتدعي التمرد
 والطرب وتتفنن غالب أوقاتها بقول غير معقول فيطربها ذلك القنفي حتى
 يتخيل السامع أنها ذات صبوة وشغف فحوت بها مرة وهي لاهية تترنم
 بما لم أعقل له معنى فلما أحسنت بي خجلت فسألتها أن تعيد ما ترنمت به
 فأنشدت تقول

سهرُ النجوم ياشلوط ولآت عن سهرى

تنبيه فيه ولا عن خيرة البهرى

فقلت لها من أين لك هذا قالت تناولته من أحد المغنين في سراي
 أحد الوجهاء فعلمت أنها ليست بطروبة ولا عاشقة ولكنها ذات طيش
 وفتون تقول مالا تمقل وتدعي مالا تعلم ثم وجهت فكري إلى الأناشيد
 التي تعودها أهل الأغاني في الجامع فما وجدت ما يضاها ما ترنم به إلا
 قول القائل

سل يا أبا البدر نجم الليل عن سهرى * تدري النجوم كما تدري الوردى خبرى
 فأخذ مني العجب من أعمال القدرة الإلهية مأخذا عظيماً وتحققت
 أن ضجيج الغرور والطيش لا يدري جهل نفسه وأيقنت أن الطيش هو
 منشأ الدعاوى الكاذبة ومصدر الإعجاب وأن صاحبه يستحسن ما يستعبد به
 العقلاء وما أظن أن عاقلاً يجهل شؤون الطائشين ولكنهم يتفاوتون
 في الدعاوى كل بحسب ما حوت حافظته من المعلومات ولا فرق في ذلك
 بين عالم وجهول ومن لم يجهل الله له نوراً فما له من نور ذلك ليعلم العقلاء

أن الله سبحانه وتعالى جعل الزكاء والفطنة وقوة الملكة وسرعة اشتغال
 شرر زئد القرائح الوقادة عُدَّةً وآلات في غالب الحيوانات سيما النوع
 الإنساني ليستعملها الحيوان أو الإنسان في شؤون رتبته الوجودية التي
 خُصِّصَتْ له كل على حسب قابليته واستعداده وقد يكون الفاسق زكياً
 والتقى شقيماً بالفبي لأن الله سبحانه وتعالى جعل له التقوى حاجزاً بين
 زكائه وبين اللسانة وسوء الجمل ولذلك قال الله سبحانه وتعالى (أفمن يمشى
 مكباً على وجهه أهدى أم من يمشى سرياً على صراط مستقيم) فكانت
 تلك العدة والآلات في الأنبياء وفي أتقياء أئمتهم من عوامل الإرشاد
 وتهذيب النفوس وردها إلى معالم الرشيد وردعها عن الشهوات ومقاومة
 الأهواء في الأعمال والأقوال والأحوال وكانت في باقي الطوائف طريقاً
 للإغواء والإضلال أو جلب المنافع ولو من حرام أو حيلة لمحاربة الفضلاء
 أو مزرعة للتعاطيل والمكر السيء إلى ما لا يحصى من أعمال الشر التي غلبت
 شروها مقاصد الأخيار في هذا الزمن الذي ماصر على النوع الإنساني
 زمن شرمه حتى في قرون الأمم الطاغية ولا في أيام الجاهلية وذلك لأن
 الكثيرين من أهل هذا الزمن تطبعوا بطباع جميع الأمم التي أهلكها الله
 تعالى بمعنى أن كل أمة هلكت بسبب واحد أو أسباب ذكرها الله سبحانه
 وتعالى في كتابه الحكيم وأما فساق هذا الزمن فصارت أخلاقهم مجمعا
 لجميع تلك الأسباب كما أن أتقياءه استكملوا جميع آداب الأمم ولقد كانت
 آداب العائلات العرفية وروابطها الودادية محفوظة فيما بين الجاهلية وكانت
 حقوق الوطن محترمة وكان كل ذي منزلة لا يتعدى منزلة وإن تعداها

لا يجد معيناً ولا مساعداً إلى غير قليل من الخصال المحمودة التي أصبحت مفقودة في هذا الزمن لا تساع الزكاء والفطنة في أهله بالتساع المعلومات التي لا تفيد من علمها إلا الفروور وشدة الطيش وبذلك يزدري الفضلاء ويحتقر العلماء فلا يهتدي إلى الرشيد سبيلاً لأنه يرى نفسه فوق كل عالم وأكل من كل كامل ولهذا قد انطلقت السن السفهاء بالظعن في أعمال الساف الصالح وازدراهم وذلك هو الضلال البعيد

قال ذلك الفاضل إن المسلمين اختلفوا في دينهم فكان ذلك الاختلاف سبباً في انحلال الرابطة الاجتماعية ومضراً بصالح الجامعة الإسلامية إلى آخر ما قال

وذلك قول ما فهمناه لأننا ما سمعنا بحروب دينية قامت بين الأئمة المجتهدين تفرق بسببها شمل المسلمين كما أننا لم نعلم بواقعة ذات أهمية وقعت بين مالكي وشافعي مثلاً بسبب اختلافهما في حكم من الأحكام مثل نواقض الوضوء أو غير ذلك فلذلك لم نقبل ما أشار إليه ذلك الفاضل إذ الخلاف الذي يضر بالروابط الاجتماعية والمصالح الوطنية هو الشقاق الوطني الذي يقع بين الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة وذلك لم يكن في الأمم الإسلامية بسبب ديني وما كان في هذه الأمة إلا في الفتنة العرابية التي يعلم الله وملائكته وألوا الأبواب من عباده أنها فتنة أفغانية باعثها معلوم للعقلاء وما زال الأحداث من القوم الموقظين لها عاملين على معادات الدين وأهله حتى الآن ودواء السمات تابع لدوام أسبابها ولن يجد الباحث سبباً لانحطاط أحوال بعض الأمم الإسلامية إلا تلك الفتن التي اتخذتها

أوروبا طريقاً لاحتلال الأندلس والتجول في الأقطار وراء ببهة المتفلسفين
الذين هم أسباب الفساد في كل أمة سيما أهل التلميس والتلميس الذين بذروا
في مصر والهند بذور الفساد وما الله بخافل عما يعمل الظالمون وأما الذين
قائمه هو هو معمول به بين الخيار من الناس وله أهل لا يرححهم عنه
مزحزح وإنه هو الطريق القويم الذي لا سبيل للسعادة سواه فمن نجاه فما
نبي إلا منزلته عند الله ولكن أكثر الناس لا يفقهون وما كان انتقاد
الفلاسفة واعتراضهم على أئمة الدين الذين ما اختلفوا في أصول الدين حتى يقال
أنهم أضروا به ولكم اختلفوا في بعض الأحكام لا اختلاف الناقلين لها ما بين
مشدد ومخفف وما تمسك كل إمام منهم بما وصل إليه الا محافظة على الدين
لكيلا يكون للاهواء فيه مجال وحفظاً لروابطه وأساساته التي أسسها الله
ورسوله ولا محاربتهم للدين والمتدينين الا نشرأ للفلسفة الطبيعية وإطفاء
لنور الدين الاسلامي ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون
يا بني إن الله تبارك وتعالى وعدنا سعادة أبدية على السنة الرسل وبين
سبيل الخطوة بها في محكم الآيات المنزلة بكلام معقول وتوعد المشتركين
بشفاء سرمدى وقد قلت فيما نقلته عن علماء أوروبا إن كنت من الصادقين
أن الدين كله خيالات وأوهام لأنه لم يأت بأدلة حسية تثبت الحقائق التي
يدعيها والعلم لا يقبل إلا ما كان من الحقائق ثابتاً بأدلة حسية
وأنا يا بني من طريق البيان الإرشادي لا من طريق الجدل أقول
لك مقال أبناء يعقوب ليعقوب إنك لفي ضلالك القديم إذ الدين آداب
وحقائق كالية معلومة لأهلها كما سبق بيانه غير مرة وتلك الآداب

والكمالات هي التي تميز بها هذا الحيوان الناطق عن جميع الحيوانات حتى صار صالحاً لأن يتلقى كلمات ربه ولما الحقائق التي زعمت أن الدين يدعيها بغير أدلة تثبتها فإهي إلا أنباء الوعد والوعيد التي ذكرناها فيما سبق وما هي الدين ولكنها أنباء سماوية ذات تبشير لمن تدين بهذا الدين الذي هو طريق الكمال والإعتدال لأن منازل التكريم التي هي دار السلام والسعادة لا تقبل النقائص ولا ينبغي أن يسكنها مفقود الآداب فإنها ليست بدار قصاص ولا تأديب كما أن تلك الأنباء ذات تحذير لمن لم يسلك ذلك المنهج القويم ووعيد وتهديد وما كان التبشير والتحذير إلا بياناً من الله سبحانه وتعالى لما يكون في العواقب حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فجئت مكذباً لتلك الأنباء وزعمت أن الدين يدعيها بلا دليل يثبتها وإن لنا قبل الكلام على ذلك أسؤال نلقيه إليك ونطرحه أيها الفاضل بين يديك وما إخالك تستطيع عنه جواباً

أرايت وأنت صاحب هذه الدعوى المريضة التي تركتك تزدري أفاضل ثلاثمائة مليون من المسلمين من كل قرن من الإحدى عشر قرناً إن قال لك قائل إنك لتدعي أن لك عقلاً يفوق عقول أكابر تلك القرون فهل من دليل حسي تثبت به دعواك العقل مع علمك بأن الدليل الحسي هو الأمر الذي لا تقبل حقيقته الاحتمالات الظنية أفئن عجزت عن الإتيان بذلك الدليل هل تكون مجنوناً لا عقل لك أو يكون لك أن تقول في جوابك لمن يقول لك أين مقر العقل منك وهل أنت مالكه أو هو المالك لك ومن منكما هو المتصرف في الآخر إن أعمالى وأقوالى دالة على

عقلي وليس لي من دليل سوي فإلك اجبني يرحمك الله
وهل من العقل والأدب أن يقول العبد الذي لا يملك لنفسه ضراً
ولا نفساً سميماً الذي هو مغمور بنعمته وإحسانه في كل أحيائه ولحظاته كما
يهم المقال أنا لا أصدقك فيما جاءني من الأنباء الغيبية عنك إلا إذا جئتني
بدليل محسوس ثبت لي به صدقك فها قلت لنفسك الأمانة قبل أن
تصرعك في هذا المصراع الوخيم قفي أيها النفس الخبيثة متى موقف
الأدب حتى أثبت وأتبين الحق فإني أرى أنك لا شيء بالنسبة لهذه
الموجودات التي أوجدها هذا الموجد القادر بقدرته ودبرها بإرادته وحكمته
فأنتي للعقلاء استعلاءك بشؤونك الوجودية طرفة عين وإذا ذاك يكون
لك الحق في ذلك التنازع والتكذيب أيها النفس ما هذه الدعاوى العريضة
المملوكة إنما أنت ماء وهواء وغذاء وضياء والكل لذلك الموجد المنان وهو
الذي أبدعها وأتقن صنعها وأوجد من بينها هيولاً فكيف تدعين الغناء عنها
أليس بعصرك رهين الضياء وسمعك رهين الهواء وما قولك إذ تقولين إلا
هواء متقطع تقطعه الخارج الخلقية فما فوقها طوع البواعث القلبية التي لا تعلمين
لها غدواً ولا رواحاً ألا تستحي ألا تخجل ألا تخافي سطوة هذا الملك القادر
ألا تثبتي ألا تبصري إن هذا هو الضلال المبين

يا بني ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى قد أثبت صدقه في دعوى
الألوهية ومرتبة الربوبية لأهل عنايته الذين سبق لهم منه الحسن بما
هو فوق الدليل المحسوس وضوحاً وظهوراً من طريق الذوق والوجدان
حتى عرفوه ووجدوه ثم قال لمن لا عناية لهم بهم (فمن شاء فاليؤمن ومن

شاء فاليكفر) ولقد اختلفت طرق تعرفه لعباده الأختيار كما تبينت شؤون
 تحجبه وتذكره عن أهل الشقاء الأشرار وذلك لأختلاف القوابل
 والإستعدادات من الفريقين ولأنه سبحانه وتعالى لا يتجلى من صور تجلياته
 بواحدة مرة لاثنين ولا بصورة منها لأحد مرتين ولذلك لم تتحد صور
 تجلياته لرسله ولا لأوليائه فقد تجلى لموسى عليه السلام مرة في الأعشاب
 في شبه النار ومرة في الشجرة ومرة في الجبل وتجلى لإبراهيم عليه السلام
 مرة في النجم ومرة في القمر ومرة في الشمس ثم قال (وكذلك نرى
 إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) وتجلى لمحمد
 صلى الله عليه وسلم بالتجلى الأعظم الذي كان فيه قاب قوسين أو أدنى وكذلك
 اختلفت صور تجلياته لأوليائه وعباده المؤمنين كما سيأتي بيانه

واختلفت شؤون تذكره عن الأَشقياء فمنهم من احتجب عنه بالملاهي
 التي لا يميل لها إلا الصبيان وكل شاب مفنون فلا تراه إلا هاذيا في خلواته
 ولا عبا في جلواته ولا يفخر إلا بما يمتقه العسقاء ومنهم من تحجب عنه
 بحب الجاه والآخر بحب المال والآخر بالإعجاب بعلمه وآخر بزخرفة
 كلامه إلى ما لا يحصى من المقتنات التي تحجب الله بها عن عباده الضالين الذين
 حق عليهم القول المشار إليه بقوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
 ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) فيا أيها
 الفاضل إن كان المجادل الذي طلب إنبات الأنباء الغيبية بالدليل الحسي
 عرف ربه من طريق صنعه التي تراها العيون وتجار في بهاء إبداعها الأفكار
 فلا حق له في طلب ذلك الدليل لأنه سبحانه وتعالى قد أثبت الوهيته

بكثير من الآيات التي ما وجد من يمارضه فيها ولا ينازعه كقوله تعالى
 (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) وقوله (هل من إله
 غير الله) وهذا هو الدليل الحسي الذي بثبوت تثبت الألوهية ومتى تثبت
 الألوهية ثبت صدق الأنباء إذ يستحيل على من تثبت ألوهيته أن يكون
 كاذباً وإن قال ذلك المجادل إن الطبيعة هي الوجودية لهذه المصنوعات نقول
 له من أي طريق تدعى ذلك وبأي دليل تثبته مع أنك لم تسمع بشيء
 يسمى الطبيعة نادى في الناس بأنه إله الخلاق وأما هذا الإله فقد أرسل
 رسلاً وأنزل كتباً وهذه آياته ومناذاته لا يجهلها إلا كل كفار أثيم
 وإن قال أنا لا أنكر الألوهية ولا أكذب مدعيها ولكني أنكر
 هذه الأنباء لا في ما تيقنت صدق الرسالة نقول له إن كنت من العقلاء
 فاستجمع كل ما جاء به الرسول من قرآن وأحاديث ومن أعمال وأحوال
 ثم أحسن تلقيها عن رجل كامل من أهل الآداب الكمالية حتى تكون
 كأنك شاهدت ذلك الرسول وحضرت مشاهد أعماله وأحواله كمن
 حضروها وآمنوا به وهنالك تكون قد وفيت حقوق البحث والنظر
 وسميت في نجات نفسك وإلا فأنت من الأحداث الذين اغتروا بزخارف
 أقوال المضالين

فإن قال إنما نرى عقلاء الفلاسفة قد أنكروا تلك الأنباء وهم أهل
 اطلاع ونظر نقول له إنما كثيراً ما ذكرنا لك أن اختلاف القوابل
 والاستعدادات منع التساوي بين المخلوقات فكيف قوم بما هتدى به آخرون
 وإن كنت أيها المجادل من الذين تنكر عنهم ربهم فجعلوه فما أنت

بأول الكافرين وقد قال الله تبارك وتعالى لنبيه (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) إلى أن قال (لكم دينكم ولي دين) فإلك تعرض لإفساد عقائد المتدينين الذين تعرف إليهم ربهم فمرفوه ووحده وآمنوا بما جاءهم من عنده ألت تعلم أن لكل إنسان قابلية واستعداداً ألا ترى أن كل أمة من الأمم على دين غير ما عليه الآخرون وهم لا يتنازعون ولا يتناوشون فما هو الباعث الحامل لك على التعرض لعقائد المؤمنين الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

يا بني إن أسافل الطبيعيين لا يطعمون إلا في الفقهاء وفي الصوفية فأما الفقهاء فإنهم أقوام تناقلوا جميع الأحكام الفقهية التي عبروا عنها بعبادات ومعاملات مخفوفة من الشبهة والإبتداع ناقلين عن ناقل حتى ينتهي التسلسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإليك ما نقلناه عن بعض السادات الشافعية مما وصل إلينا من فضائلهم العقلية وصحة تلقي العلوم الدينية في إجازة كتبها الإمام الفاضل الشيخ عبد القادر ابن السيد إسماعيل الكيال في ربيع الأول سنة ١٢٤٧ سبع وأربعين ومائتين بعد الألف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين قال شيخنا العلامة المحقق الشيخ محمد الشمسي الحفناوي أخذت فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه عن كثيرين من محقق الجامع الأزهر منهم العلامة الشيخ أحمد الخالفي والعلامة الشيخ أحمد الفقيه

والعلامة الشيخ عبد الرزاق البشيشي والعلامة الشيخ نصر العزيزي والعلامة
 الشيخ يونس الدمرداش والنقطة على سبيل الأول لشهرته وكثرة
 الأخذ عنه فقد أخذ رحمه الله كما قال فقه الشافعي عن جماعة من علماء
 الأزهر والجامع الأنور أجلهم ولي الله الشيخ منصور الطوخي إمام
 الجامع المذكور ثم الشيخ أحمد البشيشي والشيخ الشربابي والشهاب
 أحمد السندوبي وهم آخذون عن شيخ القرا والفقه والمدرسين الشيخ
 أبو العزائم سلطان ابن أحمد ابن سلامة ابن إسماعيل المزاحي وعن الشمس
 البابلي وعن العلامة أبي الضياء والنور على الشبراملسي وكلهم آخذون عن
 الشهاب عميرة البراسي وعن الشهاب أحمد ابن حجر الهيثمي والشهاب
 البلقيني والشهاب الرملي وولده محمد الشمس وكلهم عن شيخ الإسلام
 زكريا الأنصاري وهو عن شيخ الإسلام الجلال البلقيني وعن الحافظ
 ابن حجر وعن المحقق الجلال الحلبي والثلاثة آخذون عن الحافظ الكبير
 عبد الرحيم العراقي وعن العلاء ابن العطار وعن الأكل يحيى ابن شرف
 النوري وهو كما قال في ديباجة تهذيبه أخذت الفقه قراءة وتصحيحاً وسماعاً
 وشرحاً وتعليقاً عن جماعة ذكر منهم الكمال سلار الأربلي وهو عن
 الشيخ محمد ابن محمد صاحب الشامل وهو عن الشيخ عبد الغفار القزويني
 صاحب الحاوي الصغير وهو عن أبي القاسم الرفاعي وهو عن الإمام محمد
 ابن الفضل وهو عن محمد ابن يحيى النيسابوري وهو عن حجة الإسلام
 الغزالي وهو عن إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك وهو عن والده أبي
 محمد عبد الله ابن يوسف الجويني وهو عن أبي بكر عبد الله ابن أحمد

القفال الصغير المروزي إمام طريقة الخراسانيين وهو عن الإمام ابن أبي
 زيد محمد بن أحمد بن سريج الباز الأشهب وهو عن أبي العباس الأنماطي
 وهو عن أبي اسحاق إبراهيم المزيّن وهو عن إمام الأئمة وناصر السنة
 محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه وهو عن الإمام مالك بن أنس
 رضي الله عنهما ثم عن مسلم بن خالد الزنجي فأما مالك فمن نافع عن عبد الله
 ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وأما مسلم فمن محمد بن جريج عن
 عطاء بن أبي رباح وهو عن عبد الله ابن عباس وعن زيد بن ثابت وعن
 كثير من الصحابة رضي الله عنهم وهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وهكذا هي أسانيد فقهاء كل مذهب تنتهي إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بصدق النقل وصحة التواتر فإن كان في هذا الدين تبديل أو
 تغيير فيكون المسؤول عنه بين يدي الله هو رسول الله عليه أفضل الصلاة
 وأتم التسليم وسلام على المرسلين فإيهم معصومون وما يجادل في آيات الله
 إلا القوم الخاسرون

وأما طريق الصوفية فمن المعلوم للعلماء وللعوام أن كل متبع لطريق
 من تلك الطرق التي تعددت أسماؤها بتعدد المرشدين بيده نسب مسلسل
 ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عن جبريل عن الله عز وجل
 وما حوت تلك الأنساب إلا أسماء أكابر الأمة وخيار الأجلاء منها كما يعلم
 المطلع على تلك الأنساب وعلى آثار مسميات هاتيك الأسماء الذين تحيي
 القلوب بذكرهم وسند ذكر منهم أفراد أرجاء البركة
 وإذا كان كذلك فما حكم المنكر عند العقلاء الذين يتدبرون الحقائق

بسمه أنظارهم وجودة أفكارهم ويميزون الباطل من الحق بأنوار بصائرهم
إلا حكم كل كفار أثيم

يأتي لقد عرف العوام خالقهم من طريق الإيمان بالرسالة المحمدية
التي لا يشك في صدقها إلا من كان غليظ الحجاب مظلم القلب خارجاً من
دائرة امتنان قوله تعالى لنبيه (قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم
أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) وقوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه
يشرح صدره للإسلام) إذ الإيمان لسالك طريق النجاة بمنزلة المطية
للراكب وما هو إلا نور يهدي به الله من يشاء من عباده والقوابل المظلمة
لا تقبل الأنوار ولا تصاح لتلقى الأسرار وأما العلماء فقد عرفوه من هذه
الطريق التي سلكها العوام ولكنهم كانوا أوسع علماً وأقوى يقيناً وأقوم
حالا من الطبقة الأولى لأنهم أحاطوا بكثير مما جاءت به الرسالة علماً
ولكنهم في طريق التعرف التي تعرف الله سبحانه وتعالى لهم بها سواً
في مزايا الإدراك النظري لأنها على اختلاف مساربها طريق عامة سهل
مسالكها المشرع لكل سالك بمعنى أن العالم بفن التوجيه مثلاً لم تكن
مسرته في معرفة ربه كسيرة الفقيه الذي لم يكن دارساً لفن التوجيه
والعالم الذي ما درس هذا ولا ذاك لم يكن سالكاً في المعرفة كسالك من
ذكرنا قبله ولكن ربما كان العالم أقوى إيماناً منهما لأنه بعيد عن الشبه
الزيفية ولائهما وإن خالفاه في زيادة العلم ولكنهم توافقوا في مزايا التعرف
لإيجاد الطريق التي سلكوها فإثر الطريق عامة معلومة مفتوحة الأبواب
سهلة المسالك لكل سالك

وأما أهل الخصوصية فمنهم أقوام عرفوه به من طريق العناية
والإختصاص كما أشار إلى ذلك سيدي علي وفاي ورده بقوله إلهي أنت
الذي خصصت أهل العناية ومنحهم خلع الهداية فما نالوا فضلك إلا
بفضلك ولا ولجوا حضرتك إلا بنظرتك وما أحبوك حتى أحبتهم ولا
أقبلوا عليك حتى ناديتهم) إلى آخر ما قال وكذلك ابن عطاء الله
السكندري في مناجاته حيث قال إلهي إن القضاء والقدر غلبني وإن
الهوى بوثاق الشهوة أسرنى فكن أنت النصير لى حتى تنصرنى وتنصرنى
واغنى بفضلك حتى استغنى بك عن طلبة أنت الذي أشرقت الأنوار في
قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك وأنت الذي أزلت الأغيار من
قلوب أحبابك حتى لم يحبوا سواك ولم يلجؤا إلى غيرك أنت المؤمن لهم
حيث أوحشتهم العوالم وأنت الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم ماذا
وجدت من فقد وما الذي فقدت من وجدك لقد خاب من رضي دونك بدلا
ولقد خسر من بغي عنك متجولا إلى آخر ما قال وأولئك هم الأقوام
الذين عناهم الله بقوله (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) وبقوله (وقليل
من عبادي الشكور) وقوله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم)
إلى غير قليل من الآيات القرآنية التي ذكر الله أوصافهم فيها وأولئك هم
أهل العناية والإختصاص الذين توسل بهم الإمام البكري بقوله نسألك
بأهل عنايتك الذين اختطفهم يد جذباتك وأدهشتهم سناء تجلياتك فتاهوا
بمعجيب كمالك أن تسقيننا شربة من صافي شراب أهل مودتك الربانيون
وعرائس أهل حضرتك الذين هم في جمالك مهيمون الى آخر ما قال ذلك

بأنهم هم القوم الذين تعرف إليهم ربهم وتولى بحمايتهم تأديبهم من طريق
الوراثة المحمدية فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدبني ربي فأحسن تأديبي
وأما اختلاف طرق التعرف فقد روى أن الفضيل ابن عياض رضي
الله عنه كان من قطاع الطريق بين أبيوردوس وخس وسبب توبته أنه كان
يهوى جارية فيبينها هو ذات ليلة يرتقي الجدران إليها إذ هتف به هاتف قائلاً
(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) فأخذ يضطرب ويقول
بلى يارب قد آن ثم نزل وصريكي فأواه الليل إلى مكان خرب وإذا برفقة
يقول بعضهم لبعض هيا لنرتحل فقد قرب الصباح فقال الآخرون حتى
نصبح فإن الفضيل على الطريق يقطع علينا فنناداهم لا تخافوا واشهدوا أنني
تائب ثم ذهب إلى الحرم الشريف وجاور به وتلقى الطريق عن أكابر الأتقياء
وكان من أمره ما هو مسطر في سيرته ولقد ذكرنا واقعة مع هارون
الرشيد في كتاب المباحث الأدبية ومن كلامه لبعض أصحابه قوله لو أن
الدنيا بخذافيرها عرضت علي ولا أحاسب بها التقديرها كما يتقذراً حدم الجيفة
إذا صر بها أن تعيب ثوبه ومن كلامه سيكون في آخر الزمان قوم إخوان
العلائية وأعداء السريرة وقال من عرف الناس معرفة العقلاء استراح
وروى أن إبراهيم ابن آدم رضي الله عنه كان من أبناء الملوك خرج
يوماً للصيد وكان على أثر ثعلب وقيل أرنب فهتف به هاتف ألهذا خلقت
أم بهذا أمرت ثم هتف به من قربوس سرجه والله ما لهذا خلقت ولا بهذا
أمرت فنزل عن دابته وصادف راعياً من رعاة أبيه فأخذ جفته وأعطاه
فرسه وثيابه وذهب إلى مكة وصحب فيها سفيان الثوري والفضيل ابن

عياض ثم ارتحل إلى الشام وكان يأكل من كسب يده حتى نال ما نال
من مراتب المقربين

وقال سالم المغربي حضرت مجلس ذي النون المصري يوماً فأعجبني
إرشاده فلما فرغ من مجلسه سأله كيف كان مبدأ امرئ فقال إنه لم يجب
لأقبله عقول المجوئين قلت وكيف ذلك قال خرجت من مصر قاصداً
إحدى القرى فسمت ببعض الصغارى فوقعت قبيرة على الأرض ففتحت
عيني وإذا بها قبيرة عمياء وقد انشقت الأرض وخرج منها سكرجتان
في أحدهما ماء وفي الأخرى سسم فأخذت تأكل من هذا وتشرب من
ذاك فقلت حسبي حسبي من كانت عنايته بالقبيرة هكذا لا يضيع أحداً
من خلقه ثم لزمته أعتابه حتى قباني

وهكذا كانت مبادئ طرق التعرف للعارفين ثم تتوالى على قلوبهم
بعدها إمدادات الإرشاد والتعليم فيها ما يسمونه في اصطلاحهم واردات
ومنها ما يسمونه بوارد ومنها ما يسمونه بوارد إلى غير ذلك من أعمال العناية
الإلهية التي تستجلبها التقوى وكثرة الذكر وحسن العبادة المشار إليها بقوله
تعالى لنبيه (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) (وإن اليقين لا يأتي إلا من
طريق التعرف وما تلك الإمدادات إلا أعلام الهداية المشار إليها بقوله تعالى
من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً)

وأما التأديب فتارة يأتي من طريق المؤاخذه وتارة يأتي من طريق
العتاب والكل عناية من الله ورحمة وإن الله بعباده لرؤوف رحيم
قال إبراهيم ابن أدهم رضي الله عنه نمت ليلة تحت الصخرة بيت

المقدس فرأيت في النوم ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه من هنا فقال له الآخر إبراهيم ابن آدم فقال ذلك الذي حط الله درجة من درجاته فقال لم قال لأنه اشترى بالبصرة تمرا فوقمت ثمرة من تمر البائع على تمره فلم يردّها إليه قال فاستيقظت ثم تجهزت وسرت إلى البصرة واشتريت من ذلك البائع تمرا وأوقمت ثمرة من تمرى على تمره ثم عدت إلى بيت المقدس ونمت في ذلك الموضع فلما كان بضع الليل رأيت الملكين قد نزلا من السماء فقال أحدهما للآخر من هنا فقال إبراهيم قال ذلك الذي رُدَّ إلى مكانه ورفعت درجته

وإن للعقلاء في ذلك لعلبرة إذ الثمرة الواحدة لا تؤثر في حال بائع التمر شيئاً ولقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ينادي على ثمرة لقيها قائلاً هل لهذه الثمرة من صاحب يتفقدّها فقال النبي عليه الصلاة والسلام إن من الورع لما يعقته الله وكره صلى الله عليه وسلم المناداة على الثمرة الضائعة لأنها لا تسمن ولا تغني من جوع ولا تؤثر في حال من فقدّها شيئاً ولكن الله سبحانه وتعالى لما علم أن رضاء إبراهيم ابن آدم بوقوع الثمرة على تمره وسكوته على ذلك منها يقدح في مكارم أخلاقه لأنّه شبيهة بالشهره وقريب من الطمع وربما استخفّ ما يماثل ذلك مرة بعد مرة حتى فسده حاله فأراه ربه في الرؤية المنامية ما يشبه القتاب لكيلا يموت لملها ورويا الأولياء وحى كرويا الأنبياء لأنّه ما بقي بين الله وبين خاصته من شؤون الوحي الصحيح غير الرأيا وكان من كلامه رضي الله عنه قوله أثقل الاعمال في الميزان أثقلها على النفوس والأبدان ومن وفى العمل وفى الأجر ومن لم يعمل

رَحَلَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ بِلَا قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ وَمَنْ كَانَ عَمَلُهُ لَخَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ
جَمَلَ عَمَلُهُ مَرَى سَهَامٍ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَقَدْ مَنَّا عَلَى مَعْمَاوَا مِنْ عَمَلٍ بِجَمَانِهِ
هَبَاءً مَنُشُورًا) وَسَمِعَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا يَتَكَلَّمُ فِي شَيْءٍ مِنْ شُؤُونِ الدُّنْيَا
فَقَالَ لَهُ كَلَامُكَ هَذَا هَلْ تُؤْجِرُ عَلَيْهِ قَالَ لَا فَقَالَ هَلْ تَأْمَنُ عَاقِبَتَهُ قَالَ لَا
فَقَالَ فَمَا تَصْنَعُ بِشَيْءٍ لَا تُؤْجِرُ عَلَيْهِ وَلَا تَأْمَنُ عَاقِبَتَهُ وَكَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
مِنْ كُلِّ الرِّجَالِ وَلَهُ مِنَ الْكِرَامَاتِ مَا لَوْ ذَكَرْنَاهُ لَاسْتَفْرَقَ أَوْقَاتٌ وَمَلَأُ
مَجَلَدَاتِ الصَّحُفِ

وَقَالَ ذُو النُّونِ الْمَصْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَصَابَتْنِي عِلَّةٌ فَدَعَوْتُ إِلَيْهَا بَعْضَ
الْأَطْبَاءِ فَلَمْ يُغْنُوا عَنِّي شَيْئًا فَلَزِمْتُ الْبَادِيَةَ فَلَمَّا جَنَنِي اللَّيْلُ وَكُنْتُ بِوَادٍ ذِي
زَرْعٍ وَإِذَا بِامْرَأَةٍ سَوْدَا قَدْ أَقْبَلَتْ إِلَى سَنَبَلَةٍ فَفَرَكْتَهَا ثُمَّ تَرَكَتَهَا وَبَكَتْ
وَهِيَ تَقُولُ يَا مَنْ بَذَرَهُ حَبًّا يَا بَسًّا وَلَمْ يَكْ شَيْئًا أَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُ حَشِيشًا
ثُمَّ جَعَلْتَهُ عَوْدًا قَائِمًا وَجَعَلْتَ فِيهِ حَبًّا مَتْرَاكِمًا وَكَوْنَتَهُ بِتَكْوِينِكَ وَأَنْتَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ثُمَّ قَالَتْ عَجِبْتُ لِمَنْ هَذِهِ قُدْرَتُهُ كَيْفَ يَعْصِي وَعَجِبْتُ لِمَنْ
هَذِهِ صُنْعَتُهُ كَيْفَ يُشْكِي فَقُلْتُ لَهَا وَمَنْ يُشْكُوهُ فَقَالَتْ أَنْتَ يَا ذَا النُّونِ
إِذَا اعْتَلَّتْ فَلَا تَشْكُو أَعْلَانِكَ لِلْخَلْقِ مِثْلًا أَطَابَ دَوَالِكَ مَنْ مَنِ ابْتِلَاكَ وَعَلَيْكَ
السَّلَامُ فَمَالِي وَلِمَا ظَرَفَةُ الْبَطَالِينِ وَمَرَّتْ وَهِيَ تَقُولُ

وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ * وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَكَانِينَ تَنْزِلُ
وَقَالَ الْجَنِيدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَخَلْتُ عَلَى السَّرِيِّ السَّقَطِيِّ عَلَيْهِ رِضْوَانُ
اللَّهِ فَوَجَدْتُهُ يَبْكِي فَقَالَتْ مَا يَبْكِيكَ قَالَ جَاءَتْنِي الْبَارِحَةُ صَبِيحَةً فَقَالَتْ يَا أَبْتَ
هَذِهِ لَيْلَةٌ حَارَةٌ فَأَعْلَقْتُ لَكَ هَذَا الْكُوزَ لَعَلَّهُ يَبْرُدُ فَتَفْطَرُ عَلَيْهِ ثُمَّ غَلَبَتْنِي

عيناى فرأيت فى النوم جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء ووقفت على رأسى فقلت لمن أنت فقلت لمن لا يشرب الماء المبرد فى الكيزان ثم تناوت الكوز وضربت به الأرض فكان كما ترى قال الجنيد فنظرت فإذا هو خزف مكسور وما مسه ولا رفعه حتى عني عليه التراب وقال رجل للسري يوما وقد وآه مصفر اللون كيف حالك فبكي وأنشد يقول من لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدرك كيف تقف الأكبـاد

وقال أحمد ابن خاف رضى الله عنه دخلت يوما على السرى وإذا به ينظر الى عصفور وقد أعد له ما يأكل فقلت ما هذا فقال هذا أستاذى يعلمنى الأدب قات وكيف ذلك قال إنه تمود أن يسقط على هذا الرواق فأكون قد أعددت له حبا فيلتقطه وهو على أطراف أناملى فإذا أكل انصرف فجاء يوما من الأيام ففتت له الخبز فى يدى فلم يسقط ففكرت فى سرى لأعلم العلة التى أوجبت وحشته منى فوجدتنى قد أكلت طعاما عن شهوة فقلت فى سرى اللهم إني تائب إليك من تناول ما أشتهي فسقط على يدى ثم أكل وذهب

وقال الجنيد رضى الله عنه دخلت على السرى فرأيتـه متغيراً فقلت ما بالـك قال دخل على شاب وسألنى عن التوبة فقلت أن لا تنسى ذنبك فمارضى وقال لا بل التوبة أن تنسى ذنبك قال الجنيد فقلت له إن الامر عندى على ما قال الشاب قال السرى وكيف ذلك فقلت لأنى إذا كنت فى حال الجفا ثم نقلنى من الجفا إلى حال الوفا فذكر الجفا فى أوقات الوفا جفا فسكت السرى مقتنعا

وقال جعفر ابن محمد الصادق رضي الله عنه قلت خير النساج رحمه
الله أكان النسيج حرقتك فقال لا قلت فمن أين جاء لك هذا اللقب فقال
كنت عاهدت الله سبحانه وتعالى أن لا آكل الرطب فغلبتني نفسي يوماً
من الأيام فاشتريت نصف رطل وتناوت منه واحدة وإذا برجل وقف
أمامي وصار ينظر إلى ثم قال ياخير أبقت مني شهوراً وتركتني أتفقدك
في القرى والأمصاير وكان له غلام اسمه خير فوقع شبهه علي ثم أخذ بمخنتي
 واجتمع الناس وكل من رآني يقول للرجل هذا والله غلامك فبقيت متحيراً
ومضيت معه إلى حانوته الذي ينسج فيه غلماناً فلما رأوني قالوا يا عبده السوء
تهرب من سيدك أدخل واعمل في موضعك الذي كنت تعمل فيه وأمرني
بنسج الكرايس فدللت رجلي في بئر العمل وأخذت بيدي الآلة فكأنني
كنت أعمل من سنين وبقيت معه عدة من الشهور وأنا لا أدري من
أين أؤخذت فقامت ليلة من الليالي باكياً فتذكرت الرطب فلما صليت الصبح
سجدت وتضرعت إلى الله في سجودي قائلاً إلهي لا أعود إلى ما كان مني
فأقل عثرتي واغفر زلتي وإذا بذلك الشبه قد ذهب عني فلما جئت لحانوت
الرجل قال إنك لست عبدي ولا إسمك خير إذ ذهب حيث تشاء فتركته
وانصرفت وقات في نفسي والله لا أغير إسماسماني به الله على لسان رجل مسلم
وقال أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه جالست في محرابي للذكر ليلة
فلما طال بي الجلوس مددت رجلي فمتمف بي هاتف إن مجالس الملوك لا بد
له من حسن الأدب فما مددتها بعد ذلك وقال أبو تراب عسكرة ابن حسين
كنت في البادية فتمنت نفسي على خبزاً طرياً وبيضاً والحلت علي في ذلك

فمضت عن الطريق إلى قرية من القرى وإذا برجل قد وثب على وتعلق
 بي وقال هذا كان مع المصوص فقام معه أناس وبطحووني وضربوني سبعين
 خشبة فوقف علينا رجل وصاح هذا أبو تراب النخشي خلوني واعتذروا
 إلى وأخذني الرجل وادخلني منزله وقدم إلى خبزاً وبيضاً فقلت لنفسي كليهما
 بمس سبعين جلدَةً وقال الإمام أبوا بكر الشبلي رضي الله عنه عقدت عنزي
 أياماً على أن لا آكل إلا من حلال طيب فكنت أدور في البراري آكل
 من حشائش الأرض فرأيت شجرة تين فهدت يدي إليها لا آكل منها
 فنادتني الشجرة إحفظ عهدك ولا تأكل مني فأني ليهودي

يا بني

لقد أوقفناك على قليل من فضائل المتدينين وأريناك أبواب الطريق
 التي سلكها الفقهاء منهم والصوفية وعرفناك عناية الله بعباده لتعلم ما هو
 الدين الحق ولترجع عما أنت عليه من الخوض في أعراض المسلمين
 فإنما هي رعونة نفس مأل بها الإطلاع على زخارف أقوال المجنّون عن
 مناهج أهل الآداب من المتدينين فالك ولا ممة مرحومة وصفها الله سبحانه
 وتعالى بأنها خير الأمم وما وقعت أنت ومن سبقك من المتفلسفين إلا في
 أعراض اتقياء وخياراً كبرها لجهلك بما كانوا عليه من الآداب السكالية
 والاخلاق المرضية فهل أتم منتهون يا بني

إن لحوم الاتقياء مسمومة قتالة لا ينجوا والله متناولها لأنهم رجال
 فضلاء أقامهم الله في خدمته فاستقاموا وأذاقهم حلاوة مناجاته فها هموا

وآرام آياته في الآفاق وفي أنفسهم فعرفوه وتودد إليهم بجليل مواهبه
فشكروه وتبجلى لهم بتجليات الجمال فأحبوه ثم تولاهم برعايته ونادى في
خلقه من آذالي وليا فقد آذنته بالحرب وما كانوا إلا أفاضل القرون التي
حكمت عليها بأن أهلها كانوا على دين مبدل فمن أين لك ذلك وما هي
حقيقة دينك المخالف لدينهم وعملك المخالف لأعمالهم يا بني

مالك لا تتيقظ من هذا الغرور الذي أغفلك عن محاسن الآداب كي تتفطن
لنفسك فتري وحشة هذا الموقف الذي وقفته بين مولاك الفيور وبين
عباده الذين منهم التقى والولي ومكسور القلب وكلهم ينادون ربهم ويناجونه
وهو رب رؤوف رحيم تالله لقد صدق الإمام أبو العباس أحمد ابن محمد
ابن سهل ابن عطاء الأزد رضي الله عنه حيث قال إن الشفقة لم تزل
بالأئمة حتى أوقفته على خير أعماله وإن القسوة لم تزل بالفاجر حتى أوقفته
على شر أحواله وقال رضي الله عنه الغفلات المهلكات ثلاث غفلة العبد عن
ربه في تقلبات شؤونه وغفلته عن أوامره وغفلته عن معاملاته في عبادته
وإني أعيذك يا بني أن تكون من أهل هذه الغفلات

يا بني رحمك الله سيقول السفهاء من الطبيعيين لغتهم الله إذا كانت الرسالة
ما جاءت إلا بدين قويم قوامه العبادات والمعاملات التي تناولها الفقهاء
الخالف منهم عن السلف نقلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاسانيد
المسلسلة التي سبق بيانها فكيف كان تباين الطريقين أعنى طريق الفقهاء
وطريق الصوفية فهل جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بدينين الواحد
منهما تناوله الفقهاء والآخر تناوله الآخرون أم الدين واحد ولكنهم

اختلفوا في كيفية تناول وكيف كان الخلاف بين الشافعية والمالكية
مثلاً إذا كان الشافعي تلميذاً للمالك رضي الله عنهما

وعن هذا تقول والله يقول الحق ويهدي السبيل الدين كما بيناه في
كتاب الباحث الأدبية تعليمات إلهية تفيد متعلمها المال بها طهارة باطنه
من خبائث الاخلاق الشيطانية والشهوات البهيمية حتى يكون على استعداد
تام لتلقي الاسرار الربانية في حياته وسالها لجاورة الابرار في دار القرار
بمدحهم وكلمة للدين من حكم كبرى ولكن هاتين الحكمتين كانتا أهم الحكم
وبما تقوى علائق الوداد والمحبة بين الإنسان الكامل وبين معبوده
وتلك التعليمات هي السبب الأقوى لنبوة كل نبي وبمئة كل رسول مبهور
ولا يكلف بالعمل بها إلا من أيقن بصدق الرسول وألوهية مرسله وشهد
أنه لا إله إلا هو وأن ما جاء به ذلك الرسول هو من عنده ولما كانت
قوابل الأمم واستعداداتها مختلفة في قبول ما جاءت به الرسل وفي التصديق
برسالاتهم وكانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم أقوى الأمم قبولاً وأتمها
استعداداً وكان هو أكل الرسل حالاً وأفصحهم مقالاً وأشرفهم أعمالاً
اختصه الله سبحانه وتعالى بخصوصية لم تكن فيمن سبقه من الرسل الألهي
تنوير قلوب الخيار من أمة من طريق السر المصون المبر عنه في توسل
السادة الخلوتية بقولهم

أدعوه بالسر المصون وآله وبعرشه الأعلى بنور جماله

ذلك سر تلقنه جبريل عليه السلام عن ربه وتلقاه عنه محمد صلى الله
عليه وسلم ولقنه ابن عمه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وسرى منه

لكل تقى من أهل هذه الطريق وهذا السر هو المشار إلى مزاياه بقول رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنا مدينة العلم وعلى بابها فكان النارق بين الطريقين
أن الفقهاء يسألون على إصلاح الظواهر بمتابعة تلك التعليمات التي سماها الله
دنياه في قوله (اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الإسلام ديناً) ليتوصلوا بذلك العمل الصالح إلى إصلاح بواطنهم أو إبعادونها
للمتعللين من بعدم الدال على الخير كنزاعه

وأما الصوفية فإنهم عاملون على إصلاح البواطن بمراقبة القلوب
وتخليتها من الشوائب حتى تكون صالحة لتلقى ذلك السر الذي عمله في
النفوس أشبه شيء بعمل التناكح في الأجسام أو بتلقيح النخيل كما يبدأ
فذلك في كتاب نشر الأسرار البشرية فكما أن النخل لا ينمو ثمره إلا بالتلقيح
فكذلك إيمان أهل الإيمان لا يكون كاملاً إلا بتلقيح ذلك السر الذي اختص
الله به عباده الذين اصطفاهم واجتباهم من بين خلقه ونادى عليهم بأنهم هم
أول الألباب وذلك التلقين هو المشار إليه بقولنا في القصيدة اللامية من
كتاب مثبت العقل والدين

ليت قوماً تناكحوا نكحوني شرع قومي يرى النكاح حلالاً
ولذلك كان أحجام الأئمة من أكابر المرشدين عن تلقين ذلك السر
إلا لمن علموا فيه قابلية واستعداداً لتلقيه ومتى صلحت البواطن لتلقى ذلك
السر وتجملت به أشرقت أنوارها على الظواهر وأصبح صاحبه عبداً ربابياً يقول
لشيء كن فيكون ولذلك وصفهم الإمام البكري بقوله في ميميته في رد السحر
عبيد ولكن الملوك عبيدهم وعبد هو أضحى له الكون خادماً

ومن كان ذاعقل يزن به أحوال العباد ويدرك به مزايا الاختصاصات
والأسرار التي أودعها الله سبحانه وتعالى مخلوقاته لا يجد من نفسه قدرة
على إنكار ما أعطى الله سبحانه وتعالى خيار خلقه من مزايا الخصوصية
والفضل العظيم فوا عجباً للإنسان الجهول الذي يرى أن من الحيوانات
البرية ما يربى أفراده بمجرد النظر وكذلك يرى الميعان الذي هو الحسود يعمل
في محسوده بمجرد النظر ما لا تعلمه فواتك السهام كيف ينكر على عباد
الله الذين اختارهم الله من خلقه كراماتهم التي نالوها بمجاهدة النفوس
وصفاء الأسرار وطهارة القلوب والأبدان وما كانت عنايتهم إلا بحفظ
البواطن ومراقبة القلوب وتصفيها بكثرة الذكر وشدة الخوف وحسن
التوكل وصراعات الآداب الدينية التي هي من شؤون المبودية ولذلك عرفوا
بين المؤمنين بأنهم أهل الحقيقة وأما الفقهاء فإنهم بالنظر إلى علمهم يقال لهم
أهل الشريعة والعاملون منهم هم والتابعون للصوفية يقال لهم أهل الطريقة
إذ الشريعة هي أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والطريقة أعماله والحقيقة
أحواله وماورنه في تلك الثلاثة إلا أفاضل القوم الذين اشرقت أنوار بواطنهم
على ظواهرهم ومن لم يكن له حظ في تلك الموارث الثلاثة فليس بعالم
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء ولا يغنى التبحر
باحد الثلاثة أو الإثنين منها عن الثالث شيئاً بمعنى أن العلم بغير عمل لا فائدة
فيه بل هو أضر من الجهل والعلم والعمل إذا لم يصحبهما الحال الذي هو
الأدب كالأدب بالآداب وضلالاً وأكل الآداب مراقبة الحق سبحانه وتعالى
عند كل قول وعمل ونية

قال أبو تراب عنكر ابن حصين رضي الله عنه إذا صدق العبد في نيته وجد حلاوة العمل قبل أن يعملها وإذا أخلص فيه وجد حلاوته عند التلبس به وقال رضي الله عنه ليس من العبادات شيء أنفع من إصلاح خواطر القلوب

وقال أبو علي أحمد ابن عاصم الأنطاكي إمام العمل والعلم وإمام العلم المنية فويل لمن صرف عناية الله به إلى عنايته بدنيته وقال رضي الله عنه إن كنت عبداً لمولايك فإن أحسن لباس العبيد التواضع والإنكسار وإن كنت عالماً فخبر لباس العلماء التقوى وسئل أبو صالح حمدون ابن أحمد ابن عمار النيسابوري رضي الله عنه عن العلماء فقال هو المستعملون لعلمهم المتهمون لدينهم والمقتدون بالسلف الصالح والمتبعون لكتاب الله وسنة رسول الله إلى آخر ما نقلناه عنه فيما سبق وعلى هذا فالعاقل لا يرى خلافاً في الدين بين الطائفتين ولكن الخلاف في مزايا المتدينين لا اختلاف في قوايلهم فإن منهم من يتناول تلك المعلومات ليقال أنه عالم ولا يعمل منها إلا بالقليل الذي لم يغده في إصلاح الباطن شيئاً ومنهم من يزورها خبائثة قابليته وسوء استعداده فيمرض عنها فيغدوا من الأغصان الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ومنهم من تعلمها وعمل بها ولا يكتفي بصدق في العمل فما وجد منزلة الإخلاص فيه ومنهم من تولى الله سبحانه وتعالى أمره فأصاح باطنه وظاهره فما تناول تلك المعلومات إلا بقلب طاهر وسمع واع فكانت له نوراً على نور (يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم)

وأما الخلاف الذي وقع بين الفقهاء فقد سبق الكلام عليه وما هو من طريق المنقول ولكنه جاء من طريق المعقول أعني أن كل مجتهد يملك بما وصل إليه ولكن تفاوت مدارك الأفهام أوجب وجود الاختلاف في الإجهاد النظري لأني المقاصد إذا لكل متحدون في المقصد ومختلفون عليه وما هو الاحتفاظ الروابط الدينية من الضياع والجبر على المذنبين أن يخالفوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمطابقة أهواءهم فيها كواكب هلكت للأمم الماضية المشار إليهم بقوله تعالى (فعالم عليهم الأمد فقصت قلوبهم وكثير منهم فاسقون)

يا بني

مالك ولا أقوام استهنوا بلأيا الدنيا عن بلأيا الآخرة فوزقهم الله الرضا وأيدهم بالصبر وأنا لهم أرفع الدرجات وأنزلهم أشرف المنازل وأصبحوا في مقعد صدق عند مليك مقتدر قال أبو إسحاق إبراهيم ابن أحمد ابن إسماعيل الخواص رضي الله عنه كنت في البادية فرأيت فيها رمانا فاشتبهت به فدنوت إلى شجرة وأخذت منها واحدة فلما شققها وجدت فيها حامضة فتركها ومضيت وإذا بزمن مغارح قد اجتمعت عليه الزناير فقلت السلام عليك فقال عليك السلام يا إبراهيم فقلت وكيف عرفني فقال من عرف الله لا يخفى عليه شيء فقلت أرى لك حالا مع الله فلو سأله أن ينجيك من هذه الزناير فقال لي أرى لك حالا مع الله فلو سأله أن يقيك شهوة الرمان فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة ولدغ الزناير

يوجد الله في الدنيا فما ظنك يا بني برجال يخافون العقوبة على تناول رمانة
بغير حق وأنت لا تخاف العقاب على تناول أعراض أئمة شهد الله وملائكته
وكتبته ورسله أنهم هم المؤمنون وشهداء لهم العرش الذي أظلم والعرش
الذي أظلمهم بأنهم تقر بوا إلى الله بما أسرف به من صوم وصلاة وذكر وتسبيح
وغير ذلك من أنواع العزبات التي قررها المشرع وبمكارم الاخلاق التي
يجبها الله سبحانه وتعالى ألا فاستقل يا بني مولايك من عثرتك فإنها هي لك
دائمة من به على نفسك التي كانت اذ تصرتك واستندت من شيطانك الذي
استهوأك وجعلك الهوته واحذر أخذ ربك فإن أخذه اليه شديد وإياه والله
لميزر ذوا انتقام يا بني تفقد نصائح المحبين وتمسك بمواعظ الصالحين لكيلا
تلك بك نفسك مسالك أهل الفروور فتؤذيها وتؤذيك وقد قال الإمام أبوا
حمزة محمد ابن إبراهيم البغدادي اذا سلمت منك نفسك فقد أدبت حقها وإذا
سلم منك الخلاق فقد ادبت حقهم وهل سلمت منك نفسك ايها الفاضل
وقد اتخذت لها من المسلمين ثلاثمائة مليون اخصاما وهل سلمت منك مسلم
منهم وقد ناديت عليهم بأنهم ليسوا على دين الإسلام رأيت أيها الأديب
الكامل الأدب الكريم الخاق الواسع المعرفة الذي ما حام السفه حول قلبه
ولسانه إن سألك مولايك في موقف العرض والحساب إن كنت مؤمنا
بالقيامة أو سألك أي سائل من أفراد المسلمين اليوم عن السبب الذي
الجأك لهذا التهور والإعلانات الحروب ومقتاتك لهذا الدين والمدينين
به وهم يشهدون أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقد تركت
عبادة القبيلة وعباد الوثن وحبايت المسيحيين أيما محابات وكان بينك وبين

فلا سفهم الحفاوة التامة ثم تماثلت عن اليهود والكل من نوع الإنسان ولهم عليك حق القرابة النوعية لأن الأب آدم والأُم حواء فلماذا لم تقدم لهم واجب النصيحة أيها الناصح الأمين إذ كنت انت الذي أصبحت في الأُم حادثاً طبيعياً وناموساً اصلاًحياً فإذا يكون جوابك أظنك تقول انه ليس من الحكمة أني أترض لإصلاح جميع الأُم مرة واحدة ولكن الحكمة أني كلما تفرغت من هداية أمة عنيت بأخرى حتى لا يبقى على وجه الأرض ضال فإني فريد

يا بني

إن العقلاء لا يجدون في قلوبهم قوة على أن يعقتوا عاصياً لمصيانته لعلهم أن صواب القلوب ربما رده إلى الطاعة والانتاب قبل أن يتخلص الماقت من أحوال دقته ولا تتجاري ألسنتهم على تكفير من لم يتحققوا كفره فما بالك تمقت من لم تتحقق مصيئته من أموات المسلمين ثم تكفر من لاقدوة لك على إثبات كفره من المؤمنين فما أقسالك على نفسك التي أوردتها موردا ماورده قبلك إلا من تميز بعد المذلة وتماظم عقب الإحتقار ذلك الذي يقدم تومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود

قال الإمام أبو محمد جعفر ابن محمد ابن نصير الخواص رضي الله عنه الفتوة احتقار النفس وتعظيم أمر المسلمين وقال الإمام أبو الخير الأقطع القلوب ظروف فيها ما هو مملوء رحمة وإيماناً وعلامته الشفقة على المسلمين والإهتمام بما يهمهم ومنها ما هو مملوء نفاقاً وعلامته الحقد للمسلمين والإعتراض عليهم ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المروء باصغرية قلبه ولسانه ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول لأصحابه عودوا قلوبكم الرحمة وكثيراً

ما أمرهم بإمساك اللسان وقال المسيح عليه السلام أحب أن أعوذ لسانني
قول الخير كما سبق بيانه قبل وقال السري السقطي رضي الله عنه إن أشرف
الناس خلقاً من تمكن من نفسه فمنها من أربع ازدهاء الناس والإعجاب
بنفسه وزخرفة القول والميل إلى الشهوات ومن تزين للناس بتحقير غيره
سقط من أعين الله وقال رضي الله عنه ما رفع الله عبداً إلا بأربع وهي
العلم والأدب والدين والأمانة وما خفض الله عبداً إلا بأربع الجهل والدعوى
والتهاون بالدين وأذى المسلمين وقال رضي الله عنه من أفسد باطنه بمتابعة
الأنهواء والرضاعن النفس وازدهاء الغير قاده الشيطان إلى مصارع سحق
الله من حيث لا يشمر

يا بني

ما بالاك نسيت نفسك واشتغلت بشؤون غيرك وإن لك من شؤونك
إن كنت من العقلاء لما يشغلك عن شؤون الناس فما لك تترك ما يعنيك
وتشتغل بما لا يعنيك وقد سئل مظفر القيسني رضي الله عنه عن خير
ما أعطى العبد من ربه فقال فراغ القلب مما لا يعنيه ليتفرغ لما يعنيه
وكان أبو حمزة رضي الله عنه حسن الكلام في المواعظ فنهت به هاتف
تكلمت فأحسن الكلام وبقي أن تسكت فتحسن السكوت فما تكلم
بعد ذلك حتى مات فيا بني إن كنت تريد سنة رسول الله فهي ما عليه
المسلمون من عهد الرسالة إلى الآن كما بيناه لك من قبل وإن كنت يا بني
داعياً إلى غير هذا الدين فما نحن لك بمؤمنين فملى م الحرب وحتى م

النسب والضمين يا بني هب أنك الطيع ونحن العصاة فهل من الأدب تكبر
 العالمين على الصالحين والكل عبد الله وما كانت اطاعة إلا برضاء الله
 ولا كانت المحبة إلا بقضاء الله وقد قال أبو جعفر محمد بن محمد بن
 علي تكبر الطائمين على العصاة شر من معاصيهم وأضر منها عليهم وقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم رب محبة أورثت ذلاً وانكساراً خيراً
 من طاعة أورثت عزاً واستكباراً يا بني

إن كان ما قلته من طريق النصح فقد تجاوزت حده وإن كان من
 طريق الإرشاد والتأليم فما سلكت ذلك المسلك وإن كان من قبيل تبليغ
 الرسالة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بلغت رسالته وقد
 قال أبو علي محمد بن عبد الوهاب رضي الله عنه لكل شيء حد وكما
 نحن جاء بالاشياء على غير حدودها فقد ضيع حقها ومن تجاوز حدودها
 فقد أشرف على هلاك نفسه وقال أبو علي الروزبادي رضي الله عنه إنما
 دخلت الفتنة على القلوب من ثلاثة أشياء سقم الطبيعة وملازمة المادة
 وفساد الصفة قبل له ما سقم الطبيعة قال مخالفة الدين ومتابعة الأهواء
 فقيل وما ملازمة المادة قال النظر إلى الحرام والسمع إليه واستحسان الغيبة
 فقيل وما فساد الصفة قال أن يغفل العبد عن نظر ربه إليه وعلمه به
 فيسيء صحبته بالاسترسال ورأ نفسه فكما هاج في النفس شهوة يتبعها
 وقال رضي الله عنه انطوف والرجاء جناحان للمؤمن كجناحي الطائر فكما
 أن الطائر إذا استوى جناحه استوى وتم طيرانه وإذا نقص أحدهما وقع
 في طيره النقص وإذا ذهب جناحه صار الطائر إلى الموت فكذا هو حال

المؤمن وما أظلمت يابني إلا فاقد الرجاء والخوف لأن الرجاء يدعم لك ال
الرافة بمن مات من أموات المسلمين والخوف ينهك عن أن تختار الله ما بين
شيئاً مكتوبة فإني حالك من حال الأدباء وأهل الإيمان الذين توارثوا
الرحمة برباد الله عن رسول الله الذي كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً

قال ابراهيم ابن الأثير وش رضي الله عنه كنا ببغداد على شاطئ
الديجلة مع معروف النخعي رضي الله عنه وإذا بأحداث في زورق يضربون
بالدفوف ويلعبون ويضربون الجنور فقلنا لمعرف ألا تراهم يعبون الله
تمالي متجاهرين على ظهر الماء ومن عصي الله في البحر فكأنما عصاه فوق
أجنحة الملائكة فرفع يده وقال إلهي كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة
فإنهم عبادك وليس لهم راحم سواك فقلنا إنما سألناك أن تدعوا عليهم فقال
إن الله سبحانه وتعالى إذا أراد أن يفرحهم في الآخرة يلهمهم المتاب ولقد
تاب الله عليهم ببركة دعائه

فهل ترى يابني أن الله يحبك إذا مئت ثلاثمائة مليون من المسلمين
وحكمت بأنهم كانوا كفاراً في عدة قرون يمجز الحاسب عن حصرهم فلو
أنا ضربنا ثلاثمائة مليون في إحدى عشر فماذا يكون مقدار أعدادهم
في البيت شعري إذا كانوا على دين مبدل والمسيحيون واليهود ليسوا على
شيء ومن المعلوم أن عباد الأوثان ومن شاكلهم مشركون فمن ذا
الذي كان من الأهم أو من الطوائف على الحق وكان الله راضياً عنه إني
لا أرى لطبعي عن هذا جواباً إلا أن يقول هو الفلاسفة الطبيعيون
وهناك يستهزئ به الله وتسخر الملائكة وتضحك منه الشياطين

ويعلم الناس حقيقة ما أتم عليه والله على كل شيء شهيد

أيها العقلاء

أما الدنيا فلا بد من فنائها وزوال ما فيها كما جاءت به الأنباء الشرعية وشهدت به الأدلة العقلية وإن العوام الذين لا يهتمون إلى صحة النظر والإدراك بدلال بيلا يعلمون ذلك من طريق أنهم أيقنوا من تواتر الأنباء أن الأعمار كانت من عهد آدم إلى ما بعد موسى من المئين إلى الألوف في الغالب وأما من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن الستين إلى السبعين وفي الغالب أقل من ذلك وهذا دليل عقلي على أن أمد الدنيا أصبح قريب الأجل وقد أجمع علماء الهيئة على خراب الدنيا فهل إذا جاء الخراب وفسد الكون فكيف تكون الطبيعة التي يظن الطبيعيون أنها هي هيولا الوجود فإن قالوا إن الفناء هنالك عام ولا وجود بعد ذلك لوجود كان هذا هو الهوس الغير معقول لأنهم يقولون أن ما وراء المادة لا يلحقه الفناء وإن قالوا أن هنالك وجود وموجود بعد هذا الفناء ولستكنهم لم يستندوا في إثبات ذلك إلا إلى العقل الذي هو أسير الظنون ورهين الأفكار الخيالية فما الذي يحول بين العقلاء وبين تصديق الأنباء الشرعية التي جاء بها الصادق الأئمة الذي أقام الأدلة الواضحة والبراهين القاطنة على صدقه ومتى صدقوه أتبعوه ومتى أنبعوه علموا مزايما جاء به واستنارت قلوبهم وكانوا من

أيها العقلاء

الصالحين

والله أن القرآن لصديق وإن الدين لواقع وإن القيامة لقائمة وإن

الموت لآت وكل آت قريب وما بعد الموت إلا الندم والفوت وإن
أصعب شيء ترونه في الدنيا لأهون ما يكون في جانب ما يلقى أهل
الفقاة والفور من الحسرة والندم إذا ازدحم الموقف بأهله وتحقق كل
مجرم جرائمه (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها
مصرفاً) ألا وإن كثير الدنيا مع الموت وسرعة الزوال والفوت لأقل
من كل قليل ولقد علم الله سبحانه وتعالى من عباده الميل إلى الشهوات
الفسانية والأغراض الهوائية وما هي إلا امراض قلبية تحول بين ضجيجها
وبين إدراك معالم الفوز والسعادة كما تحول الامراض البدنية بين المريض
وبين تناول ضرورياته التي هو محتاج اليها فأرسل سبحانه وتعالى أطباء
الأرواح والقلوب رحمة منه بخلقه فاختلفت أحوال الناس معهم كما اختلفت
شؤون المرضى مع الأطباء فكذلك من مريض لا يقبل الطبيب مع استحكام
العلة في بدنه وكم من مريض يكون الدواء بين يديه ولا يتناوله إما لجهله
بمنافع الدواء أو لصعوبة تعاطيه وضعف همه المتعاطي وكم من مريض
يطيع طبيباً جاهلاً ربما أضره علاجه ويمسح أمر طبيب لا يجمع الجاهلاء
من أمثاله على أن الدواء الذي يصنعه الطبيب الجاهل أنفع مما يصنعه ذلك
الطبيب الماهر الذي يعمل بعلمه على استئصال المرض وجاب العافية وذلك
الطبيب الجاهل يسكن المرض في الحال ولا يكتن الدواء الذي يصفه يعقب
أمراضاً مهلكة لا دواء لها

فكذلك كان حال الناس مع أطباء القلوب فمنهم من استسلم للطبيب
فسلم ونجا وادرك معالم العافية في دينه ودنياه وأؤلئك هم الادباء المتقون

ومنه من ضعفته همته عن تناول الدواء مع علمه بصدق الطبيب ولكنه
تناول منه ما يدافع عنه شيئاً من الامراض التي تبت القلوب وهؤلاء
هو العوام الذين يهائم الايمان عن ارتكاب المحرمات ومنهم من جهل
مزايا الأطباء ومنافع علاجهم وثمره ما وصفوه من الأدوية القلبية وهي
الآداب التي تدفع عن القلوب غوائل الموبقات التي عرفها الإمام الفزالي
في كتاب الاحياء ثم الجأ الجهل إلى متابعة طبيب جاهل يدعى بالمعرفة
كالمفاسفين الذين ينادون بإصلاح الدنيا ويفعلون عن الآخرة فتلهم
كسل الطبيب الذي يصف من الأدوية ما يسكن المأخفين ولكنه
يُغيبُ أمراضاً لا دواء لها

فيها المقلد

انكم لو تبصرتم في شؤون أولئك لأطباء الجهلاء لتحققتم أنهم دُعَاة
إلى الامراض المهلكة وذلك لأنكم تعلمون علم اليقين أن اراض القلوب
ما هي إلا الخصال السيئة التي تحول بين الإنسان وبين رشاده ألا وهي
الكبر والإعجاب والتباهي والتفاخر وازدراء الغير والحقد والحسد والحرص
والطمع والشح والبخل وضعف الهممة والجبن والغش والتلق والسناد
والإصرار والطيش والغرور والدعوى الكاذبة والغيبة والنميمة وكثرة
الضحك والمزاح واتباع الأهواء ومماثلة الشهوات وميل النفوس إلى
الفنائس وغير ذلك من خصال النقص التي تشغل القلوب عن مدارك
الكمال وتحول بينها وبين العلم النوري الذي به يفوز المرؤ بالمطالب التي
طلبها الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه بقوله واجعل لنا ظهيرا من عقولنا

ومبيننا من أرواحنا ومسخراً من أنفسنا كي نسمعك كثيراً ونذكرك
 كثيراً إنك كنت بنا بصيراً وهب لنا مشاهدة تصحبها مكاملة وافتح
 أسماعنا وأبصارنا واذكرونا إذا غفلنا عنك بأحسن ما تذكرنا به إذا
 ذكرتك وادعنا إذا عصيتك بأنهم منها ورحمنا به إذا أطمعناك واغفر لنا ذنوبنا
 ما تقدم منها وما تأخر والطف بنا لطفاً يحجبنا عن غيرك ولا يحجبنا عنك
 فإنك بكل شيء عالم إلى آخر ما قال فيا أيها العقلاء إنكم لتعلمون أن
 ما ذكرناه وما لم نذكره من تلك الأخلاق المذمومة هي النقائص التي
 هي والأخلاق الحميدة على طرفي نقيض وما جاء الدين إلا ليعينها للعقلاء
 ويوقفهم على غوائلها ويرشدهم إلى محاسن أضدادها فهل ترون من سلم
 منها من هؤلاء الأشرار الذين طالما زعموا أنهم هم العقلاء وأنهم هم
 المصاحون كلا والله إن الذي يدعى سلامة واحد منهم منها لكافٍ ولو
 أن أحدهم سلم من واحدة منها فما هو إلا متلبس بأغلبها ولكن أكثر
 الناس لا يعلمون لأنهم تعودوا النقائص فصارت في أعينهم كمالات ولأنهم
 مرضوا وما وجدوا أطباء غير أولئك الجهلاء الذين غاب عليهم الضرر والعليش
 ففقدوا الشعور والإحساس وأماتت المرض أفقدهم فهلكوا وهم لا يشعرون
 أيها العقلاء

إن القوم قلبوا لكم موضوع الدين وقلبوا لكم الأمور حتى ظننتهم
 عقلاء وعلماء ومرشدين وما هم والله به عقلاء ولا بعلماء ولا بمرشدين وذلك
 لأنهم أرشدوكم إلى ما يفسد الأخلاق لا إلى ما يصلحها وهكذا يكون
 حال الجهلاء إذا زعموا العلم وانتصبوا إلى الإرشاد

تالله لقد نادوا بأن العلم هو سبب السعادة والتقدم وهم لا يعلمون
السعادة ما هي ولا يعلمون العلم الموصول اليها وذلك هو الجهل المهلك لأنهم
ما ميزوا علما من علم ولا معلوما من معلوم فإن العلوم تابعة للمعلومات في
القلة والكثرة وما كل علم بسعد به العالم لأن إبليس على علم واسع ولكنه
أشقى المخلوقات وما سمعنا ولا رأينا من هو على علم بالفنون الرياضية إلا
وجدناه خالياً من الآداب الكمالية التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجاء بها القرآن الكريم ألا وهي الآداب التي من تأدب بها اشتغل
بنفسه عن غيره حتى يصل إلى نهاية الاستقامة ويكون من أهل الكرامة
وهناك يكون مرشداً ولكن القوم زعموا أن العلم هو ما تقدم به
الأمم في كثرة المدد والمدد لتقاوم أمثالها في الشرور أو تغتال حقوق غيرها
فتكون أمة قوية في المدون ماهرة في الطغيان حتى إذا ارادت اغتيال
أمة أو فساد حالها وقام منها قائم للمدافعة بمجرد القول نادت عليه بالتمصّب
والتهيبج وما هذا هو العلم الذي إذا قرن بالادب كان سبباً للسعادة الأبدية
ومفتاحاً للفلاح الدنيوي لأن العلم الذي غايته السعادة ينهي عن كل ما يوصل
إلى كيد النفوس وقهر الضعفاء وإيقاظ الفتن والتشوف لما في أيدي الغير
لما لذلك من العواقب الوخيمة التي يأتي بها القادر المقتدر في طوايا الليالي
والأيام والظالمون نيام في غفلاتهم وفي طغيانهم يعمهون

العلم نور ولكن	سراجة القلب فاعلم
والقلب إن ما تخلى	عن مزج الخوف أظلم
واحتله الطيش حتى	يكون في الزيف ضيق

فات تماظم آذى وإن تجادل أخف
وهل يجيء بشرٍ إلا الذي قد تعلم
وشر كل عليم قبل الشرور مقدم
وكل ضالٍّ بعلم من قاطع الطرق أظلم
وطائش العلم أدرى بكل سوء وأعلم

هذا هو حال الطيبين الذين أثاروا الفتن وآثروا رضا أوروبا على
رضوان الله تعالى حتى مقتهم الله وهم لا يشعرون ومدحوم وأهانهم الله
وعظموهم وحقهم الله (ومن يهن الله فما له من مكرم) ولكن الجاهلاء
لا يعلمون ما هي إهانة الله لعبيده ولا كيف تكون إذم يظنون أنه لا إهانة
إلا في وقوع البلياء أو الفقر أو انحطاط قدر ذي الجاه مثلاً وأما العقلاء فلا
يجدون فوق الحجاب إهانة لهم أن أهل الحجاب في دنياهم أهل الحجاب
في الآخرة لقوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى
وأضل سبيلاً) وقوله (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا
الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون)

فلو أن الله سبحانه وتعالى أذن للقبور أن تتكلم تهتكت الاستار
وتواترت بما عليه القوم الاخبار ولو كان ذلك لما مال إلى الملاحية الأهون ولا
ترين بزخارف الأقوال بين الجاهلاء المتقولون . ولا ضل في أودية الزيف
والافتتان ضال . ولا تباهى مفتتن بهجر المناسك وترك الأعمال . ولكن
الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته ستر العواقب إلا على أهل البصائر
لكيلا تظهر الحقائق إلا في اليوم الذي تتشقق فيه المراثر (كلا سيعلمون

ثم كلا يعلمون (وكذلك قال المهيمن الجبار جل شأنه وتقدس اسمائه
 (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين
 لتروئن الجحيم ثم لترونها عين اليقين) وما كان الله سبحانه وتعالى بكاذب
 ولا بمبالغ في أنباءه بل هو الغالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون
 قال الإمام محي الدين ابن عربي في وصاياه في آخر جزئ من الفتوحات
 المكية والذي أوصيك به أيها المؤمن أن تشتري نفسك من الله بمتق
 رقبته من النار بأن تقول لا إله إلا الله سبعين ألف مرة فإن الله يمتق
 بها رقبته أو رقة من تقولها عنه من النار وقد ورد بذلك خبر نبوي ثم
 قال ولقد أخبرني أبو المباس أحمد ابن علي ابن ميمون ابن أبي التوزري
 المعروف بالقسطلاني رضى الله عنه أن الشيخ أبا الربيع الكفيف المالح
 رضى الله عنه قال جلسنا على مائدة طعام وكنت قد ذكرت هذا الذكر وما
 رتبته لأحد وكان معنا على المائدة شاب من الصالحين وكان من أرباب
 البصائر فعند ما مد يده إلى الطعام بكى فقال له الحاضرون ما شأنك تبكي
 فقال هذه جهنم أراها وأرى أمي فيها ثم امتنع من الطعام وأخذ في البكاء
 قال أبوا الربيع فقلت في نفسي اللهم إنك تعلم أني هللت هذه السبعين ألفاً
 وقد جعلتها عتقاً لرقبة أم هذا الشاب من النار فما رفع الطعام إلا والشاب
 يضحك ثم أكل ما بقي وهو يقول الحمد لله قد خرجت أمي من النار ولا
 أدري ما سبب خروجها وجعل ينتهج سروراً

ذلك ليعلم العقلاء أن الله سبحانه وتعالى تعرف للعقلاء وأهل الإصطفاء
 من عباده وأقام لهم على صدق أنباءه الغيبية الأدلة الحسبة التي شاهدوها

برأي العين ثم قال لأهل الحجاب والفلة من عباده الضالين (كلالو تعلمون علم اليقين أترون الجحيم) يريد كما علمها المابدون الذين عبدوا ربهم حتى جاءهم اليقين فإن الله سبحانه وتعالى جعل لكل شيء سببا وجعل علم اليقين لا يأتي إلا من طريق العبادة لقوله لنبيه (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ولكن قوابل أهل الغرور والدعوى لا تقبل التصديق وليست على استمداد للعبادة فما كانت الا كقوابل كفار قريش المشار إليهم بقوله تعالى (ولو أننا نزلنا عليهم الملائكة وكلهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا) فذلك ما أغناهم علمهم عن سابق القدر المقدور شيئاً بل قالوا إن الدين كله خيالات واهام وأنه لم يأت بدليل حسي يثبت الحقائق والعلم لا يقبل إلا ما كان مشبوتاً فتعالى الله الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء والله لا يهدي القوم الفاسقين أي الذين لا تقبل قوابلهم الهداية وماضوا إلا من طريق النكر الذي جهلوا طريقه وثمراته لأنهم ما تفكروا إلا ليعلموا فيتكلموا والأدباء على خلاف ذلك لأنهم اذا تفكروا علموا وإذا علموا حضروا وإذا حضروا خافوا وإذا خافوا (لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صواباً)

قال أبو بكر محمد بن حامد بن محمد بن اسماعيل ابن خالد الترمذي رضي الله عنه الفكرة خمسة أوجه ففكرة في آيات الله وعلامة صحتها أن تتولد منها معرفة الله وفكرة في آلاء الله ونعمائه وعلامة صحتها أن تتولد منها المحبة وفكرة في وعد الله بالجنة والرضوان وعلامة صدقها الرغبة في الأعمال الصالحة وفكرة في وعيد الله وعذابه وعلامة صدقها أن يتولد منها الخوف

وتجنب الملاحية وفكرة في الجفمن السيد مع مواصفات إحسان الله عليه
وعلاوة صحتها الحياء من الله والندم على سالف الذنوب وهذا هو خوي إشارة
قوله تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات
لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون
في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقينا
عذاب النار ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتهم وما للظالمين من أنصار
ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا ربنا فاعف لنا
ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك
ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد)

هذه هي طريق الفكر المأمور بها في القرآن الحكيم ودأب عليها
الأدباء فجاء الجهلاء يحملون الفكر مزرعة لمجارات الأثم في فساد الأخلاق
والتنافي فيما هو قان وزائل لأنهم يظنون أن الإنسان بفكره يصل إلى
كل ما يروم إدراكه فلذلك أجهدوا نفوسهم في صرف القلوب إلى مالا
يعنيها وأشغلوها عما يعنيها لظنهم أن ذلك من الأسباب التي تجعل الإنسان
استعداداً لأن يدبر شؤون نفسه وغيره وذلك هو الضلال البعيد

والصحيح عند العقلاء من أهل الإيمان أن جميع الشؤون الكونية
في قبضة عليم حكيم مدبر هو موجد الأسباب ومسبباتها ومخصص القوايل
والاستعدادات وهو الموحى والملمهم وما كان الإنسان إلا كباقي الموجودات
أسير قبضته ورهين إرادته وكلما عرضت له حاجة من ضروريات وجوده
ألهمه أو عليه عماها لا فرق في ذلك بين مولود يلهمه ربه التقام ثدي أمه وبين

أكبر مخترع لا ي عمل تدعوا الضرورة الاجتماعية اليه ولولم يكن كذلك لما
 خاب لمؤمل أمل ولا ندم عامل من المدبرين على فساد عمل وإن من شأنه
 جل شأنه وتقدس أسماؤه أن يرفع ويخفض ويعز ويذل ويمطي ويمنع
 بنير شريك ولا معين وهو الذي إن شاء إرشاد أمة أنطق علماءها بالحكمة
 وورق أفرادها الفهم ووجه أفكارهم إلى العمل وبمث في قلوبهم بواعث
 الاهتمام وسخر الجوارح لطاعة القلوب حتى يتم مراده وإن شاء جل شأنه
 ضلال أمة ساط عليها أحداثها وألهمهم زخرفة الأقوال وتحسين قبائح
 الأحوال وسخر لهم القلوب حتى ينفذ المقدر وتستوي في مظاهرها
 الأمور كما يراه العقلاء من شؤون هذه الأمة التي ألفت بها الأقدار في مصارع
 الشقاء الأبدي بتسليط أحداثها عليها وقد أوقفهم القدرة الإلهية مواقف
 العلماء وعظمت في قلوب الجهلاء شؤونهم حتى اتخذوهم أساتذة فانطلقوا
 بهم في أودية الضلال فهم لا يهتدون إلى طريق الحق والإرشاد سبيلا (ذلك
 تقدير المميز العليم)

ولو أن الله سبحانه وتعالى أراد بالناس خيرا لألهمهم الحق وحال
 بينهم وبين تمويهات أولئك الضلال الذين ينادون فيهم بأن التمسك بالدين
 جهود وتنطع وأن الدين الحق هو ما عليه فلاسفة أوربا وما عليه الطبيعيون
 من أحداث هذه الأمة ولقد أطلق الله السنة السفهاء بما لا طائل تحته
 حتى أصبحت الكرة الأرضية كلها كلاما وكل يدعي أنه الإمام الذي يقتدي
 به حتى إذا تأملت حاله وجدته ضالا مفتونا (ذلك لئلا تعلموا أن الله على كل
 شيء قدير وإن الله قد أحاط بكل شيء علما) ألا فتدبروا يا عقلاء الأمة

ألا فتفكروا يا نبيه المؤمنين ألا فتبصروا يا أرباب البصائر ألا فانظروا
يا أولي الأبصار وتأملوا الحقائق لتجدوا الحق جلياً واستمعوا للصدق
وانصتوا للحكم ترحموا

أيها السادة إن المتفلسفين أمواتاً وأحياء ومحرري الصحف وأرباب
المقالات الزينية لا تدن أوتار دعاويهم ولا تتناشد زوائد قرائح أفكارهم
الماطلة إلا على أصرين دعوى الإصلاح وإرشاد الأمة إلى منافقها والكل
يقولون أنه لا عثرة تعوقهم عن سلوك هذين الطريقين إلا الدين وجمود
المتدينين عليه ولقد اطلقوا السنهم طعناً في الدين ودفأ في الأزهرين
وازدراء للكتب التي بين أيديهم وانتقاداً على طرق التعليم وغير ذلك مما
اطلق به السفهاء السنهم مثل قوطم إن الأزهرين تركوا العلوم العصرية
المالية واشتغلوا بالقديم الذي لا فائدة فيه

وانا أقول إن هؤلاء الضلال ما تنافسوا في هذا العمل السيء ولا
تفاخروا بزخارف هذه الأقوال إلا لظنهم أنهم هم العقلاء وأنهم رؤساء
الأمة وإن ما سواهم من الناس لا عقل له ولو أنهم كانوا عقلاء لعلموا أن
أمة يبلغ عددها بعضاً من الملايين لا تخلوا عن عقلاء وليكن الأمر
كما قال القائل

فكم في العرس أبي من عروس ولكن للعروس الدهر ساعد

فذلك لأنهم يعملون على اغراض الحياة الحاكمة التي ترى أن الدين عثرة
في طريق التمدن وأن التمدن أسرع مساعدة لآمالها من الدين فلذلك
رمقوهم بعين العناية والتعظيم ومقتوا كل متدين مقتاً محسوساً تضجر منه

أفاضل العقلاء وأعجب به السفهاء وما الله بغافل عما يعملون
فصار الواجب على العقلاء الآن أن يتبصروا ليتبينوا حقائق تلك
الدعوى الكاذبة ويعلموا الأمر على ما هو عليه فإن كانوا مصلحين فلا
حاجة لرجال الإحتلال الذين زعموا أنهم مصلحوا شؤون المصريين بسياساتهم
وان كان الإصلاح للمحتلين فلا حاجة لنا بالمتفلسفين وان كانوا متعاونين
على ذلك فلينظر العقلاء في ثمرات ما غرس المصلحون أحيالية هي ام صريرة ام
لا ثمرة لما غرسوا فأما انا فأقول ان الإصلاح في الأمم يظهر ثمراته من
طريقين طريق الكمالات الادبية التي هي تجمع حقائق الإنسانية وطريق
الثروة الاقتصادية وكلاهما اصبح مفقوداً إلا في القبايل وما نرى من
الكمالات الأدبية إلا الكلمات المزخرفة والإعجاب بالنفوس والمذلة للأجانب
والتكبر على الوطنيين إلى ما ليس بخاف على العقلاء من الأخلاق الذميمة
والأعمال القبيحة والأحوال السيئة التي تتلبس بها رعاة الأمة والغالب
من اغنيائها وابنائهم المتفردون حتى اصبح كل عاقل نبيه على يقين من ان القوم
لا يعملون إلا على فساد اخلاق الأمة لنرض كامن في نفوسهم تدور على
محوره مقالات المتقولين وتضليلات الموهين الذين يزعمون الإصلاح
ويدعون انهم اهل الفوز والفلاح

واما الثروة فما لمصري إليها الآن من سبيل لمزاحمة الاجانب لهم
وان الحال الحاضرة لا تحتاج الى ايضاح فالعاقل المتبصر يرى من اول
نظرة فكرية ان الإصلاح الذي حصل في جميع المصالح ما كانت ثمراته
وفوائده عائدة الا على الاجانب إما من طريق التملك او من طريق الربح

التجاري او الفوائض الرهنية او غير ذلك من الطرق التي يعلمها المتبصرون
ولو اننا فرضنا في محطىء في هذا النظر وكانت ثمرات الاصلاح المادى
كلها في ايدي المصريين فما للمفلسين فيها من عمل معلوم إلا ان كانت
الفتوى التي ذكرها اللورد كرومر في مناقب فقيد هذه الطائفة ولا
حاجة لنا في البحث عن نتائجها المجهولة التي لم تحدث في احوال الأمة
تخييراً ولا تبديلاً وعلى هذا تكون دعوى الاصلاح من المفلسين مع
وجود المحتلين الذين اصبح امر الامة في ايدي زعمائهم باطلة لا دليل لها
ولا برهان وقد زعموا ان فساد دين الامة مصلح لذيها فقم على ايديهم فساد
الاخلاق وذهب الاصلاح ادراج الرياح وكان امر الله قدراً مقدوراً
واما الدعوى الثانية وهي ارشاد الامة الى منافعها فذلك امر قيام
احداث الامة به من المستحيلات اذ الامة التي وقعت في يد من اذلها
وفذلها بقوة غالبية بعد تعاصيها لا تبلغ رشدتها الا اذا التجأت الى اميرها
الذى كان تعاصيها عليه سبباً لخروج الامر من يدها حتى اذا علم منها
صدق الاخلاص وحسن الوفاء وكان واثقاً بولائها نظر في مطالبها بالحكمة
والقواعد الدولية هذا اذا كان الارشاد المزعوم عمومياً يراد به اصلاح
شؤون الأعمال العامة ما اذا كان المراد بالارشاد ايقاف الافراد على مسالك
السير الحمود ليعتقوا مكارم الاخلاق فذلك لا يكون الا باختيار طائفة
من المعتدلين على مناهج الدين القويم تمنح لهم المرتبات الكافية ثم يكلفوا
من قبل الامير بتطواف المدن والقرى وبذل المواعظ والنصائح لولاية الأمور
ورؤساء البلدان واكابر المائلات حتى تحي روح السمكالات الادبية من

طريق السنة التي اصالح الله بها احوال من تمسك بها من اهل القرون
الماضية بشرط ان تكون الحياة الحاكمة راضية عن هذا العمل الصالح
وموجهة الى استعسانه افكارها وهناك طريق آخر وهو ان يكف
احداث المتفلسفين وسفهاء المحررين اقلامهم عن الخوض في اعراض
المتدينين وعن ازدياد الدين خصوصاً الجرائد الخادعة الامة التي لا تخلو
عن التزوير والتدليس والتباس الحق بالباطل يوماً من ايامها فهي الامة
كالذئب للشاة التي تفدي بلبنها صغيراً ثم لما تمالك قواه عقرها فمات به
صاحبها بقوله

غذيت بشديها ورئيت فينا فمن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب
وأما كلامهم في الازهر والأزهرين فما هو الا شبه شيء بكلام
العوام الذين ما علموا غير ما هم به محترفون إذ يخوضون في أمر السياسة
وراء أرباب الجرايد وذلك لأننا لو جئنا بأمر المتشدين وطرحنا بين
يديه كتاباً من كتب الفقه او النحو او البيان أو المنطق مثلاً لما استطاع
أن يبين من غوامض رقائق عباراته شيئاً حتى اذا ما سئل عن سبب عيه
يقول إنها ذات ترا كيب معقودة وفوائد مفقودة واذا جرى بالقرآن
ادعى أنه ابن بجدته والثاقب لم يكون دُرر بلاغتته . فيا أرباب القلوب
النسيرة والافكار السليمة هل سمعتم بمن جاء في النحو بألفية كالفيحة ابن
مالك وهل قصر شراحها في بيان معانيها البليغة وهل قصر السعد التفتازاني
في مؤلفاته أو هل ترون عيباً أو تقصيراً في مؤلفات الفقهاء من علماء كل

مذهب وهل يري عاقل عيباً في اضطجاع الطالب في بعض أحيائه أو
مداعبته لأخيه أو قراءته أو مطالعته وهو نائم أو قائم مع انهماكه في هذا
العمل الخيري أثناء ليله واطراف نهاره مع أن الله أباح له ذلك بمثل قوله
(واذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم) أفلا يكون حال هذا المسكين
المتفاني في طلب العلم الديني المتطوع بطلبه كحال التلميذ الذي يسن له
لمب الكورة والجونباظ ساء والله ما يحكمون

فيا ايها العقلاء إنما كانت تمويهات هؤلاء الاحداث ومن سبقوهم
فتنة في الدين وخدعة للمسلمين فتنتطوا العمل الأعداء وتمسكوا بمحبة
الأتقياء ولا تحيدوا عن متابعة الانبياء ومن كان منكم مغلوباً لنفسه أو
شيطانه أو متضاماً من تمويهات الضالين فليتقصد ايضاً صالحاً وجليلاً
ناصحاً يرشده الى طريق العقلاء ويسلك به مسالك الفضلاء فإن الامر
ليس كما يظن الزائفون ولا كما يتوهمه الموهون فقد قال الله تبارك وتعالى
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعين وقال ما خلقكم ولا بعثكم
إلا كنفس واحدة وقال (إنا نحن نحي ونميت والينا المصير يوم تشقق
الارض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير) وقال (يا ايها الناس اتقوا
ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت
وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن
عذاب الله شديد) ولو ان الأمر كان هيناً لما بكى من خشية الله الباكون
ولا تجافى عن مضاجعهم في الاسحار المستفرون . ولكن هول ذلك
الموقف حال ارباب البسائر وقتت الأكباد وشق منهم المرأفوا عجبا الطائع يبكى

أسفًا على التقصير في أداء ما وراء الواجب ووا أسفًا على عاص يسره أنه
على الدوام لاهٍ ولا عب تالله إن شقاء الأبد ليس له حد محدود وإن اللاهين
إن لم ينتهوا لآتيهم عذاب غير مردود

أها المقالة هل تفيد المفردة بمد ما جاء به القرآن من البيان الواضح
أم لها جر دينه ما يقيه مخازي ذلك اليوم المهول الفاضح . أظن أنكم في
شك من صدق القرآن الكريم في وعده ووعدده . أم تظنون أن الإله
القادر عاجز عن انفاذ مفعول تشديده وتهديده . كلا والله أن فائق الحب
والنوى . ومرسل الصواعق عند اصطكاك الهوى . وخالق الماء والنار
ومجري السحب حاملة هواطل الأمطار . والمنشيء بحكمته وتديره هذه
الموجودات . والماسك بقدرته الأرضين والسموات . لا يعمز قدرته
الباهرة معجز . ولا يبلغ وصف عظمة اقتداره مطبث ولا موجز . وأنكم
والله لتعلمون منه كمال الاقتدار . وأنه كما أوجد السماء والأرض قادر
على إيجاد الجنة والنار . ألا ترونها أي النار تأتي لدي الاحتكاك من الهوى ثم
تذهب من حيث أتت إذا أطفأها المطفئون . (أفرأيت النار التي
تورون أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون) . فبأي حال تنكرون
قدرة هذا الإله القادر . الذي يخرج الخبأ في السموات والأرض ويعلم
مافي السرائر . فلا يحملكم الكسل والمجز عن القيام بواجب شكره على
إنكار قدرته ولا تحرمكم غويهاات المضامين من لطائف لطفه وعواطف
رحمته فإنه جل شأنه خلق الخلق قسمين وفرقهم فريقين وألزم كل فريق
صلا بعد ما خصص لهم القوابل والاستعدادات وجعلها كالمطايا للعمال ليتوصل

كل فريق بقايلينه و استمداده الي منزلته التي أعدت له فكما ان مراتب
الموجودات في الحياة الدنيا مخصصة بحسب القوابل والاستعدادات فكذلك
مراتب الوجود الآخروي فما الذي يلجئ الطيب الى متابعة الخبيث و أى
حال يضطر كريم الطباع الى مجاورة اللؤماء الذين يجهلون الاحسان ويميلون
الى الكفران والطغيان أليس من الحزم أن يحتاط العاقل الذي تشعبت به
الطرق فيتخير لنفسه طريقاً مأموناً أليس من تمام العقل وكمال المعرفة ان
يحفظ جاهل المال من غوائل الحسرة والندامة . لم لم يتبع العقلاء طريق
الاستقامة والاعتدال لم لم يتخير النباه من الاعمال ومن الاحوال ما هو
اقرب للسكينة والكمال أليس من الجنون أن يخاف المرء في مواطن الأمن
ويأمن في مواطن الخوف بمعنى أنكم تخافون الفقر والرزق مضعون وتحذرون
الموت وله أجل اذا جاء لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ثم تأمنون
عذاب الله وانتم المنلبسون بأسبابه ولا تكثرون بسجنه و أقدامكم بقبيح
أعمالكم قائمة على أبوابه أليست الكبائر منطاطيس البالايا والانتقام
أليست الفلاة والفرور دواعي الخزي ومجلبة الملام (إنا جعلنا في أعناقهم
أغلالاً فهي الى الأفقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن
خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون * وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم
تسذرهم لا يؤمنون) فمن كانت نفسه عليه كريمة فليسأل عن معنى هذه
الآيات الكريمة خيراً ثم يتبصر في أحواله وأعماله ويتأمل في تقلبات قلبه
ليعلم من أى فريق هو قبل أن يأتي يوم لا تزر فيه وازرة وذر أخرى
يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً (إن وعد

الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الفرور)
 ايها العقلاء إن مثل العباد مع ربهم ولله المثل الاعلى كمثل الصبيان مع
 آبائهم فمنهم صبي سليم الفطرة طاهر الخلق لا يخالف اياه ولا يعصي اوامر
 ولا يعمل من الاعمال الا ما يعلم ان والده يرضاه وكلما نهاه عن شيء يهواه
 علم علم اليقين ان ذلك النهى لمصلحة عائدة عليه فلا يجد من نفسه باعثاً على
 مخالفته ولا تخرجه طوارئ العوارض عن محبة والده والاعتراف بحيله
 وحسن رعايته بل يرى حفظ حرمة في حضوره ومنغيبه من الواجبات
 الضرورية فلا تنصرف همه الا الى ذلك في جميع أقواله واعماله واحواله
 وذلك الصبي هو الذي يستحق حنان الوالد ولطف العناية به وحسن الرعاية
 ومنهم الصبي الذي لا يتجاهر بمخالفة ابيه ولكنه لا عناية له بحفظ حرمة بل
 حكمه حكم المنافقين المشار اليهم بقوله تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد
 انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون)
 لانهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فكذلك حال الصبي فاسد الاخلاق
 الذي يدعي حفظ حرمة ابيه حتى اذا غاب عنه تلبس بكل عمل يقضيه ومنهم
 من يبارز اياه بكل ما يكره بل ربما انكر ابوته وتظاهر بالعدوان والطعن
 والاعتراض عليه وبمؤالاته اعدائه الى غير ذلك من الاعمال التي يأتي بها اللؤم
 وخباثة الاخلاق وهكذا هو حال العباد مع موجدهم فالينظر العاقل في اعماله
 ليعلم حاله مع ربه فإن الله سبحانه وتعالى يقول لبيده كما تكون لي اكون لك
 وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم في مثل قوله تعالى (إن تنصروا الله
 ينصركم) وقوله لنبيه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وذلك

لأن الله سبحانه وتعالى سهل لأهل القوابل والإستعدادات الطاهرة
أسباب الإستقامة وطريق التوجه إليه ومتى اقبلوا عليه قبلهم والآخرون
بعده ذلك بمعنى أنه يسهل سبل المصيان حتى إذا نسوا الله أنساهم أنفسهم
وكما اعرضوا عنه كان إعراضه عنهم أشد

قال معروف الكرخي رضي الله عنه كنت ماراً بالكوفة وذلك في
مبدأ أصري فوقفت على رجل يقال له ابن السماك وهو يخط الناس فلما
رآني وجهه وجهه إلى وقال من اعرض عن الله تعالى بكلمته اعرض الله عنه
جملة ومن اقبل على الله بقلبه اقبل الله تعالى عليه برحمته واقبل بوجوه
جميع الخلق إليه ومن كان صرة وصره فإن الله سبحانه وتعالى يرحمه
يوماً ما قال معروف فوقع ذلك في قلبي موقعاً حسناً واقبلت على الله سبحانه
وتعالى حتى قباني ورؤي رضي الله عنه بعد موته فقليل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي قيل بزهدك وورعك قال بل بقبولي موعظة ابن السماك
وملازمة الفقراء ومحبة الصالحين وإن لإعراض الله سبحانه وتعالى عن عبده
لعلامات وللقبول علامات

قال ذوالنون المصري رضي الله عنه من علامة إقبال العبد على ربه
أن يحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله وأن يكون ميالاً للخير تقوراً
من الشر مشتغلاً بعبود نفسه لكيلا يطاع عليه الله وهو على حال ممقوت
وأن لا يخاف في الله لومة لائم وأن يكون متبسكاً بسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في جميع أعماله وأحواله وأقواله وأن يكون محباً للمؤمنين بغضاً
للكافرين . ثم قال رضي الله عنه بقول الله تبارك وتعالى في بعض كتبه

المهزلة من كان لي مطيماً كنت له ولياً فليثق بي واليه حكم عليّ فو عزمتي لوسأني
 زوال الدنيا لأزيتها له . وقال رضي الله تعالى عنه من علامة عناية الله
 بعبده توفيقه لمتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبة السلف الصالح
 ومن علامة إصراره عنه أن يجعل الشيطان وليه ويكاه إلى نفسه فيقلب
 عليه القروور فلا يجد حلاوة الطاعة ويفليه هواه فلا يتأذ إلا بما نهى الله
 عنه ومن كلامه رضي الله عنه الأنس بالله نور ساطع والأنس بالخلق غم
 واقع وسئل رضي الله عنه عن السفلة من الناس فقال من لا يعرف
 الطريق إلى الله ولا يتعرفه فهو سافل وإن كان عند الخلق عظيماً ثم قال
 عجبت لعمد لا يعرف سيده ولا يتعرف إليه وإنشد يقول

لم أذُق حلاوة الحب حتى زال عني محبتي الأنام

وقال له وجل متى أكون زاهداً للدنيا فقال له إذا زهدت نفسك
 يريد رضي الله عنه مخالفتها إذا هي دعتة للمعاصي وقيل له من اشفق الناس
 على نفسه قال املكهم للسانه وقال بشر الخافي رضي الله عنه من علامة
 رضوان الله على عبده أن يرزقه حلاوة الإيمان وقال إن تذوق حلاوة الإيمان
 حتى تجعل بينك وبين الشهوات الممقوتة حائطاً من حديد وقال رضي الله
 عنه من علامة شقاء العبد أن يتفرغ لمعالجة الناس قبل أن يداوى نفسه وما
 داوى أحد نفسه بغير معاونة الله له وقال رحمه الله من ادعى الحكمة مع جمود
 العين وقسوة القلب والرغبة في الدنيا والزهد في الآخرة فهو شيطان وقال
 الخوف ملك كريم لا يسكن إلا في القلوب الطاهرة وقال السري السقطي
 رضي الله عنه من علامة عناية الله بعبده أن يبصره بعيوب نفسه وإن يلهمه القيام

بحقوقه ومن علامة الاستدراج الممى عن عيوب النفس ورأية عيوب
الناس وقال شقيق البلخي رضي الله عنه علامة رضوان الله على عبده ان يعمل
المعمل الصالح ويخاف العقوبة عليه وعلامة سخطه على عبده ان يعمل المعمل
السيء ثم يرجوا ثوابه فالمؤمن كالرجل الذي يزرع النخل ثم يخاف ان يثمر
شوكا والمنافق كالرجل الذي يزرع الشوك ويطمع ان يحصد ثمرا هيات
ان ينزل الله الابرار منازل الفجار وان يسكن الفجار في منازل الابرار
وسئل ابو يزيد البسطامي رضي الله عنه عن علامة محبة العبد لربه
فقال ان يستكثر القليل من النعم ويستقلل الكثير من العبادة وقال ابو
محمد سهل ابن عبد الله التستري وقف على شاب وانا اتكلم على الناس فقال
يا شيخ اعلم العبد اقبال ربه عليه قلت له لا يعلم فقال بلى يعلم فقلت كيف
يعلم قال اذا رايت الله تبارك وتعالى عصمني عن المعاصي ووفقتي للطاعات
وامسك لساني عن لفظ القول علمت انه قبلي واقبل علي واذا رأيت
حجب الدنيا وانساني هول الآخرة وجنبتني الطاعة واشغلتني بعيوب
غيري علمت انه اعرض عني واوكلني الى الهوى والشيطان ثم انصرف
ولم اراه بعد ذلك

وقال رضي الله عنه انصفوا ربكم فإن الباري سبحانه وتعالى يقول
عبدى ما انصفتنى اذكرك وتنساني واطيعك وتعصاني وادعوك لتقبل
علي فاعطيك فتذهب الي غيرى وهو لا يملك شيئا واذهب عنك البلايا
وانت تمتكف على الخطايا يا ابن آدم ماذا يكون جوابك اذا جئتني ذليلا
حقيرا وسئل رضي الله عنه عن الفتوة فقال متابعة السنة وقال له رجل يا ابا

محمد أريد أن أصبحك فقال له إذا مات أحدنا فننصب الثاني فقال الله
قال فليصحبه الآن فإنه خير رفيق وكان رضى الله يقول أكبر الكرامات
أن تبدل خلقاً مذهباً من أخلاقك بخلق محمود وقال أبو سليمان عنه
الرحمن ابن عطية الداراني رضى الله عنه لكل شيء علامة وعلامة خذلان
العبد ترك البكاء من خشية الله ولكل شيء حلية وحلية الإيمان الخشوع
وأفضل الأعمال مخالفة الهوى ومن لم يتعظ بسرعة تماقب الليل والنهار
فليس له من العقل نصيب وقال أبو زكريا يحيى ابن معاذ يابني لا يزال
دينك متمزقا مادام قلبك بحب الشهوات متعلقاً فارك الدنيا لأهلها قبل
أن تترك واسترض ربك قبل ملاقاته واعمر بدينك الذي أنت صائر إليه
قبل انتقالك إليه وقال رضى الله عنه مسكين ابن آدم لو خاف النار
نخوفه من الفقر لأصبح على باب الجنة

أيها المقلاء

مانها كم الله ورسوله عن الدنيا لتموتوا جوعاً ولا تتركوا أسباب
المعيشة ولا أمركم السلف الصالح بالتباعد عنها لتتركوا كل عمل كما يدعى
ذلك المتفلسفون الذين ما فهموا عن الله خطاباً ولا عقلوا من أعمال الصوفية
ولا أقوالهم شيئاً

فأما الله سبحانه وتعالى فما نهى إلا عن كل ما يحرم تناوله ولو تأملت موه
لعلتم فضيلة النهى ومنزاي الإتهاء فلو أن إنساناً جمع الدنيا جميعها من طريق
حلال لما وجد من جهة الشرع زاجراً وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكان من شأنه صرف القلوب عن محبتها لعلها أن القلب إذا تعاقب بنبي

لا يلتفت لسواها والقلوب بطبعها ميالة للشهوات والملاذ ففانية ما يفيدها النهي
عنها أنها لا تنهات عليها فتتسى ما سواها من أعمال البر التي بها يعمر الإنسان
الدار الآخرة وما كان ذلك النهي إلا من أعمال الحكماء الذين تهذب
النفوس بمواعظهم وأما نهي الصوفية عنها فإنه نهي خصوصي لأفراد
اختاروا لأنفسهم طريقاً مأمونة إذا سلكوها كانوا من الفائزين ألا وهي
طريق الإستقامة والإعتدال ولكنهم لما علموا أنها لا تصفوا مسالكها إلا
لمن صحب العلم والأدب تفقدوا الأدباء وتشبهوا بأذياتهم فعملهم فعملوا
وأدبهم فتأدبوا وقالوا لهم ان طلب العاقل للدنيا أفضل من ترك الجاهل
لها فلذلك كان نهيهم عنها نهياً قطعياً لا للمامة ولكن لأناس علموا منهم
الصدق في الفرار منها والركون إلى الدار الآخرة

فجاء السفهاء من أحداث المتفلسفين من أهل هذا الزمن عاينين على
القوم أعمالهم وماقتين أقوالهم واحوالهم فكان حالهم كحال نازح المراحيض
إذا رأى أرباب الرفاهية متحفظين مما تحمله الأهواء من الغبار فيقع ذلك
عنده موقع العجب والإستغراب لأنه ما تعود الا مخالطة الأقدار والخبائث
وأما أهل الرفاهية فما تعودوا إلا النظافة والتحفظ من الأوساخ فما كان
للعقلاء أن تصنى آذانهم إلى قول سفيه لا علاقة له بأعمال الأدباء ولا علم
عنده بما أوتوا من الرحمة والفضل العظيم وقد قال الله تبارك وتعالى (ولكل
وجهه هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً)

أيها العقلاء

إذا كان الله سبحانه وتعالى لم يخلق الخلق على حال واحد وما جعل

مراتب الوجود متعددة بل جعل الناس متفاوتين في المراتب والدرجات
 وخصص لكل عامل عملاً ومرتبة في الوجود لا يتعداها كما تعلمون وجعل
 الناس طوائف فطائفة الملوك غير طائفة الوزراء وطائفة الوزراء غير طوائف
 الموظفين ممن كانوا دونهم وطوائف الموظفين غير طائفة العلماء وطائفة
 العلماء غير طائفة المتفلسفين وطائفة المتفلسفين غير طائفة العابدين وفي العابدين
 طوائف مختلفة فما هو السبب في تكليفهم العلماء بأعمال السفهاء بمعنى أنهم
 يعقبتون العلماء لعدم اعتنائهم بفنون لا تنفي عن الدين شيئاً ولا مدخل لها في
 تهذيب الأخلاق وما هي مظنة التهذيب إلا عند القوم الذين لا يعقلون
 للتهذيب معنى ولا يعرفون للأدب طريقاً فهل من عاقل يُلَقِّمُ كل سفيه
 حجراً كلما تكلم في أعراض الصوفية وتجاهر بمقت المتقين
 أيها الباشا

شفاك الله من أمراض القلوب وعافاك من داء الكبر المهلك لقد
 علمت ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند ربه ليخرج الناس
 من الظلمات إلى النور وما كان ذلك من عام أو عامين ولا من عهد بلوغ
 رشيدك ولكنها مات أعوم تجاوز عددها الألف وثلاثمائة عام فكانت
 قروناً عديدة معصورة بأكابر الرجال وعظماء الملوك وأفاضل العلماء وما من
 قرن إلا وكان لأفاضل رجاله من المدونات والآثار الدينية ما به إهتدى
 أهل القرون التي بعده إلى معالم الآداب الدينية والكمالات الأدبية حتى
 بذلك التواتر الصحيح وصل إليك نبا الدين الذي جاء به ذلك الرسول
 الكريم بأصدق الأقوال وأصالح الأعمال وأحسن الأحوال وإذا بسفيه

ينادى في الناس ان الدين الذي جاء به ذلك الرسول ليس هو هذا الدين
الذي كان عليه أسلافكم ولكنه ما أنا عليه وما عليه علماء أوروبا وإنه لدين
ليس فيه تكليف بصوم ولا بصلاة ولا حج ولا غير ذلك مما يعمل
المسلمون بل هو السعي في إصلاح الأمة وإرشادها لأن تكون على استعداد
تامٍ لمحاربة الأقوياء ومحاربات الأمم الأغنياء

فهل من العقل أيها الباشا وأنت الرأس والرئيس أن تطيش هائماً
وراء ذلك المنادى الممقوت الذي أضله الله على علم فتهجر دينك كما هجره
السفلة من طلبة العلم وتلاميذ المدارس الذين فقدوا العقل والمرشد وغلبهم
الفرور والعليش فاتبعوه من أول وهلة لأنهم ليسوا من أهل الكمال ولا
من أرباب الفضائل ولا من ذوى الآداب فيا صاحب السعادة أما علمت
أن الباشا في اللغة التركية علم على الرأس التي باعتدالها تعدل أعضاء البدن
فإذا تم اعتدال أوعيتها أصبح الجسم مستقيماً وإن تخللها الخلل عاش البدن
مستقيماً وما أتم إلا رؤوس الأمة فاعتدلوا لتعدل الناس باعتدالكم لأن أنظاؤكم
العامة لا توجه إلا لأمثالكم وإنك لأنت اليوم الباشا المحترم المهاب كثير
الخدم كثير الحشم كثير الخلان كثير الأحياب والاخوان ولكنك عما
قريب تكون فريداً وفي لحذك وحيداً تنتظر اليوم الذي فيه يصيبك
نصيبك وعدا كان أو وعيداً فلا يلينك الأمل الطويل عن تذكر ندامة
اليوم الذي اضطرر فيه للموت من قبلك أقرانك ولا ينسينك ما وراء الموت
ما يصنعه معك من التعلق أهل بيتك وجيرانك فإنك يا أيها العزيز لا تدري متى
يأتيك الأجل ولا تعلم ما يكون في موقف القيامة من كآبة الندم ومن الحسرة

والوجل تالله إن في ذلك الموقف لأهوال لا تطاق ولا ينجوا منها إلا كثير
 الآداب وكريم الأخلاق فلم لم تكن خالقك من الساجدين ولم لم ترك
 له مع الراكمين تالله إن ربك كفى عنك وعن سجودك ولكنه يحب أن
 يخرجك من ضيق وجودك إلى فضاء شهودك وإن جليس الملوك المحفوظ
 ومحروس وسمير الشياطين محروم ومتهوس والمصل لا يناجي سوى مولاه
 وتارك الصلاة مطرود مع العصاة من رحمة الله تالله إن الذي افتاك بترك
 الصلاة والصوم المفتون وما هو إلا بدعواه مغرور ومجنون ألا هل من
 العقل ان لا يتلبس العبد من الأعمال بما به تظهر عليه آثار العبودية
 ألا هل من الأدب ان لا يعترف العبد لمولاه بحقوق الربوبية فيأليها الجليل
 تقرب الى مولاه بالانقياد والطاعة وإياك ان تحيز إلى شياطين الإنس
 وتترك سبيل السنة والجماعة فإن الخطر والله خطير ويوم القيامة يوم عسير
 على الكافرين غير يسير

أيها الباشا ما غرك ربك الكريم الذي خلقك فسواك وبيده أئمام
 ربك ووالاك أليست هذه الأكوان صنعة أليس كما تتقلب فيه
 الحيوانات من كل ما يشتهي فضله ونعمته اتظن ان الطبيعة كما يزعم السفهاء
 هي صاحبة الجليل ألا هل يتوهم هذا إلا كل سفیه هيل ألا ترى أيها
 الفاضل ان العناصر اضماد متباينة الصفات والتأثيرات فكيف كان اتفاقها
 على خلق ما في الارض والسموات وإن كان وراء العناصر شيء يقال له
 الطبيعة وكانت هي التي اوجدت تلك العناصر فهل هي ذات إرادة بها كان
 تخصيص رتب الموجودات قبل وجودها ام بحكم الصدفة كان وجود كل

موجود فإن كان الأول وكان اكابر الفلاسفة وصلوا إليها من طريق تتبع
 المسلمات وتقابلوا معها وجهاً لوجه كما قال ابن رشد وغيره فلماذا لم يأتنا
 فيلسوف برسالة من قبلها كما جاءت رسل هذا الإله القادر الذي ملأت
 الكون دعوات رسله وأيدهم بالمعجزات وبالآيات البينات حتى تبين الأمم
 صدقهم وإن كان الثاني فهل لما قل أن يدعى أن هذا النظام الإبداعي في العالم
 العلوي والسفلي كله كائن بحكم الصدفة كلا أن الذي يزعم ذلك في ضلال
 مبين وإن كانت الطبيعة التي زعموها هي مجموع المقول العشرة وكانت
 كلها ذوات تأثير في جميع الموالم الكونية لزم على ذلك تعدد الآلهة وكانت
 تسميتها بالطبيعة وضعاً إصلاحياً وذلك مما يزرى برتبة الألوهية إذ لا يليق
 أن يكون الإله مجهول الاسم حتى يسميه مألوهه باسم لا ينطبق مفهومه
 على حال مسماه بوصف من الاوصاف وهذا كله مما يرشدك أيها الباشا إلى
 أن لا تكون إله قادر لا تدركه الأبصار ولا تحيط به المقول ولا يصل
 إلى معرفته عارف إلا إذا تعرف بقدرته وحكمته إليه وهو سبحانه
 وتعالى لا يتعرف للمتكبرين ولا لأهل القوابل الخبيثة وإنما يتعرف للضعفاء
 المنكسرة قلوبهم الذين لا يلجؤهم اللوم إلى كفران النعمة وإنكار الجميل
 لأنهم أحق بالرحمة والطف التعطف وإن من شؤون القادر لبفض المتكبرين
 فلا تلق بنفسك الشريفة في هذا المصرع الوخيم خلف أولئك اللؤماء
 الذين اضطرم اللوم ودناؤه الأصل إلى الطغيان العلمي فحكموا في أنفسهم
 أهواءهم وأمروا على الشرع عقولهم فاستوجبوا مقت الله وغضبه والله
 عزيز ذوا انتقام

ألا ترى أيها الماقل ان الله سبحانه وتعالى قد بين لنا في القرآن انه
 أخذ أمما قليل المخالفة وأخذهم أخذاً وبيلاً لانه ابتلاهم أي اختبرهم بما توهوا
 انه لا يوجب العقاب بخالفوه فأنزل عليهم المقت الأبدى كأصحاب الناقة
 الذين عقروها وكقوم طالوت الذين اختبرهم بقوله (إن الله مبتليكم بنهر فمن
 شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده
 فشربوا منه إلا قليلا منهم) فلو أن للقوم عقولا وكانوا علماء وإلى آداب
 ذوقية لعلموا أن سر العبودية في المتابعة والإتيقاد ومن فقد صرايا الإتيقاد
 فقد أخرج نفسه من دائرة العبودية وما وراء العبودية إلا الربوبية وهي
 صرابة الواحد الذي لا يقبل الشريك فالأولى لك أيها الباشا أن لا تقتدى
 بقوم كتب الله عليهم الجلاء من حوزة المتدينين فهاكوا وهم لا يشعرون
 هذا ما يختص بمحقق مولاك عليك وعلى كل ذي عقل سليم وأما
 ما يختص بأمر الرسول الذي أوصله إليك بالبيانات والهدى فإن العقلاء
 يعلمون أن الرسالة التي جاء بها إليك وإلى الذين من قبلك من ملوك
 ورعايا ماهي إلا كرامة فوق كل كرامة لا ياباها إلا لئيم الطبع ولا
 يقدرها قدرها إلا كل كريم ذي عقل وعرفان لأنها ما كانت إلا عن
 عناية وفرط محبة ورحمة من الله لعباده الضعفاء ولقد قال أبوا يزيد البسطامي
 رضي الله عنه في مناجاته ليس العجب من حيي لك وأنا المبد الفقير إنما
 العجب من حبك لي وأنت الملك القدير وهل عرف ذلك العارف محبة
 ربه له إلا من توفيقه لما تحقق به من أوصاف العبودية وحسن المتابعة لذلك
 الرسول الكريم والعمل بما جاء به من الأوامر والأدبية التي علمها الله لعباده

الأخيار ليكونوا صالحين لأن يكونوا في مقعد صدق عند مليك مقتدر
فإذا الذي عنك أيها الجليل الذي يرى نفسه فوق أقرانه في الفضائل
والمزايا ويحتقر أتقياء الفقراء من أن تحفظ لنفسك هذه الكرامة حتى لا
تكون بعد موتك مهاناً محزوناً ذليلاً محقرًا مخذولاً صرعوباً من ذلك الهول
الهول الذي تكون فيه حافياً عارياً ما معك من الجند والخدم أحد أفترضى
أيها المهاب أن تكون مع رعا عاصمة وأوباش الخلائق الذين يحشرون إلى
جهنم زمرًا (حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل
منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يوم هذا قالوا بلى ولكن
حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها
فبئس مثوى المتكبرين) فوا أسفاه مهارة عظمى عند تحصيل الأغراض
والشهوات وغفلة مهلكة أنست الناس ما سيكون من الندامة بعد المات
وقصور مشيدة لا يصل إلى أوائلها الفباو ولكنها مملوكة لنوى قلوب
مملوءة بقذارة الأوزار وخبائث الإصرار

ليت ذا المال يصلي	وأخا الجاه يصوم
ليسرى يوم سرور	عند ما الناس تقوم
للتساق والتقاضى	والتخلي للخصوم
يوم لا تنجى جنود	لا ولا تقى اللوم
إنما المرؤ رهين	للذي تحوي الرقوم
في كتاب ما حواه	قد تجلى كالنجوم
وبه المرؤ يجازى	ليس ربي بالظالم

أيها البيك الفاضل

لا يفتنك أيها الحبيب إقبال القوم عليك ولا يخرجك عن حد المبرورية
 وقوف المتخاصمين بين يديك ولا يلهيك عن الموت تراكم الملاهي ولا
 يفرنك ياذا الزكاء والفطنة الغرور الالهي فإن المال والجاه الذي أنت به
 مغرور لا بد أن يزول بزوال الأيام وإن موعد مفارقتك له لضجة الموت
 وحلول الحمام فلا تحول بينك وبين معرفتك لنفسك منصبك فما هو إلا
 كالمصارع يصارعك وتصارع ه فتغلبه أو يغلبك وما حملك يا بيك والله
 إلا أوزراً ولا أورثك إن كنت من المتفردنجين إلا علواً وعمواً واستكباراً
 وما من حال من هذه الأحوال الثلاثة إلا وهو ممقوت ولن يتبين المغرور
 كآبة تلك الأحوال إلا بعد أن يموت فلا يضرك نظر الناظرين بعين
 التبجيل والإحترام إليك ولا يفتنك إقبال المتعاقبين من ذوي الحاجات
 عليك فانما هي أوهام لا يفتقر بها إلا الجهول وأئن تأملت بفكر صائب
 لتحققت أيها الفاضل صدق ما أقول لأن أهل الدنيا لا يحترم بعضهم البعض
 إلا لغايات وأغراض حتى إذا زالت تسارع إلى قلوبهم المال والإغراض
 فاربأ بنفسك أن تكون بالعبث مغروراً وقل لشيطان طيشك إني لأظنك
 يافرعون مشبورا (أيها الفاضل) أأنت الذي يفتقر لدى الجوع للطعام
 كما يفتقر الجرذ والبحير . أأنت الذي يعمل في بيت الخلاء ما يعمل كل
 حيوان حتى الحمير . أأنت الذي ينام عند غلبة النوم كما تنام الاطفال .
 أأنت الذي يعمل عند الجماع العمل الذي لا تعمله البغال . أأنت الذي
 إن شاكته الشوكة أو قبلتك البقرة تتألم أأنت الذي كان جهولا لولا أنه

بارشاد الله وعفانيته تعلم . أأست الذي لو سلمتكم الموارض الفميمة إحدى
 الخواس لتقطعت بك تلك الاسباب . أأست الذي ان أصابتكم مصيبة
 عظمى في بدنك عويت كما تعوي الذئب . أيها الفاضل ألك مع الموت
 مواعيد لا يتعداها أم أنت كغيرك لا تدري في تلك الحالة ما طحاها .
 فإن كنت الأول فشكل آت قريب . وإن كنت الثاني فكيف يكون
 الإطمانان مع جهل الأجل أيها الحبيب . عزيزي ان مثلك يابيك من
 يكتفى في الموعظة بضرب المثال إذ لا يحتاج الفطن النبیه إلى كثرة القيل
 والقال . فتبصر يا بیک بفكرک في مصالح أحوالك واعمل فيما بينك وبين
 مولاك لمصلحة حالك وما آلك وإياك أن تكون كأهل الغرور . فإن الذي
 لا يعمل لما بعد الموت مفتون ومغرور . فوالله لا بد لكل حي من حياة
 الأبد وما هي إلا روح تتلبس هنالك بجسد فتذكر ما كانت قبل الموت
 عليه من الأعمال . وإلى ما يناسب سوابق أعمالها من الدرجات والدركات
 تساق المال وما كان للحكمة الإلهية أن تجمع بين ذوى النقص وأهل
 الكمال . ولا أن ترتضي اختلاط السفهاء بهؤلاء الرجال . وليس العاقل
 الأذوب إلا من أحسن الصحبة مع ربه في مواطن الاختبار . وعمل
 بأوامره ونواهيه فكتبه في ديوان الأخيار . فاسلك يا بیک بنفسك
 مسالك الأوابين . ولا تترض بفتنة الطيش والغرور إلى مخاصمة رب العالمين
 ويا أيها العلماء إنكم لأعلم مني بحالكم مع العزيز الجبار وبما ستقونه في اليوم
 المهلل الذي تخشع فيه الأصوات وتشخص فيه الأبصار . والعلم بلا أدب
 داء عضال وما اشنع العلم إذا ما اصبح سبباً للنكال وللوبال والعبد يقرع

بالعصا والحر تكفيه المقالة . واما العامة فانهم ذبول واكارع واذا صالح
 حال المتبوع أفلح وراءه التابع والأمر لله الذي إذا أراد شيئاً لا بد أن يكون
 وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون
 خرج مسلم في الصحيح عن عبد الله ابن بهرام الداري عن مروان
 ابن محمد الدمشقي عن سميد ابن عبد العزيز عن ربيعة ابن يزيد عن أبي
 إدريس الخولاني عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
 فيما رواه عن ربه انه قال يقول الله تبارك وتعالى يا عبادي إني حرمت
 الظلم على نفسي وجعلته فيما بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي كل من
 ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كل من جائع إلا من أطعته
 فاستطعموني أطعمكم فإني أنا الرزاق ذو القوة المتين يا عبادي كل من عار
 إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم فإني خالق الصوف والوبر ومخرج
 النبات والشجر ولو منفتكم ذلك لأصبحتم حفاة عراة يا عبادي إنكم تخطئون
 بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي لو أن
 أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد
 ذلك في ملكي شيئاً ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر
 قلب رجل واحد ما نقص ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم
 وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل سائل مسألته
 ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص الخيط إذا دخل في البحر

وفي حديث آخر يقول الله تبارك وتعالى في بعض كتبه المنزلة يا ابن
 آدم كل يوم تزيد في رزقك وأنت تحزن وتنقص من عمرك وأنت

تفرح ونمطيك ما يكفيك وأنت تطلب ما يظنك لا بقليل تقنع ولا
بكثير تشبع يا بن آدم لو رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت في طويل
ما ترجوه من أملك ولتصبرت من حيلتك وحرصك وابتغيت الزيادة في
صالح عملك ولكحك ستلقى الندم إذا زلت بك القدم وأسلمك إلى القبر
الأهل والحشم وانصرف عنك الحبيب وترحم عليك الفريب فلا أنت إلى
أهلك عائد ولا في عملك زائد فاعمل يا عبد ليوم القيامة فإنه يوم الحسرة
والندامة يا بن آدم خيري إليك نازل وشرك إلي صاعد وأنا أتجيب إليك
بالنعم وأنت تتبغض إلي بالمعاصي وما من يوم إلا ويأتيني ملك كريم بقبيح
عملك فياضية طالك وخيبة أملك أما تراقبني وأنا عليك رقيب أما تعلم
أنك بعيني في خلواتك وعند حضور شهواتك يا بن آدم اذكرني عند
الشهوة وساني أن أنزعها من قلبك لأعصمك من معصيتي وأبغضها إليك
وأيسر لك طاعتي وأحببها إليك وأزين ذلك في عينك فإني أنا مقلب
القلوب والأبصار وإني إن تركتك وشأنك لعب بك الشيطان وكنت
أشر حيوان

وأوحى الله تعالى إلى بني إسرائيل يا بني إسرائيل رغبتناكم في الآخرة
فلم ترغبوا وزهدناكم في الدنيا فلم تزهدوا وخوفناكم النار فلم تخافوا
وشوقناكم إلى الجنة فلم تشتهقوا وإن لنا سيفاً غير مغمد وهو الهاروة وإنها
لهي النار الحامية

أيها المقلد ما نريد بما جئناكم به من الحكمة والموعظة الحسنة أن
نحول بينكم وبين ما في أيديكم من متاع دنياكم القليل ولا أن ننهاكم عن

طلب ما تحتاجونه منها ولما كنا نريد منكم أن تتناولوها كما أمركم الله إذ
 قال لكم (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فاعدلوا بين
 الضرتين فإن العدل اقرب للنجاة ذلك لتفوزوا بعبادة الدنيا ونعيم الآخرة
 وإلا فالحزن الدائم بعد الفرح اليسير مصيبة كبرى والمذاب بعد النعيم
 شديد الآلام والدل بعد المرفضة وخذلان والهوان بعد الغرور
 والظنيان نكال ووبال فلا تظلموا أيها السادة أنفسكم بمتابعة أقوام ادعوا
 أنهم عقلاء وما هم بعقلاء ولكن فقد العقلاء هو الذي ساعدكم على ادعاء
 العقل وضعف إيمان المؤمنين هو الذي جرأكم على التحامل على الدين
 وليس الدين هو الضائع ولكن السفهاء هم الذين أضاعوا أنفسهم وما
 هلك الزائنون بمتابعة أولئك الشياطين إلا لما يعلمه الله من الأسباب
 التي إذا تفقدتها العقلاء علموها وما هي إلا من أعمال الحكمة الإلهية فإن
 الإله القادر مقلب القلوب الذي حجب للمؤمنين الإيمان وزينه في قلوبهم
 وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان هو الذي قابل أرباب القوابل
 السيئة بضد ذلك فتراهم يعقتون الذين يذكرون الله ويصلون على رسول
 الله ويزدرون الأتقياء للأسباب التي أشرنا إليها فيما سبق التي منها أن ولد الزنا
 حتم الله عليه النار كقاتل نفسه وذلك لأن هذا ظلم نفسه وعاجل ربه بها
 وذلك ظلم نفسه وأبويه لأنه هو الباعث على الشهوة ولولاها لما فضي الزاني
 إلى الزانية إذ النطف الطاهرة لا تنزل منازل النطف الخبيثة ولذلك قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح
 من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وإني لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء

وإن العقلاء ليعلمون أن اختلاط الأنساب في هذا الزمن هو من
أكبر الأسباب الذي ساق كثيراً من الناس إلى النار وأعمالها والتشبه
بأهلها فكانوا من المكذبين بالدين ومن لم يكن كذلك كان التحاقه بهم
بحكم الإختلاط والمماشرة وفقد النصحاء ولو أن العقلاء تفقدوا انساب
المتفرجين بدقة البحث لعلوا صدق ما نقول فإن الولد لا بد له من مشابهة
أبيه في كثير من الصفات والأخلاق ومن هذه الوجهة كانت تحليل
المشرع وإباحته للطلاق وهو ينفذه وترخيصه في التزويج إلى أربعة كيلا
تكون كثرة النساء وقلة الرجال من دواعي الفجور ولقد ذكرنا أسباب
الفسق والمروق من الدين في كتاب المباحث الأدبية والله سبحانه وتعالى
يقول الحق ويهدي السبيل

أيها العقلاء لقد قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه العزيز (ولقد
فرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين
لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل)
وقال في آية أخرى (وقليل من عبادي الشكور) وقال (وإن كثيراً من
الخطاء ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل
ما هم) فكونوا أيها العقلاء من الفضلاء القليلين ولا تكونوا من السفهاء
الكثيرين ولا تريد بالفضلاء القليلين إلا الذين مدحهم الله وأثنى عليهم
ووصفهم بأكل أوصاف العبودية في كتابه العزيز بمثل قوله جل شأنه
وتقدس اسمائه (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً) إلى

آخر سورة الفرقان وقوله (قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون) الى آخر الآيات فهل تعقلون ما هو اللغو ايها العقلاء إنما اللغو كل اللغو بل اشنع اللغو هو ما تظلمون عليه كل يوم وتظالمونه في صحف الجرائد من الاقاويل التي ازاغت قلوب المعجبين بها وتركت كثيراً من البسطاء في طغيانهم يعمهون فهل يظن عاقل او يتوهم متوهم ان اهل العناية بتلك الأباطيل والاضاليل سواء المنشيء لها والمطالع والسامع هم من الذين شكر الله صنيعهم واثى عليهم في آيات الكتاب وعلي السنة الرسل كلا والله إن الذي يتوهم هذا اني ضلال مبين

ولا نريد بالسفهاء الكثيرين إلا الذين نسوا الله فانساهم أنفسهم سواء العالم منهم والجاهل والحقير والامير لأن الحقير الحق هو الذي لا يحترم أو امر به وان كان ملكاً أو سلطاناً والامير هو الذي يعظم حرمة الله وإن كان هو الموصوف بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رب رجل أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره وإنكم والله لتعلمون أن ذوى الاخلاق الكريمة في الرجال قليلون والله در القائل وإن لم يكن من الاتقياء

تعايرنا أنا قليل عداؤنا فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الا كثيرين ذليل
وإنه لرجل حمله الجاس والجأته الشهامة الى الافتخار بمن زائل لا عناية
للعقلاء به فكيف بأهل العز الدائم والملك الكبير الذين ذهبوا بشرف

الدنيا وكرامة الآخرة فإنه لا عز فوق عز الطاعة والإيمان ولا ذل فوق ذل المعصية والكفران فأما عز الإيمان فقد أثبتته الله سبحانه وتعالى بقوله مشهوراً لأهل الكفر والنفاق (يقولون آئن رجعنا إلى المدينة ليخرجننا الأعراس منها الأذل والله العزة ورسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) وأما الملك فقد قال الله تبارك وتعالى بعد ما وصف نعيم أهل الجنة مخاطباً لرسوله عليه الصلاة والسلام (إذا رأيتهم حسبهم أوّلوا مشوراً وإذا رأيته ثم رأيت نعيماً ومملكاً كبيراً) فما ظن العقلاء بملك استكبره الله سبحانه وتعالى في جانب متاع الدنيا الذي وصفه بقوله لنبيه (قل متاع قليل) ولو شئنا لشرحنا شؤون عز الطاعة وشؤون ذل المعصية بالبيان الذي لا يرتاب في صدقه المرتابون ولكن المجال مجال الإيجاز واختصار ورب إشارة اغنت عن طويل العبارة فالنذكر من تلك الشؤون شيئاً قليلاً فنقول والله يقول الحق ويهدي السبيل

ان العقلاء ليعلمون أن العز والذل كلاهما صفة تخالط النفوس بمفاجأة طواريء أسباب ظاهرية أو باطنية فتظهر علامات تلك الصفة على هيول المتلبس بسبب من تلك الأسباب كما تظهر علامات السرور أو الحزن مثلاً على من طرقة طارق أحدهما ولا سبب للذل إلا خوف عارض سيء آت أو ندم على عظيم فائت أو خزي لتلبس بعمل قبيح وأهل الإيمان الصادق مبرؤون من هذه الطواريء وأسبابها لأن السلامة منها هي أعظم ما يتمناه المؤمنون قال الإمام أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه اللهم انا نسألك التوبة ودوامها ونعوذ بك من المعصية وأسبابها وذكرنا

بالخوف منك قبل هجوم خطراتها واجملنا على النجاة منها ومن التفكير
 في طرائقها واح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها واستبدلها بالكرامة
 لها والطعم لما هو بضدها وأفض علينا من بحر كرمك وعفوك حتى نخرج
 من الدنيا على السلامة من وبالها واجملنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالين
 بها وارأف بنا رافة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها وأرحنا من هموم
 الدنيا وغمومها بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها إلى آخر ما قال في طلب
 التخلص من اسباب الدل وقال في معرض التخلص من المفتقات الدنيوية
 اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالدل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى
 وجدوا فكل عز يمنع دونك فنسألك بدله فلا تصعبه لطائف رحمتك وكل
 وجد يجب عنك فنسألك عوضه فقدا تصعبه أنوار محبتك فإنه قد ظهرت
 السعادة على من أحببته وظهرت الشقاوة على من عيرك ملاك فهب لنا من
 مواهب السعداء واعصمنا من موارد الأشقياء إلى آخر ما قال فهل من
 كانت هذه مطالبه يجد في نفسه أثرا للدل كلا والله إن الذي ينال ذلك
 النوال من مولاه لمن الفائزين

وأما العز فإن أقوى سبب لثبوته في النفس هو سكون السكينة
 والإطمئنان في القلب المعبر عنهما بقوة اليقين قال الله تبارك وتعالى (هو
 الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم والله
 جنود السموات والأرض وكان الله عليا حكيما) فمن تفتن لرقيق إشارة
 هذه الآية الكريمة ولإشارة قوله تعالى (سنلقي في قلوب الذين كفروا
 الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به عليهم سلطانا) علم معنى قوله (والله

جنود السموات والأرض) وعلم أن العز والذل والسكينة والطمأنينة والجزع
والفرح وجميع الاوصاف المتضادة التي تطرأ على الإنسان منها المسيء
الحزن ومنها المسر المفرح كلها من جنود الله سبحانه وتعالى يسقطها على
من يشاء من عباده بعضها من عوامل الانعام وبعضها من عوارض الانتقام
ولذلك ترى المؤمن المعدم هادئ البال ساكن الجأش طيب النفس مطمئن
القلب نائمًا في حجر ربه على مهاد التوكل فوق أرائك اليقين لا يخاف
بأسًا ولا رهقًا وترى غيره مع تراكم النعم عليه يترقب الفقر ويخاف الفوت
ويحزنه الوهم ولا يفارق قلبه الاضطراب وخوف من هو فوقه من المخلوقين
وتراه عند أصغر المصائب جزوعًا وهلعًا وذلك كله من علامات النفاق
في المنافقين ومن نتائج الكفر في الكافرين والله لا يهدي القوم الفاسقين
فيا أيها العقلاء انكم لماقتون لأحوال المؤمنين وأعمالهم وراء سفهاء
المفلسين الضالين ولكن الأمر علي خلاف ما تفهمون ووراء ما توهمون
فما مثل المفلسين ومثلكم واتم رؤساء الأمة مع المدينين الا كمثل آباء كرام
كانت لهم عناية بشؤون ابنائهم الذين كانوا في مكاتب التعليم يتعلمون
ما يدركون به سمادتهم المملومة لهم ولا بائهم فجاءهم مشموز شغلهم بملاعب
تسحر الميون وتشغل القلوب وما زال يتعهد مكاتب التعليم حتى ألهم بسطاء
الصبيان واشغل قلوبهم بما يلقيه اليهم وانساهم ما علموا وما تمسكوا به من
اسباب سمادتهم فلما تحقق للآباء فساد حال الابناء فواقع مقترهم الا على العلم
والتعليم الذي كان محبوبًا لهم لظنهم انه هو منشأ انحطاط احوال الصبيان وما
كان لذلك الظن من سبب إلا جهل أولئك الآباء بمزايا ذلك التعليم وتغافلهم

عن البحث عن اسباب الفساد فلذلك اعجبوا بأعمال المشعوذ ومقتوا ما كان عليه ابناءؤهم من قبل ولو انهم كانوا من ذوى العرفان لعلموا اسباب الفساد ومقتوا المشعوذوا أعماله وحالوا بينه وبين ابناءهم وردوهم لما كانوا عليه من العلم والتعليم حتى صلت احوالهم ولكن جهل الآباء هو الذى اودى بالابناء واركسهم فى مصارع الضياع والحرمان وتركهم فى ظلمات لا يبصرون بيان ذلك المثال أن المشعوذين من أحداث هذا الزمن المشؤوم بما لهم من الإقتدار على زخرفة المقال وقلب الحقائق والتباس الحق بالباطل قاموا قائلين إن العلوم الرياضية علوم عالية وهي العلوم المصرية التي توافق حال الزمن وأهله وأن العلوم الدينية صارت كالثوب الخلق الذي لا يستر المودة ولا يقي البرد وزخرفوا للناس الأضاليل والا كاذيب والناس على جهل عظيم بمزايا الدين وعلومه فتوهموا أن القوم نصحاء وأن الدين كما يقولون وزين ذلك الظن في قلوبهم إعتقاد فساد احوال الغالب من بسطاء المتدينين إما لجهلهم مزايا الدين وفقد المرشدين إليه وإما لافتتانهم بما جاء به أو تلك الضلال الذين ساعدتهم الوقت المظلم والزمن المحرم ولو أن رؤساء الامة كانوا متدينين لكذبوا المشعوذين الضالين من أول وهلة ولكنهم رجال نشؤوا على أن لا دين وعاشوا بين الاوروبايين ومن فسدت بدايته خابت عند الله نهايته

ذلك ليعلم العقلاء من الناس أنه لا نسبة بين العلوم الدينية وبين الفنون الرياضية والفلسفة الطبيعية لافي المبادي ولا في النهايات لان مبادي الدين استقامة واعتدال ونهايته أدب وكال ليكون الإنسان بذلك في مقعد

صديق عند ملك مقتدر كما سبق تقريره من قبل ومبادئ الفنون الرياضية
 طهر واشتغال ونهايتها إعجاب وزهو ووبال والفاوق بين أولي الآداب
 الدينية والكمالات الأدبية وبين المتفلسفين الطبيعيين مملوم للعقلاء وما
 نفى بالعقلاء قوى المهارة في الزيف والجدل ولكننا نريد بهم أهل العمل
 المبرور والنسي المشكور الموافق لكتاب الله وسنة رسول الله لأن الدين
 كله كمالات ذوقية وأعمال تهذيبية تأتي على عاملها المتحقق بحقائقها أن
 يتعدى حدود ما أنزل الله من التعليمات التي هي آداب العبودية

والفلسفة الطبيعية تحمل معانيها على أن يكون عاملاً بطبعه بمعنى أنه
 لا يتقيد بالقيود الأدبية لأنه عاقل والعاقل لا يحتاج إلى مؤدب كما يزعمون
 والعقلاء يعلمون أن الطباع تتفاوت بتفاوت القوالب والاستعدادات كما
 تتفاوت العقول والأفكار ومن زعم غير ذلك فهو من الضالين ولا شك
 في أن تفاوت الطباع والعقول واختلاف القوالب والاستعدادات من أكبر
 الموانع التي تمنع العاملين بمقتضى طباعهم عن الاتحاد في المبادئ والغايات
 وفي الأخلاق والأعمال ومن تظن لذلك علم أن الفلسفة الطبيعية في حكم
 الممجية التي لا تقبل الآداب الكمالية ولا الروابط الدينية التي جعلها الله
 قيوداً للنفوس ومقمة للطباع

لأننا إذا طالعنا أقوال المتفلسفين توهنناهم رجالاً عقلاء حتى إذا تفقدنا
 أعمالهم وأحوالهم وجدناها أعمال السفهاء السفلة ولكن أكثر الناس لا
 يفقهون وما هكذا حال الدين ولا حال المتدينين إذ الدين رابطة سماوية
 أسس قواعدها الحكيم العليم الذي كان بعباده خبيراً بصيراً وتلك الرابطة

هي التي سماها الله بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والله سميع عليم
 وما كم البرهان العقلي والذهلي الحسي الذي لا مرأى فيه ولا جدل
 جاءت الرسل برسالات سماوية من قاطر السموات والارض عالم الغيب
 والشهادة القائل في كتابه العزيز (والله أخرجكم من بطون أمماتكم لا
 تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون)
 فكانوا داعين الى الله بإذنه وتمليانه وإرشاده وتوفيقه مرغين في عرض
 واحد ومزجهين فيما سواد من الأغراض الملموس من النفوس ميالة بطبعها
 الى كل عرض يغير ذلك العرض وما كانت تلك السموات لتلك الغرض
 إلا من طريق واحد وهي طريق الاستقامة والإعتدال التي سماها الله
 الصراط المستقيم فتفاوتت شؤون افراد الأمم في السير الى ذلك الغرض
 فكان منهم من تفرغ في طلبه عن جميع الشواغل حتى وصل إليه وما
 ذلك الغرض إلا مقام الخلة الذي هو خلاق العبد بأخلاق سيده حتى يكون
 رايياً يقول لأشيء كن فيكون كما كان من بعض الطوارق من أمة عيسى
 عليه السلام ومن غالب المتجربين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك
 المقام اجتمعت على صحة صدقه جميع الطوائف حتى الفلاسفة غير ان المتعقبات
 بأحواله تسلكوا عنه من طريق الخبر والظن الذي يعطيه الشهود العيان
 والعرفان الذوقي واما الفلاسفة فأدركوا صدقه من طريق الفكر والاستدلال
 النظري فقالوا ان الإنسان لا يزال يتتبع المعلومات حتى يقابل الإله وجهاً
 لوجه فيعمل ما يعمل ويعلم ما يعلم
 ومن افراد الأمم بل الغالب من كل أمة من تعرضته عوارض مائمة

عن ذلك التفرغ فكان اشتغاله بالتحرز عن الميل لتلك الشواغل بمثابة
الأواصر واجتناب المناهي قائماً عنده مقام ذلك التفرغ ولكنه ما وصل
إلى ذلك الفرض إلا بعد فراغ الأجل المانع لوجود تلك العوارض حتى إذا
جاءه الموت وجدته على أهبة تامة لنيل ذلك الفرض لأن العبد المتابع لأوامر
سيده المتجنب لمناهيه هو في حكم المتخلق بأخلاقه لاتحادهما في المبدأ
والغاية واتفاقهما في سلوك مناهج الاستقامة والاعتدال ولذلك ربط الله
سبعاته وتعالى السائرين في تلك الطريق برابطة الأخوة المشار إليها بقوله
تعالى (إنما المؤمنون إخوة) وبذلك الرابطة صرح للخائف منهم أن يسأل ربه
أن يلهقه بالسلف كما قال الله تبارك وتعالى حكاية عن يوسف الصديق عليه
السلام في قوله (أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين)
وقول آخر (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ
وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) وقول
الآخرين (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في
قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك على كل شيء قدير) وهذه مزايا عالية
اختص الله بها أهل الإيمان دون جميع الطوائف البشرية وما هي إلا
من ثمرات التدين بهذا الدين القويم المشار إليه بقوله تعالى (والله يدعو
إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) وما ظنك بدين
ينشر الرحمة في القلوب ويشغلها بالفرض المطلوب عن تفقد ماستره الله من
العيوب ويجعل السرائر سليمة من أمراض الاعتراض والإنتقاد بتعليم
الله وإرشاده في مثل قوله (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن

إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَمَعْضِكُمْ بَعْضًا (وَإِنَّ الَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى آخِرِ الْآيَةِ)

فلذلك ترى المؤمن إذا عاين مصيبة أخيه رحمه وسأل الله له العافية
والغفران وإذا علم من نفسه مقتلاً رجع بالملام عليها واعتذر إلى ربه بمثل
قولهم اللهم لا لوم ولا اعتراض ذلك بعض من أيا الدين وبعض محاسن
المتدينين والفلسفة الطبيعية بضد ذلك ولو أن أخلاق المتفلسفين كانت
كأخلاق المتدينين لما سلقت الجرائد الناس بالسنتهم الحداد ولا أصبح
كل ذي جريدة بكريدة المؤيد مثلاً جاءعلاً له جواسيس يحوسون خلال
الديار ليأتونه بمعايب أهل القرى والامصار حتى يتحف بنشرها القراء على
زعمه ولو أنهم اغنى أولئك المتقولين من أرباب الجرائد كانوا مؤمنين لما
تنافسوا في هتك الأعراض والتشهير بمستور المعاييب ولا تفقدوا عورات
الناس ولا تعمدوا افتضاح من وقع في زلة وإن كان كريم قومه إذ الدين
الإيماني ينهي عن ذلك العمل السيء القبيح وما بمثله لأن من ذلك ما هو
من لغو الحديث الذي مدح الله المؤمنين بأنهم عنه مرضون ومنه ما هو
من الغيبة التي حرمها الله تعالى على عباده المؤمنين ومنه ما هو نعمة وهي من
خصال الاشراق والوثاء ومنه ما هو تزكية لنفوس لم يتركها الله تعالى وهو
المنهي عنه بقوله تعالى ولا تؤكوا أنفسكم هو أعلم بمن اهتدى) ومنه ما هو
قول مكذوب وأمر الكاذب معلوم إلى غير ذلك من معاييب المتفلسفين
الذين كانوا شياطين الأمة في هذا الزمن وكان أمر الله مقدوراً

فيا أيها العقلاء افيقوا رحمكم الله وتبصروا الأمور وتدبروا سريان

المقهور لتماموا أن حالكم هذا هو الحال الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بقوله إذا أظفر الناس العلم ونعيموا العمل وتحابوا بالأسن وتباغضوا
 بالآلواب وتقاطعوا بالارحام لهم الله عز وجل عند ذلك فأصمهم وأعمى
 أبصارهم وعن الإمام أحمد قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا صفوان
 بن عمرو قال حدثني عبد الرحمن بن جبير عن أبيه أنه قال لما فتحت قبرص
 وشرقي بين أهلها بيني بعضهم لبعض فرأيت أبا الدرداء رضي الله عنه جالسا
 وحده يبكي فقلت يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام
 وأهله فقال ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا اضاعوا
 أمره إنما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملائكة تركوا أمر الله فصيرهم إلى
 ما ترى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يملك الناس حتى يُعذروا
 من أنفسهم وهو معنى قوله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
 ما بأنفسهم) يعني أن الله سبحانه وتعالى كتب على نفسه الرحمة فلا يفتح رحمته
 عن قوم حتى يستجابوا بأعمالهم خضبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يوشاك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها
 قلنا يا رسول الله أمن قلوبنا يوشك قال أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء
 كغثاء السيل تنزع صبايتكم من قلوب عدوكم ويحل في قلوبكم الوهن
 قالوا وما الوهن قال حب الحياة وكرهة الموت وفي مراسيل الحسن إذا
 أراد الله بقوم خيرا جعل أمرهم إلى حلماهم وفيهم عند سمعائهم وإذا
 أراد الله بقوم شرا جعل أمرهم إلى سفهائهم وفيهم عند بخلائهم وقال
 يونس عليه السلام يارب أنت في السماء ونحن في الأرض فما علامة غضبك

من رضاك فقال له اذا استعملت عليكم خياركم فهو من علامة رضائي
عليكم واذا استعملت عليكم شراركم فهو علامة سخطي عليكم واوحى الله
الي بعض الانبياء اذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني وحديث
ابن عمر يرفعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بحمد لا تقوم
الساعة حتى يبعث الله أمراء كذبة ووزراً جفرة واعواناً خونة وعرفاء ظلمة
وقراء فسقة سيماهم سيما الرعيان وقلوبهم اتقن من الجيف اهواؤهم مختلفة
فيتسبح الله لهم فتنة عبراء مظلمة فيتهاوكون فيها والذي نفسي بحمد بيده
ليفتضح الاسلام عروءة عروءة حتى لا يقال الله الله لتأمرني بالمعروف وتنهوني
عن المنكر او لا سلطان الله عليكم اشراركم فيسودونكم سوء العذاب ثم
يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم لتأمرني بالمعروف وتنهوني عن المنكر او
ليبعثن الله عليكم من لا يرهم صغيركم ولا يوقر كبيركم وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ستظهر شرار امتي على خيارها حتى يستخفى المؤمن
فيهم كما يستخفى المنافق فينا اليوم

فيا أيها العقلاء أليس ما عايته التوبم الآن هو ما نبأ به رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس الجزاء الذي ما شعرت به هو ما اخبر به رسول
الله الستم المأخوفين من حيث لا تشعرون أنظنون أن الله سبحانه وتعالى
لا يغضب على من عصاه أم تظنون أن الغضب لا يكون الا بالخلف
والمسخ والأخذ الويل كلا ولكن للعقوبة انواع مختلفة منها اماتة القلوب
ولذلك قال الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام يا موسى اول من مات
من خلقي ابليس لأنه اول من عصاني وانما اعث من عصاني من الأموات

ومن انواع العقوبة حرمان المذنب من حلاوة الذكر والمناجات فقد قال
 ذوا النون المصري رضي الله عنه لكل شيء عقوبة وعقوبة المؤمن انقطاعه
 عن ذكر الله وقال ابو الحسن احمد ابن الحواري رضي الله عنه من عرف
 الدنيا زهد فيها ومن عرف الآخرة رغب فيها ومن عرف الله تعالى آثر رضوانه
 على كل شيء ومن لم يعرف نفسه فهو في دينه مفرور وما ابتلى الله تعالى
 عبداً بشيء أشد من الغفلة وقسوة القلب وإذا أحب الله عبداً أفاده في
 البقعة والنام . ويروى ان حبراً من احبار بني اسرائيل كان يقول يارب
 كم عصيتك ولم تعاقبني فأوحى الله سبحانه وتعالى الى نبي ذلك الزمان قل
 له كم اعاقبت وانت لا تدري ألم اسلبك حلاوة مناجاتي

وان من عقوبة الذنوب لتسهيل طريق العصيان والاسترسال في
 الشهوات حتى تحول بين القلب وبين الحياء والخوف قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنباً نكت في قلبه نكتة سوداء
 فاذا تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلوا على قلبه فذلك
 الران الذي ذكره الله عز وجل بقوله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
 يكسبون) وانواع العقوبة لا تحصى فان الله الذي لا تحصى نعمه كذلك
 لا تحصر تقمته وانما تختلف باختلاف انواع المعاصي وباختلاف قوابل
 العاصين وشؤونهم فلا تكون عقوبة العالم الذي اطفاه العلم كعقوبة الجاهل
 الذي اطفاه الجهل ولا عقوبة البخيل مثلاً كعقوبة الظالم وكما ان من
 الامراض ما يكون سببها العاقبة ولكنه خفي الألم فلا يشعر بمضاره وديب
 مملكاته إلا من كان شديد الشعور والإحساس فكذلك من أنواع العقوبة

مالا يتفطن له إلا ذؤوا الأذواق السليمة والبصائر النيرة ولقد علمنا من
 أعمال الله سبحانه وتعالى بعباده التي جاء بها القصص القرآني أن الله سبحانه
 وتعالى ما عاقب أمة من الأمم الطاغية إلا من بعد ما بسط لأفرادها من
 الرزق ما أطنام وأنه يمهل بوسع حلمه ولكنه لا يمهل ولقد قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ولقد كثرت
 المظالم حتى أصبحت من العوائد المعتادة فمن لم يكن ظالماً لغيره فما هو إلا
 ظالم لنفسه فشارب الدخان ظالم لبذنه وماله وولده وشارب الخمر ظالم لعقله
 وماله وأهله وشارب الحشيش ظالم لفكره وبذنه والمختاب ظالم ومزدري
 الغير ظالم والمفرط في جانب الله ظالم وتارك الفرائض ظالم ومضيع وقته
 في الملاهي ظالم ومنفق المال في المماضي ظالم والجاهل بأمر دينه ظالم
 والذي لا يبحث عن طريق النجاة ظالم والنافل عن ذكر ربه ظالم وهاجر
 المساجد ظالم إلى مالا يتناهى من الأعمال التي تهودها أهل هذا الزمن
 وراء المفسدين الذين يظنون أن الإنسان حر لا يتقيد بقيد من القيود
 فيأبى العقلاء ناشدكم الله إلا ما تخلصتم من هذه المظالم فما فوقها
 منها طنتهوه هيناً وهو عند الله عظيم وإني متوسل إليكم باخوة الإيمان
 وحنان النوعية وتعطفات الوطنية وبالروابط الدينية أن لا تهملوا البحث
 عن طريق النجاة والوقوف على حقيقة ما جاءكم به رسول ربكم بمطالعة
 كتب أهل التقوى الذين اصطفاهم الله من عباده أو بالاسترشاد من مرشد
 ناصح أمين فإن ذلك أقرب للسلامة وأليق بالعقلاء ولا تهملوا أنفسكم
 فتكونوا كهيمة الأتنام تذللها الأطفال وتمتطي ظهورها الجهال من

ذوى الأموال فاقبلوا نصحي فاني لكم ناصح أمين وتلقوه بقلوب صاغية
 وآذان واعية فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما عبد جاءته موعظة
 في دينه فإنيها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر والا كانت حجة من
 الله تعالى عليه ليزداد بها إثمًا ويزداد الله بها عليه سخطًا . اللهم عفوا يا كريم
 المغفور واسع المغفرة . اللهم اطلقا يا قابل التوبة والمندرة . اللهم رحمة تعم عبادك
 المؤمنين . اللهم رافة واطفا بضعفاء المسلمين . اللهم هداية لمن ضل . اللهم
 إقالة لمن عثر أو زل . اللهم ان عبادك لا طاقة لهم بعذابك إلا أليم وإنا نتشفع
 إليك بمقال من قال (ان تعذبهم فإنهم عبادك وان تغفر لهم فإنك أنت
 العزيز الحكيم) . اللهم اجمع قلوبنا على عبتك وحبنا رسولك وعبادك الأ طهار
 اللهم قو إيماننا وإتد سلطاننا وحرم اجسادنا على النار . اللهم باعد بيننا وبين
 أعدائك الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات وحل بيننا وبين المضلين يا فاضل الأ رضى
 والسموات إلهنا أنت اله الباقى والابقي والقيوم والقيوم ولا تخفى عليك خفيات طوارق
 الحزن والإحزن وحاشا أن تعجز قدرتك القاهرة عن أن تذهب بتلك الرزايا ولا
 عن أن ترفع عنا منازلنا من البلايا إلهي لقد أرفقت الآ زفة التي ليس لها من
 دون الله كاشفة إلهي أونا آثار رحمتك كما أرينا آثار قهرك وقدرتك
 عدت المادون وجاروا ورجونا الله بحسيرا
 وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا
 وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله الملى العظيم
 ربنا لا تجننا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم
 جاءتنا هذه القصيدة من حضرة الفاضل الأديب الشيخ مصطفى

الرك من مدينة حص يرغب نشرها في إحدى الجرائد فاحتينا درجها
هنا لما بين سمها المبشرين واحداث المتفلسفين من المناسبة الزينة ولقد
سماها منسبها التفتيف في الرد على قصيدة اليازجي ناصيف فقال

لا يخفى ان ناصيف اليازجي البيروتي اللبناني له قصيدة ميمية مطلعها
(نحن النصارى آل عيسى المتقى * حسب الناس للبتولة مريم)
بين فيها عقيدته وادعى عدم تحريف الانجيل و كنت قدما سمع بها ولم ارها
ثم من نحو ثلاث سنين اطلمت عليها ونظمت هذه من قافيتها وأوزانها
وقصيدته مشهورة كانت طبعت في رسالة الكندي عبد المسيح وهذا
هو الرد على تلك القصيدة

يامن الى عيسى ابن مريم ينتمى	غالب فيه وقد اتيت بما تم
صبرته ابن الاله وروحہ	بل والاله ثلاثة لم تفهم
وجعلت كلا منهمو لشريكه	عينا فهذا نقض عد محكم
بالشمس تقريبا لنا مثاهم	والنور وصف والحرارة فاعلم
ولذا المثال عجبت حيث مثالكم	هو في عماء في الغيوب مكتوم
أهمو ذوات أم صفات جمعت	في ذات فرد واحد لم يقسم
لا يمكن التثليث مع توحيدكم	الا اذا كان اعتباراً فافهم
وهما حقيقتان عند سؤالكم	جمع التناقض قط غير مسلم
انى لا عجب كيف دعوة مرقس	في الله أولوقا ألا من مفهم
لم يذكر التثليث فيما حررا	هل قلدا متى كما المتعلم
واقف من توارى موسى آية	قد صار منا واحداً عن آدم
فاقول لفظ الجمع كيف حصرت	بثلاثة والحصر محض تحكم
ولربما قد صار آدم رابعاً	إذ صار منهم واحداً في الاسم

هذا وموسى صاحب التوراة لم
والانبياء طراً على التوحيد قد
هذا تحكّم جاهل في رأيه
وتقول خلاص آدم من ذلة
فعلية موسى والحليل وآدم
فلاي شيء جاء بالتوراة مو
قد كان بالآيات خير مؤيد
فلؤمنون به ومن قد اخصلوا
ان كان في الدنيا الخلاص بصلبه
ومن العجائب ندبة لعباده
دعواك هذى ما المسيح دعاها
بل قال صلوا قائلين اغفر لنا
لكن بولس لغة وفدى لكم
هذا المخلص لم يجئه طائماً
قد كان مقصده النجاة من الاذى
فاذا زعمت الضعف مظهر حاله
بالله هل هذا رضائه بالقضا
ان الخلاص هو الولادة ثانياً
هي صبغة من لم ينلها لم يلج
ولأجلها كان الصناديق اشارة
وتقول لاهوت الوجود اذا اكتسى
دعوى التجسد للقديم محالة
واذا منجناه الظهور بمظهر
فالشمس مذ عكست على البدر انما

يظهره هل هو شرحها لم يعلم
سلكوا وما تركوا لأمر منهم
هل جاء في العهد لفظ الاقنم
وبنيه طراً من عذاب جهنم
والانبياء تحت المذاب المؤلم
صلى لليهود من الحكيم الأحكم
لم يعطها الا لكى يهدى العمى
منحووا الرضا حقاً بغير توهم
دينونة الاخرى لماذا فاحكم
للفصح وهو لآدم لم يكرم
ما قال في غفرانكم يقدى دمي
خطاً كما تعفوا ذنوب المجرم
جمل المسيح فيا فضيحة متهمة
بل كان محتفياً ولم يتقدم
ولأجله نادى الإله المحتمي
فلم الذبح نراه لم يتكلم
أم فيه تسليم لأمر مبهم
فهى الحياة وليس اهراق الدم
ملكوت عليين حضرة منهم
يوصى اليها في لسان مترجم
جسماً فهل ضرر له بتجسّم
ما لا يصور لا يحل بأدمى
يبدو به تأليه لم يلزم
ما صار شمساً بالسنا المتبسّم

ان كنت مفروراً بالفاظ أتت بالاتحاد فتحن لم تسوهم
هي وحدة باسم الوجود تحققت فيها الرجال وعنتك هذا أعجبي
وتقول فيما تدعي بشهادة التوراة برهاني ولم تكتم
حق تبحرها في اليهود فقد نجوا من يد استحارِب إن تفهم
(وألك القصة في اصحاح ٣٥ و ٣٧ من أشياء وتوضيحها في ص : ٣٦)

وكذلك أمثال لها لاحت ليد نك كالسراب فظنه الماء الظمي
وتقول ان كتابنا هو شاهد قد قال روح الله حل بمرم
حكم الكتاب بكفر من قالوا هو الله ع المسيح وعنه طرقت قد عمي
ونهي بلا تغلوا يريد وجوعكم عن جعله إنسا له فتعلم
وانظر الى نفخ الأمين بقوله من روحنا تدي لفهم الميهم
هي نفخة في جوف مريم قدسرت فتكون البشر الذي عيسى سمي
إننا نرى الانجيل حقاً وهو ما قد قاله عيسى ابن مريم بالقلم
لاقول بولس أو رسائل غيره أو قصة في الصاب فريته ظلم
إذ أثبت التحريف فقد تواتر يأتي به متأخر عن أقدم
وأقول ما قالته فيه تلامذته كلاته ليست بوحى ملهم
أوما ترى فيها التناقض بادياً لفظاً ومعنى كالطراز المعلم
الظن لقصة صلبه وزمانها ولنسبة تصل المسيح بآدم
وابصر يهوذا كيف كان مماته ولأرميا فالقول قول متمم
(هو في مجلة من الإنجيل الأول ص : ٢١ متى وهو غلط والثاني ص : ٢ متى)
(بمصدق باب ٣١ أرميا ولكن مصداقه عادة يختصر)

وكم اختلافا يتنا فيها حكوا وزيادة في بعضهم لم ترقم
وانظر الى قانديك في تصحيحه تجد الكثير من الخلاف الاعظم
وابحث فما بين الهلال ومثله جل خلا عنها صحاح الاقدم

وانظر الى فرج البياض وتركها
 وارحل الى التوراة تعلم انها
 كم حرفت فيها اليهود عبارة
 زادوا لاسفار اراما اليوم في
 نبت لداوود ولوط قبله
 ياليت شعري ذا التناقض هل ترى
 هل للمدافع عسولة من بعد ما
 فالشك عند الخصم ضربة لازم
 وتقول يحيى الميتين بأمره
 ويقال مذ أحيا لعاذر قد دعا
 واره منسوخ الارادة دائماً
 فلقد تعطل شرع عيسى جملة
 فقد الكرامة بالنسك والتقي
 إن الكرامة اطلعت بكتابهم
 ملئت كنائسهم تمائلاً وقد
 نسبوا اعيصى شهوة الحمر الذي
 وقد ادعوا أن الكرامة نيلها
 غابت عرائس دينهم من خدوها
 فاراد ربي أن يجدد دينه
 فاختر خير الخلق احمد سيداً
 فأتى بقرآن أضاء سراجهم
 هو بزررة نبت بقاران وقد
 قمايلت في الحافقين غصونها
 يأوي اليها كل طير ثاغب

ما نابها في الفباير المتروك
 نسخ ثلاث في حساب مقسم
 بل ضيحت كتباً بغفلة نؤم
 ما تعلمون بصدقها لم يجزم
 والانبيا عملاً كفعل المجرم
 يقضي بضبط للكتاب القيم
 صدم الدليل جداله بمرمر
 والجزم أبعد من منال الأنجم
 فهو الآله ومن تشكك يندم
 يومي بطرف للسماء ميمم
 ترك الامور لواحد متحكم
 من سر توحيد الاله الاعظم
 وغدت كرامته بجمع الدرهم
 في كل من يؤمن بوجه تعمم
 جعلوا عبادتهم لتمثال الدم
 يحيى أي أن يشبهه بمعلم
 عم الجميع بصلب راضع مريم
 وسرى الفبي بتيه عقل مظلم
 بشريعة أركانها لم تهدم
 متقلداً سيف القضاء المبرم
 وزهايسر في الحروف مكتم
 قامت على ساق بنعم مقوم
 وكم استظل بظلالها من ضيغم
 فيعود بمد مجاعة بالمغنم

وهو الذي قد قال عنه أشعيا عن ربه قول الأمين اللهم
عبدني ومختاري الذي سرّت به تقني ومن أعدائه لم يقصم
وديّار قيصار ليعلو قدرها سكان سلم قل لها تترنم
تلك الديار ديار اسماعيل من أرض الحجاز أتخ هناك وخيم
هي أرض يثرب إن تسلفني يافتي بلد النبي الهاشمي الأفخم
هل غير (له) كان يقصد أشعيا وبغيره ذا النعت لم أنوم
وبشارة وبشار إن أحكما عنها يضيق هنا سوار المعصم
من غيره طرق النجاة تعطلت فحبسه وبوذه فاستعصم
ما ثمّ باب لئلا له موصلة الآء فالزم بابه واسترحم
هذي مقالة عاجز قد صاغها ردّا على ناصيف قافراً وأحكم

﴿ أفقر العباد وأحقّهم • مصطفى الرّك • في مدينة حص • ﴾

ولما كانت هذه القصيدة الغراء وجيزة المقال • عزيزة المنال • على أفهام
الامة الذين لا يفقهون مواقع الجدل أوجب علينا صدق البيان أن نأتي
بما يشرح معانيها للمطلعين فما وجدنا أوضح بياناً • ولا أرفع في مواقع
المظاهرة بياناً • مما جاء به وحيد عصره • ومجيد شعره • الشهم الهمام • الذي
استحق أن يدعى بحامي الاسلام • الاستاذ الفاضل الشيخ احمد علي
المليجي الكتبي الشهير • ذلك الرجل الذي كان من تاريخه أنه عند تراهي
بعثة المبشرين من المسيحيين على البلاد المصرية لدس الدسائس في معتقدات
بسطاء العوام كان هو أول مدعو إلى محافل أولئك السفهاء حيث كان
سروره على وجه الصدقة من طريق تمر على أبوابهم فنعلق بعضهم بأثوابه

كما تتعلق الباغية من الزناة بمن لا يميل إليها فكانت تلك الدعوة ضابدي .
 شؤم على الداعين وطالما طال الجدل بين ذلك الفاضل وبين أولئك
 الحق حتى ماوارؤيته . وكرهوا زيارته . لما كان يمتريهم من الخزي في
 تلك الجوامع فلما تفرس ذلك الفاضل في القوم أنهم فقراء وأن لهم أجوراً على
 هذا العمل السيئ . وعلم أنهم لا يرون نجاحاً ولا فلاحاً تركهم في طغيانهم
 يمهرون وألقى إليهم مقالا معجزاً سماه (السؤال المجيب . في الرد على
 أهل الصليب) ولما كان ذلك السؤال . غير مسبوق بمثال . ولا مقرون
 في جميع الوجود بنظائر ولا أشكال . وله وقائع عجيبة . وكان عند المبشرين
 أكبر مصيبة . رأيت من المحتم أن أعضد بسهامه الصائبة طعنات صاحب
 الميعة لما فيه من سر الإعجاز . وبلاغة الإيجاز . فلنبداً به أولاً ثم نتلوه
 بما له من الوقائع الغريبة اثماراً بقوله تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم
 ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) وما قتالنا قتال رماح
 ولا سهام . ولكنه قتال سموم ناقعة في آية من كلام . (قال ذلك الأديب
 الفاضل . لا زال بالحق عن الدين يناضل)

﴿ السؤال المجيب . في الرد على أهل الصليب ﴾

بحمد الإله قوي الجنبات	تجني السعادة من كل باب
وبالشكر دوماً على فضله	تهون جميع الأمور الصعاب
وبعد الصلاة وأزكى السلام	على المرسلين أولى الاقتراب
خصوصاً محمداً المصطفى	إمام الجميع بغير ارتياب
أقول لأهل العقول اسمعوا	سؤالا عجيباً أتى بالمجاب

سَأَلْتُ النَّصَارَى عَلَى مَا بِهِ
وَلَمْ أُخْتَلَقْ فِيهِ مَا لَمْ يَكُنْ
إِذَا الْاِخْتِلَافُ قَبِيحٌ وَلَا
وَمَنْ بَعْدَ أَنْ تَسْمُوهُ أَحْكُمُوا
عَسَاهُمْ إِذَا مَا رَأَوْا حُكْمَكُمْ
يَقُولُونَ مَا قَالَهُ أَحْمَدُ الْ-
وَحَيْثُ الْمُرَادُ بِتَحْكِيمِكُمْ
فَهَا أَنَا أَبْدِي لَكُمْ نَصَّةً
أَعْبَادُ عَيْسَى لَنَا عِنْدَكُمْ
إِذَا كَانَتْ عَيْسَى عَلَى زَعْمِكُمْ
فَكَيْفَ اعْتَقَدْتُمْ أَنَّ الْيَهُودَ
وَكَيْفَ اعْتَقَدْتُمْ أَنَّ الْإِلَهَ
وَيَطْلُبُ مَنْ خَلَقَهُ شَرِبَةً
فِيَأْتِيهِ مِنْهُمْ عَدُوٌّ لَهُ
وَيُعْطِيهِ إِيَّاهُ مُسْتَهْزِئًا
وَلَمَّا تَنَاوَلَهُ لَمْ يَرُدْ
وَلَكِنْ عَلَى الْأَرْضِ أَلْقَى بِهِ
وَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا لَهُ
وَيَلْقَى الْإِلَهَاتُ مِنْ خَلْقِهِ
وَيُوضَعُ ذُلًّا عَلَى رَأْسِهِ

ذَكَرْتُ وَمَطَالَبَتِهِمْ بِالْجَوَابِ
لَدَيْهِمْ بِإِقْرَارِهِمْ فِي الْكِتَابِ
بُوجْهِ لَأَهْلِ النَّهْيِ بِسُتْطَابِ
بِمُحْكَمٍ يَزُولُ بِهِ الْاضْطِرَابُ
قَوِيًّا عَنِ الْحَقِّ أَلْقَى النُّقَابَ
مُلْجِي عَيْنَ الْهَدَى وَالصَّوَابِ
ظُهُورَ الْحَقِيقَةِ بَعْدَ احْتِجَابِ
بِتَوْجِيهِ قَوْلِي لَهُمْ فِي الْخُطَابِ
سُؤَالَ عَجِيبٍ فَهَلْ مِنْ جَوَابِ
إِلَهًا قَدِيرًا عَزِيزًا يَهَابِ
أَذَاقُوهُ بِالصَّابِ مَرًّا الْعَذَابِ
يُوتُ وَيُدْفَنُ تَحْتَ التُّرَابِ
لِيُطْفِئَ عَنْ قَلْبِهِ الْإِلْتِهَابِ
بِمَرٍّ وَخَلٍّ وَبُئْسَ الشَّرَابِ
بِحَضْرَتِهِ مِثْلَ بَاقِي الصَّحَابِ
تَعَاطِيهِ إِذَا لَهُ مَا اسْتِطَابِ
وَمَاتَ حَافِيفَ الظَّامِ إِذَا الْكِتَابِ
تَذَلُّ خُضُوعًا جَمِيعُ الرِّقَابِ
وَمِنْهُمْ يَصَابُ بِهَذَا الْمَصَابِ
مِنْ الشُّوكِ تَاجُ يَشِيبُ الْغُرَابِ

أسال دماه على خده
 وقد كان يُبصقُ في وجهه
 وذلك بمض الذي قد جرى
 وبركب جحشاً به يتي
 وقد كان يأكل من جوعه
 ويأتي الخلاء اضطراراً لكي
 ويفرح طوراً وطوراً يرى
 وتدعوت فارس جداً له
 ولا يدخل الرب من جاء من
 ومن بعد هذا تمثونه
 وما هو الا كأمثاله
 كما قال ذلك عن نفسه
 وهذا الصواب ولو لم يكن
 خصوصاً وما زاد عن غيره
 فان قلتمو امتاز عنهم بما
 من المدهشات التي لم تكن
 اقل ما الذي امتاز عنهم به
 فان كان من أجل ميلاده
 وحواء من غير أمم وكم
 ومليكي صدوق بلا اول

وصيرها فوقه كالخضاب
 ويظمن في جنبه بالحراب
 عليه من القوم شيخ وشاب
 هناء مسير له قد أصاب
 ويشرب من ظمأ والتهاب
 يزيل بقايا غذا والشراب
 حزين فؤاد كثير انتحاب
 ونطقته من زني وارتكاب
 زني في جماعته للشواب
 إلهاً ولم تستحوا من عتاب
 من الخلق عبد لجري السحاب
 بنص صريح أتى في الكتاب
 صواباً فأن يكون الصواب
 من الناس ما يوجب الارتباب
 تواتر مما روته الصحاب
 لأمثاله من أولى الاقتراب
 وفي أمره أوجب الاضطراب
 فأدم من غير أم وآب
 رأينا من الطين خلق الدواب
 ولا آخر وبغير انتساب

وإن كان من أجل إحيائه
 فقد كان حزيناً يحيي الألوف
 وإن كان من أجل ما نال من
 قايلاً قد نال ما ناله
 وإن كان من أجل إبرائه
 فقد كان هذا بإذن الإله
 كما هو في كتبكم مثبت
 وصدق النبيين آياتهم
 أآلهة هم كما أنه
 أقول عبيد كما أنه
 ولو كان رباً كما تزعمون
 ومن كان يدعو من فضله
 وذلك لما رأى قومه
 وأيقن من بغيرهم أنهم
 ومن ذا الذي رد روحاً له
 ومن كان من بعده حافظاً
 أرباً سواه بتدبيره
 وهل صلبه كان عن زلة
 وهل أحسن القوم في صلبه
 من النار حيث استقروا بها
 ليت رميم ثوى في التراب
 وإليها نادى ليت أجاب
 صمود إلى ما وراء السحاب
 من الارتقاء لذلك الرحاب
 عليلاً وتطهير جسم مصاب
 وما هو من نفس ذاك المجاب
 وما هو مما غدا في انقلاب
 وكم من نبي أتى بالعجاب
 إله وإلا بماذا يجاب
 لمولاه عبد بغير ارتياب
 فمن كان يرجو لكشف المذاب
 ليصرف عنه الخطوب الصعاب
 يريدون إيقاعه في التباب
 لا إعدام حضرته في ارتقاب
 وقد فارقت جسمه بالذهاب
 نظام الوجود لوقت الإياب
 تكفل أم فاته للخراب
 وإلا علام استحق المقاب
 لتخليص أشياخكم والشباب
 زماناً طويلاً يرون المذاب

وإلا أسأوا بحلب الخلاص
 فإن قاتمو إنهم أحسنوا
 أقل فعلا م تمادونهم
 وإن قاتمو إنهم أجروما
 أقل كيف هذا ولولاه ما
 وهل رضي الصاب أم مكره
 فإن قاتمو صلبه عن رضى
 وأعني به آدم الفضل من
 وسامحه الله من فضله
 فأنتم كذبتهم على وبكم
 فقد كان يهرب من صلبه
 ويدعو أجبرني إله السما
 وإيلي إيلي نادى بها
 إذا كان يمكن يا خالق
 فهذا دليل على أنه
 وهذا دليل على أنكم
 خصوصا وأمثال توراتكم
 وإن قاتمو الصاب قهراً جرى
 بتعليقه فوق عود الصليب
 كما هو نص أناجيلكم

لكم أن هذا شيء عجاب
 ولم يفعلوا غير عين الصواب
 ومن يصنع الخير يجزأ الثواب
 بصلب الإله وبش المصاب
 تخلصتمو من وخيم المآب
 عليه فما هو فصل الخطاب
 لتكفير ذنب امرئ منه تاب
 لمولاه مما جنى قد أناب
 وإذا بعد توفيقه للعتاب
 لما صح من فعله في الكتاب
 ويعروه حزن لذا واكتئاب
 بفضلك من ذى الأمور الصعاب
 لم اليوم تتركني للعذاب
 خلاصي فافعله يا خير آب
 عبيد وإكفنه ذو اقتراب
 كذبتهم وقلم خلاف الصواب
 تقول المسيء فدا من اناب
 فياعجز رب قوى الجناب
 لقد جاءه اللعن من كل باب
 وتوراتكم فلتكفوا العتاب

ولا تجعلوني عدواً لكم
 فيما أسفاه علي ما به
 ويا خجلته لمن باعه
 ويا شقوته لمن قد غدا
 وكان الشقي به يهتدي
 ويا حسرتاه علي صلبه
 ويا حزنه علي موته
 ويا عجباه لهذا الإله
 وفيه انحطاط لمقداره
 أما كان يمكنه دفعه
 وإلا فهذا من المضحكا
 كقصه إبليس مع ربكم
 فقد كان يأمره فوجه
 وكان يرغبه بالمطاء
 أربُّ ويأمره عبده
 وربُّ يصارع عبداً له
 وهذا قبيح ولا يرتضي
 وربُّ علي خلقه آدماء
 ويجهل أين المسكان الذي
 وربُّ ويقصد من جوعه

إذا أنا قلت بغير الكتاب
 أصيب وما زلة قد أصاب
 وكان له من أعز الصحاب
 له منكرأ بعد طول اصطحاب
 لدى قومه إن غدوا في اضطراب
 بصحبة لصين كل معاب
 مهاناً وفي حاجة للشراب
 علام رضاه بهذا المصاب
 وذل عظيم له قد أعاب
 أم الذلُّ كان له يستطاب
 التي سطرت عندكم في الكتاب
 علي الجبل المرتقى للسحاب
 له بالسجود وبالاقتراب
 إملك أراه إذا ما أجاب
 بطاعته إن هذا عجاب
 بليل ولا يستحي أن يعاب
 به غير وغد بصرع مصاب
 يرى نادماً وحليف الكتاب
 له كان فيه اختفا واحتجاب
 شجيرة تين وبش الذهب

ولما بها لم يجد ما اشتبهى
وبعيا لها قال لا تشري
كما أحرم الناس أثمارها
أما كان خيراً له لو دعا
تشر في الحال أزهارها
وربُّ يقول أنا لم أجيء
ولكنني جئت من أجل أن
وربُّ يبيع بأفماله
كما عقر أماً له عند ما
فأعرض عنها ولم يلتفت
فبالله بالله يا قومه
أهذا يليق خصوصاً ومن
وهذا يكون الهاً كما
وان قيل قوم بهذا أتوا
فان قلتمو هكذا ينبغي
أقل ما تقولون في ربكم
أجيبوا سؤالي ولا نهملوا
ولكن على شرط أن تسلكوا
والا اذا لم تجيبوا ولن
فقولوا معي ربنا واحد

عليها دعا إذ بها الظن خاب
وأحرمها طرحها المستطاب
ومنها لهم كان خيراً اكتساب
لها لا عليها بما يستجاب
فيأكل من طرحها ما استطاب
لا لتي سلاماً يزيل اضطراب
أفرق بين أولي الاتساب
عقوق الذراري لأُم وآب
دعته وكان بجمع الصحاب
إليها ودعوتها ما أجاب
بملككم وبما في الكتاب
إله وهذا لشر ارتكاب
زعمتم والا فكيف الجواب
أما يستحقون قطع الرقاب
وهذا قليل لهم في العقاب
أراضون عن فعله أم غضاب
فان السكوت عليكم يعاب
طريق السكوال وترك السباب
تجيبوا وان شاب رأس الغراب
له الخلق والأمر دون اوتياب

إله قديم بلا أول
عليم مراد وذو قدرة
وبالنفس لا بالسوى قائم
غني عن الخلق سبحانه
وليس له من شبيه ولا
وعن ابن تراه عيون الوري
وما كان من بعد أن لم يكن
فهذا الإله الذي قد علا
وهذا الذي ينبغي منكم
وأما الذي مات قمراً على
فليس إلهاً وإكبه
فلا تمبدوه وعن دينه
وها قد نصحت وما أرتجى
وموتى على دين خير الوري
محمد المصطفى من علا
ومن جاءنا بالكتاب الذي
ولم يأت به باطل بل ولم
ومن كتب الله قد بشرت
كتوراة موسى وإنجيل عيسى
وما هي غير التي عندكم

ورباق إليه يكون المآب
بها لملا تذل الصواب
وحي محال عليه التباب
وكل لإحسانه في ارتقاب
له من مثل بوجه اقتراب
تنزهه إذ ذاته في احتجاب
وليس له للمباد انتساب
علاه عن النقص من كل باب
له تنثنى بالخضوع الرقاب
صليب مهاناً وباللحن آب
كما مر عبد ضعيف الجناح
فحولوا وكونوا له في اجتناب
بنصحي لكم غير حسن الثواب
شفيع الخلائق يوم الحساب
على المرسلين أولي الاقتراب
أبان طريق الهدى والصواب
تدنسه كتابه بالمعاب
ببعثه في صريح الخطاب
وزبور داود من قد اناب
وإن مساهمكمو الانقلاب

فَأَنتم به من رسول كريم
له معجزات كمدّ الحصى
وما هي إلا كشمس الضحى
ولو لم يكن غير قرآنه
لكان لا يجازده كافياً
فهذا الرسول الذي جاءنا
به يوم حشر الورى يرتجى
فيا فوز قوم به آمنوا
ويا تمس من لم به يؤمنوا
ويا ليت من أنكروا فضله
وقالوا رضينا ديناً لنا
ليحظوا بجنات عدن ولا
ولكن إذا الله أُمى أمراً
ولا يرتضى بالهدى إن بدا
وهذا لإنفاذ ما ربه
وإني أقول لكم ناصحاً
ألا تتركوا غيكم واهتدوا
وقولوا رضينا به واطهروا
فان تقبلوه فذا مقصدي
وإلا فَأَنتم على دينكم

نبي عظيم رفيع الجنب
وعد الرمال وقطر السحاب
إذا ما تبدت بغير احتجاب
دليلاً على صدقه المستطاب
لمن يطالب الحق من خير باب
بدين قويم به الشرك غاب
حصول الخلاص ورفع المذاب
وفيه استقاموا فنالوا الثواب
ويا ويلهم من شديد العقاب
غدوا عن تعصبهم فى اجتناب
ولا ترتضى لسواه انتساب
يكون لهم فى الجحيم إنكباب
عن الحق لا يهتدى للصواب
له بل يرى الرشيد فيما يعاب
قضاه له من أليم المذاب
بإخلاص قصد عسى أن أثاب
بدين الرسول لباب اللباب
إذا باعتناق له واضططاب
وفيه سرورى ولي يستطاب
وقد بان ما كان خلف الحجاب

ولقد نادى هذا السؤال المجيب . المفهم بباهر براهينه علماء عباد
الصليب . بالويل على سفهاء المبشرين الذين هتكوا حرمة الاديان السماوية
ودنسوا طهارة الدين المسيحي بفضائح أعمالهم . وقبائح اقوالهم . ووجه إليهم
زاجرو عيده تهديد معنى قوله تعالى (وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا تنصرون
بل هم اليوم مستسلمون) فكان حالهم معه كحال القوم المشار إليهم بقوله
جل شأنه (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين)
وكم اجمعوا واجتمعوا وههنا واهتموا وحاروا ثم تماروا وتأملوا فيه وتعلموا
وهاجوا وماجوا حتى طاشت منهم الالباب . وسدت عليهم الى الصواب
الطرق والابواب . فما أحسنوا الجواب . ولا صنعوا الى العتاب

وكادت من الفيض الشديد قلوبهم * لرؤيته لولا الذهول تذوب
ثم بعد بعيد من الزمن أصبح السفهاء منهم هاذين بقصيدة مطلعها
ايا مسلمين اتاكم فتى قوي احتجاج سديد الجواب
فلما تناولها ذلك الفاضل الغيور وقد كان على لهف وشديد تشوف إلى
سماع الإجابة ظن ان في البيضة ديكاً وأنه عثر بضالته المنشودة فما جاوز
البيت الثاني من تلك المنظومة المشرومة على ناظميها إلا وقد تورط او حال
تلك الشبه المضلة التي كان يذود أولئك العمي عن ظلماتها ثم رأى من
خبائث السباب والطعن على الحضرة المحمدية مابه علم ان ذلك الناظم
محروم من العقل والادب وأنه ما زاد حربه الا ضلالاً . ولا أورث نفسه
الا خبالاً ووبالاً . ولقد جاء فيها ببعض شبه ظن أنها تغني عن الحق شيئاً
فما وسع الاستاذ المليجي لعلمه بأن في الناس من تخيل الباطل حقاً الا انه

رَدَّ عليها رداً جميلاً بقصيدة غراء ختمها بقوله

وإني محق ولي دائماً بأني انادي ليوم المآب
سؤالي عجيب وذو قوة ولا زلت اطلب عنه الجواب

ولقد عجبت وعجب العقلاء . من اعمال أولئك السفهاء . الذين خرجوا
من ديارهم محاريين للدين الإسلامي بالسنتهم وتمويهاتهم المضلة كيف
فارقوا أوطانهم معجبين بأنفسهم على وهم انهم ألو الألباب وبصائر وأنهم
هموا العلماء وأن لهم قوة على مقاومة ذلك الدين القويم فهل من العقل
أن إنساناً أو أمة من الأمم أو طائفة من الطوائف كهذه الطائفة التي فقدت
العقل والأدب تقوم لمقاومة أُمم ملأت من المعمورة أغلبها ثم تزاحم
العقلاء في أديانهم بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير بل بمجرد سفه
وفضول وجدل غير محترم ولا معقول فلماذا إذا كانوا عقلاء لم يحسبوا للمثل
هذا السؤال حساباً ولم يمدوا له قبل أن يقفوا ذلك الموقف الخطر جواباً
وكيف فتحوا الحوانيت ودعوا الناس إلى المحاورات والمناظرات وهو
الجهلاء بما حوته كتبهم أفلا يعلم العقلاء من عجز هذه الطائفة المفتونة
أنهم بين أمرين إما أن يكونوا جهلاء بما حوته كتبهم من الشبه التي
وضعتها سفهاؤهم الأقدمون وإما أن يكونوا مجتمين على الضلال عالمين به
وإلا فما المانع لهم من دفع ما في هذا السؤال من الشبه بأجوبة صريحة
تقنع المطالع وتذهب عنهم ما لحق بهم من الخزي والخجل إن كانوا ممن
يُحِبُّ لهم الصدق إذا كذبوا ويرشدهم الحق إذا ضلوا ولكن القوم في
ضلال بعيد وأخو الغواية لا يخزيه الضلال والعامل على الباطل لا يرده

إلى الحق صائب الأقوال

ولقد نشر ذلك الفاضل في أقطار الأرض إعلانات كانت أعدادها
مائة ألف أو يزيدون لكيلا يكون لأي طائفة من القوم احتجاج بعدم
بلوغ الدعوة ثم أعقب ذلك بكتاب سماه إعلام البعيد والقريب بمجز من
ظن أنه رد على السؤال العجيب فأظهر فيه من العجب العجيب ما لوراء
أي مسيحي شديد التمسك بما هم عليه من الضلال المهلك لكان من المسلمين
لأول نظرة ولقد أسلم وأعلن إسلامه ابتغاء مرضاة الله تعالى الفاضل الذي
سمى نفسه إبراهيم راغب المهدي وكان قهصاً وأميناً لدير السريان بوادي
الظطرون ثم تبعه الفاضل الذي سمي نفسه محمد الصادق المهدي الذي كان
قهصاً وأميناً لدير البرموس بذلك الوادي وكان من أمرهما أن كلنا أحد
الشعراء باعلان إسلامهما بمبارة شمعية على السنة الجبرائدية فناء ذلك
الشاعر النبوي بنونية قال فيها على لسان كلا الفاضلين

الله اكرمني بدين محمد	خير النبيين العظيم الشأن
ومن التعمق في الضلال أقالني	وإلى الصراط المستقيم هداي
فله جزيل الشكر حيث امدني	برضاه بعد غوايتي وحبائي
وله الجميل من المحامد اذ هدى	قاي وأنقذني من الطغيان
وله الشناء على جميل تجلي	بهداية الإسلام والإيمان
سبحانه كشف الغطاء بفضله	عني وللدين القويم دعائي
وأزال عن قلبي بنور رشاده	ما كان فيه من ظلام الران
وأزاح عن إنسان عين بصيرتي	حجب الضلال ونزغة الشيطان

وإلى الوصول إليه ارشدني بما
 وبخير أسماء النبي المصطفى
 فقدوت في نادي النعيم وكنت في
 وتحداً بهديتي طـــــــاقتي
 وبما من الفوز العظيم منحة
 وعليه فالمرجو من حضراتهم
 وليذكروا بأخير أحمد من علي
 فهو الملبجى الذي أرجو له
 وعليه اثني ماحييت وإن أمت
 وكم أسلم عقب ذلك السؤال من مسيحي سراً وعلانية عند الوقوف
 على حقائق تلك الشبه التي عجز القوم عن الإجابة عنها فكأنما بعثه الله في
 هذا الزمن نذيراً لاؤلك الضلال بين يدي خزي فاضح وخجل مهلك
 لا لأنه نبي أو رسول ولكن لأنه مجدي صادق الإيمان قوي اليقين
 ثابت العزيمة تقلد الحق وتأبط الصدق وتمطى الفيرة الدينية وتدرع بالحماية
 الإسلامية وقام مدافعاً عن الدين وحائلاً بين قلوب المسلمين وبين نزغات
 الشياطين . وإن له لقصيدة بل جملة قصائد منها ما هو مدون في كتابه
 المسمى بأتحاف اللبيب بشواهد السؤال العجيب الذي بين فيه مواضع
 استشاداته من كتبهم ومنها ما هو مدون في كتابه إعلام البعيد والقريب
 الذي زين طراز حلاله الزاهرة بقوله
 سؤالي عجيب أعجز القوم بمضه ولم يستطيعوا رده بجواب

وبالجملة فما كنا نظن أن الله سبحانه وتعالى يرسل على أعدائه وأعداء دينه القويم من افواه الرجال صواعق محرقة للقلوب القاسية والا كباد الفليضة ولا ان يصيبهم بسهام صائبة مسمومة من اكنة صدور ذوي الغيرة الدينية حتى أدهشتنا أعمال هذا البطل الهيام الذي باع لله نفسه وماله وفاجأنا أقواله التي أخزت أهل الفضائح وأخجلت ذوي القبائح من أولئك السفهاء فنسأل الله أن يقوم به وبأمثاله إعوجاج هؤلاء الضلال وأن يذيقهم بألسنة أهل الصدق كؤوس النكال

ولقد علمنا من قصيدته التي سماها بالمطالب المحالة على أهل الانصاف والعدالة انه ما زال يطالب بالجواب عن ذلك السؤال فأتينا بها كاملة ليطلع عليها المقراء المطالبون بالحكم بين الفريقين الا وهي هذه

إليكم رجال العدل أملي وأكتب	وانصافكم في الحكم أرجو وأطلب
فلي قصة مع قوم عيسى عجيبة	وها أنا أديها لكي تتعجبوا
سألهمو عن بعض ما في كتابهم	سؤالا عجيبا ما لهم منه مهرب
وقلت لهم هل من جواب لديكمو	يكون سديداً بأشتباهي يذهب
فما استطاع منهم ذوا السان إجابة	على بعضه إذ ذلك الامر يصعب
وما كان من أهل الدراية منهمو	لقوة ما فيه سوى أن تحجبوا
وأما ضعاف الراي منهم فانهم	تجاوزوا علينا بالسباب وأطنبوا
وأقبح من هذا تطاولهم على	نبي له كل الكمالات تنسب
ونسبهم إياه من حقهم الى	قبائح ليست في كتاب فتطلب
واني لا أدري علام سبابهم	له بل وما الداعي ولا ما المسبب

أمن أجل أمر قد أسأنا هو به
 والا فمن أجل السؤال الذي به
 وذلك منذ طالبتهم بإجابة
 ولم يستطيعوا أن يجيبوا القوة
 وأتى لهم أن ينقضوه وأنه
 وقد قال بمض الأذكاء بشأنه
 سؤال المليجي أحمد الفمل هادم
 سؤال محال أن يجي بمثله
 سؤال بلا ريب عجيب وأنه
 سؤال عجيب ليس يعرف قدره
 سؤال به البرهان أشرق نوره
 سؤال به شمس الحقيقة أشرق
 سؤال دهي أهل الصليب ظهوره
 وهذا لما فيه لنا من أدلة
 واني بوجه الاختصار لعاجز
 عن الحصر في سرد فضائله التي
 كما أنني عن شكر ناظمه الذي
 لم أترف بالعجز مهما مدحته
 جزاه إله العالمين بفضله
 فهذا الذي فاه الخطيب به لدى
 وهذا الأمر في شرع الهداية منقضب
 أصيبوا وفي نيرانه قد تقلبوا
 على ما به مما به قد تمذهبوا
 حواها بوجه الحق والحق أغلب
 عليهم كوقع السهم بل هو أصعب
 على منبر الارشاد من مقام يخطب
 لمفتريات المبطلين ومذهب
 لنا غيره أو بالذي منه يقرب
 لني بابه من خير ما عنه يكتب
 سوى من لغير الحق لا يتطلب
 كشمس الضحى لكنه ليس يغرب
 على كل قلب في الهداية يرغب
 وأورثهم عاراً له الذل يصحب
 إذا ما أقنأها عليهم تلبوا
 مدى الدهر مهما قت في المدح أطب
 تجل عن التعداد حصراً وتعزب
 له الفضل في انشائه ظل ينسب
 مقربته قصيري وإن كنت أسهب
 عن الدين خيراً ما تالاً لا كوكب
 كثير وكل قال هذا مصوب

وكم مباح أنى عليه لكونه
 ولولا من التطويل أخشى ملالة
 ولكن كفى قول الخطيب الذي مضى
 وإن كان هذا مذهباً لأولي النهى
 وكيف ضاعف الراى منهم سفامة
 محمد الداعى الى سبيل الهدى
 على أننى ما جئت فيما نظمته
 بشيء روى ما فى الكتاب رأيه
 ومن كان فى شك مريب ولم يكن
 عليه (باللام البعيد) فانه
 وفيه يرى الرد الذى قد أتى به
 ويخطر ايضاً فيه ردى لردم
 ومن بعد أن يدري حقيقة ما انطوى
 ويدرى بأنى لم أقبل سفها به
 يكون بصدقي وثقا وبزيل ما
 ويوقن أن القوم حتمى وثن ما
 وأن ليس يرضاه سواهم لكونهم
 وأنى لهذا قت أسألهم عسى
 والا فكل عن تمسكه به
 وينقاد للدين الخفيف الذى به

سؤالا به لا شريك قد زال غيب
 لجئت بما قالوه فيه وأعربوا
 لأن الذى أبداه لكل مذهب
 فكيف أولو التثايت عنه تجنبوا
 يسبون من منه المكارم توعب
 وأوسع رسل الله جاهاً وأرحب
 لهم فى سؤالي حينما كنت أكتب
 له العقل من كل الوجوه يكذب
 رآه وفى إثبات صدق يرغب
 يراه به أن كان إياه يطلب
 عليه ضاعف الراى منهم ويوجب
 بأقوى دلائل للمجادل يرهب
 عليه سؤالي من ممان تصوب
 وأن اعتقاد القوم جهل مركب
 عساه من الشك المريب ويذهب
 يقولونه عند العقول معيب
 جميعاً به دون البرايا تذهبوا
 يجيبوننى عنه بمسالا يعيب
 يحيد ومن هول القيامة يرهب
 أنا امام الأنبياء المقرب

محمد المختار أفضل مرسل
 ليحظى بجنات النعيم التي لنا
 والا فنيران الجحيم جزاؤه
 وحينئذ فيها ينادي بليتي
 وما كنت ممن خالفوه تمتا
 وبليت ليت في الجحيم مقيلة
 وليكنها ليست بمنجية له
 وهذا اعتقادي والصواب اتباعه
 فبالله يا أهل العدالة هل أنا
 والا أنا فيه أعد بمخطيء
 فان كنت يا أهل العدالة مخطئا
 وانقاد للحق الذي ترتضونه
 وان كان قولي للصواب موافقا
 فقولوا لأوغاد النصارى بالسن
 ألا أيها الاوغاد هذا اعتقادنا
 ويا أيها الاوغاد من حيث أنه
 حقم عليكم أن تقولوا به ولا
 وإن كنتم لم ترتضوه تمتا
 إذ السب مذموم لدى كل عاقل
 وإكفنه إظهار عجز وإنه

وأشرف خلق الله أصلا راطيب
 أعدت وفيها ما نشاء ورغب
 ولا يد يصلها وفيها يذهب
 أجبتم المايجي في الذي كان يطلب
 لدى ما دعاهم للمدى فتجنبوا
 لقاءها منذ في اظاها يقرب
 وقد كان للحق المبين يكذب
 ومن قال لا فليبد ما هو أصوب
 مصيب وهل قولي لديكم صوب
 لديكم أجيوني لما أطلب
 ففي الحال عن قولي به أتجنب
 لأن اتباع الحق للحر مذهب
 وكل له منكم يميل ويذهب
 حداد ولا تخشوا جهولا يؤنب
 وإنا لمولانا به نتقرب
 صواب وعند الأذكاء محبب
 يصدنكم تقايد قوم تمصبوا
 بغير دليل فالسباب تجنبوا
 وليس جوابا للذي الحق يطلب
 لمار عظيم ضل من فيه يرغب

كما أنه عنوان كل وقاحة
 برجر وتوبيخ وصفع على التقا
 وهذا قليل من كثير وإنما
 وتالله هذا مذهب الحق والذي
 وإنا أنبأكم لكم رافضة بكم
 فان تقبلوه فأبشروا بخلاصكم
 وأيضاً بجنات النعيم فأبشروا
 وهذا لما فيها من النعم التي
 وأعظمها في القدر رضوانه الذي
 وكم لهذا الفاضل من قصائد أقامت على القوم قيامة الاقتضاح . وأوقفتم
 على جهلهم فأيقنوا أن لا نجاح من بعد ولا فلاح وقد اكتفينا منها بما سبق
 وهذه القصيدة التي هي أشد وقفاً من سهام المنون . المسماة بالجنون فنون
 قوم عيسى قصد تغالوا فيه جهلا وضلالا
 حيث قالوا مذ أتاهم أنت ربّ قال لالا
 ما أنا إلا عبيد أعبد الله تعالى
 وإليه جئت أدعو كل من يبغي اتصلا
 إنه للكون ربّ محسن يعطي النوالا
 واحد صدّ فرد قديم ذاته تآبي المثالا
 ليس يحويه مكان عز شأننا وجلالا
 صدّ يقصد فيما هو صعب لن ينالا

فأعجبوه وأنبيوا وأطيعوه أمته
وأعلموا أني رسول جئت أوليكم كمالا
واريكم واجبات وحراما وحلالا
فأجابوه عناداً لم نصديق ذا المقالا
إن يكن ما قلت حقاً وصحيحاً لا تحسبوا
كيف من غير أب قد جئت بانوراً تلالا
وهو أمر ما تأتي ولدى العقل استحقالا
وبه لم نلق شخصاً عاقلاً في الناس قالا
قال ما هذا عجيب يورث الفكر اشتغالا
ما أنا إلا كجدي آدم في الخلق حالاً
لم أزد شيئاً عليه يكسب الأمر احتمالاً
بل هو الأعجب إذ لم يلق هملاً وفصالاً
وهو الأولى إذا ما رام شخص يتفالى
فقصوه ثم قالوا أنت رب لا جدالاً
فأترك البرهان يا من وجهه فاف الهالاً
انه لو كان مهماً كان لا يجدي انحالاً
وأقصر القول ودعنا يا إلهاً ان يزالا
فأعجبوا يا قوم منهم زادهم ربي خبالاً



فلما ابتهج المسلمون بنصرة ذلك الأديب على أولئك السفهاء قاموا له
 بواجب الشكر والثناء، وقد مواله من التقاريط والمدائح ما يضيق المقام عن ذكره
 وقد انتشر غالبها في كتبه المطبوعة على نفقته ولما استحسن حضرة الشاعر
 اليبب الأستاذ الفاضل الشيخ مصطفى ابن أبي سيف الحماني ذكر قصيدته
 التي امتدح بها جنابه المهيب ودرجها ضمن هذا الكتاب أجبنا طلبه إعلانا
 لفضائل المادح والمدوح وهي هذه

إلى رب الجمال طفقت اشكوا	وأبدى ما بأحشائي توارى
وأعرب عن خفي الوجد لما	تلاقينا بمسربه نهـ سارا
فوصل لي من الاستقام ثوبا	والبسنيه رغما واضطارا
وغازلني بالخط ان تصدى	لصيد حشاشة أبدى انكسارا
وفوق سهمه فأطاش لبي	وعند العتب قدم لي اعتذارا
وقال أصبت لآعن سوء قصد	ألا هـ لآ تمجأت الفرادا
وغادرني صريبا إذ تثنى	وكالبدر المنسیر سرى وسارا
فقلت كفيت ما بي يا حبيبي	أرح قلبي ففبك الفكر حارا
فهن عواطفاً وأرى ابتسما	وقال إذا تولى الحسن جارا
ولما ان يئست من التذاني	وصدني الظبي واختار النفارا
أبنت له التجلد والتجاني	وللهجران أعددت اصطبارا
واشغلت الفؤاد بمدح شهم	بسيف الحق قد فهم النصاري
واجهد نفسه فيهم جهادا	بميدان الجدال فهل يجاري
وأني والحقائق واضحات	وسهم الصدق يصرع من تناري

فَإِنَّ عَنْهُ تَسَانًى قُلْتُ مَهْلًا
 أُولَى الْخَانُوتِ خَانُوتِ التَّعَامِي
 أُولَى التَّبَشِيرِ بِالْخَزْيِ الْمَوَانِي
 أُولَى التَّمْوِيهِ وَالتَّدَايِسِ مِنْهُمْ
 أَوْلَئِكَ يَذْبُونُكَ عَنْهُ حَقًّا
 وَإِنْ هُمْ أَنْكَرُوهُ فَقُلْ عَجِيبٌ
 فَكَيْفَ جَهَنَّمُوا الْمُنَاقِي إِلَيْكُمْ
 وَأَخْزَاكُمْ وَأَخْجَلَكُمْ حَيَاءً
 أَلَمْ يَكْ أَحْمَدُ الشَّهْمَ الْمَلِيحِي
 إِلَّا لَا فُضَّ فُوهُ يَارِفَاقِي
 بَهْرَتْ ذَوِي النَّهْيِ يَا بَنَ الْمَلِيحِي
 وَ(بِالْإِعْلَامِ) أَطْلَمْتَ الْهَرَايَا
 فَنِيْظًا يَا أُولَى التَّبَشِيرِ مَوْتُوا
 وَشَكَرَا يَا بَنَى الْإِسْلَامِ قُولُوا
 وَمَنْ عَادُوهُ قَدْ بَاؤُوا بِالْخَزْيِ
 أَدَامَ اللَّهُ أَحْمَدَنَا الْمَلِيحِي

أَلَا فَاسْأَلْ عَنِ الْقَمَرِ الْخِيَارِي
 أُولَى الْجَدَلِ الَّذِي لَمْ يَجَلْ عَارَا
 إِذَا لِلْقَبْرِ مِنْ غَرْوِهِ صَارَا
 لِشَيْطَانِ النُّرُورِ غَدَاً أَسَارِي
 فَقَدْ عَرَفُوهُ فُخْرًا وَاتِّصَارَا
 أَرَى الْخَفَاشَ مَا جَهِلَ الْهَارَا
 سِوَالَا مَشْهُ أَوْشَدُكُمْ تَوَارِي
 وَنَجْمٌ مَسُودُكُمْ فِي النَّحْسِ غَارَا
 لَكُمْ خَصْمًا وَأَوْرَثَكُمْ دِمَارَا
 لِيُصْلِي أُمَّةَ الْمَصْلُوبِ نَارَا
 بِتَوْجِيهِ (الْعَجِيبِ) إِلَى النَّصَارِي
 بِأَنَّكَ ذُو لِسَانٍ لَا يَمَارِي
 فَتَبَشِيرِ الضَّلَالِ غَدَاً فُشَارَا
 مُحَاسِنِ أَحْمَدِ كَلِمَاتِ فُخَارَا
 كِفَايَةِ بَغْتِ جَهْلَا جَهَارَا
 وَلَا زَالَ الْكَمَالُ لَهُ دُثَارَا

لطيفة من لطائف صاحب السؤال (العجيب) لقد جمعت الصدفة بينه
 وبين بعض المبشرين في محتفل عام وكان أهل ذلك النادي على كثرتهم
 سكوتاً كلهم كأنهم على تشوُّفٍ لسماع المحاورات الجدلية بين ذلك الفاضل

وبين المبشر وأتباعه فكان من أمره أن قال سبحانه من لم يتخذ صاحبة ولا ولداً
 فتأملت بعض المبشرين إلى بعض واتخذوا تحرك الخواجب وتقلب
 الأبصار رسلاً بينهم حتى استقر الرأي على أن يفتح أبواب الجدل
 أرشدهم فقال سبحانه من جعل كلمته ابتغاءاً وروحاً فكان هو هي وهي هو
 فقال الملبجي أو لم يتكلم الله سبحانه وتعالى غير كلمة واحدة وهل يتجدد
 كلام من تنزهت صفاته عن الاتصال والانفصال قال المبشر أو ما قال
 قرآنكم الحكيم (وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه) فقال الملبجي وقال أيضاً
 (فلما نفي آدم من ربه كلمات) فليخرج كلام الله فتكون كلمته التي ألقاها
 إلى مريم ما هي من نوع كلمات آدم أم جهلكم بدقائق القرآن أجاكم إلى
 إساءة الظن بالله إلى هذا الحد المهلك مع ما سمعتموه في القرآن من تكذيبكم
 وشدة الذمارة عليكم في مثل قوله تعالى (كبرت كلمة تخرج من أفواههم
 إن يقولون إلا كذباً) وهل من عاقل له أدنى نصيب من الذوق يعتد
 أن جبار السموات والأرض يكون له ولد ويصاب أرميهان هو بالسلب
 إن كنتم تقولون انه هو الله نفجّل المبشر وهال الحاضرون وانصرف
 القوم خاسرين

تم طبع هذا الكتاب بمؤنة الله سبحانه وتعالى وتيسيره بمطبعة
 الخواجه اندريا كوستايولا بجوار الاوبرا الخديوية بمصر
 وسيتلوه كتاب المباحث الادبية الذي هو الآن تحت الطبع بالمطبعة
 المذكورة فترجوا الله جل شأنه وتقدست أسماؤه أن يمن علينا بقول كل

قول وعمل وأن يرزقنا الإخلاص وصلاح النية وأن يصرف عنا السنة
 الأشرار وإساءة الفجار الذين زين لهم الشيطان محاربة الدين والمندسين
 وأن يوجه إلى ما نقول قلوب أهل الإيمان محبة وقبولا واستحساناً حتى
 يباوثونا على أحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقول والعمل وعلى
 نصرة لدين القويم عسى الله أن يكف عن الدين بأس المتفلسفين وزندقة
 المنحرفين والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً . (رب احكم بالحق وربنا الرحمن
 المستعان على ما تصفون) ربنا عليك توكلنا وإليك أنبتنا وإليك المصير
 اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك . اللهم إنا ندرك بك في محورهم
 ونعوذ بك من شرورهم والله غالب على أمره ولو شاء ربك لآمن من في
 الأرض كلهم جميعاً ولكن حقت كلمة المذاب على الكافرين ربنا آمنا بما
 أنزلت واتبعنا لرسل فاكتمنا مع الشاهدين اللهم صلى على سيدنا محمد
 الفتح لما أغلق والخاتم لما سبق والناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك
 المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه حق قدره ومقداره العظيم

(وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)

كل علم يخالف الدين جهل وأخو العقل من يخاف القيامة
 فأنشد الرشداً أهله وتجنّب تابمين الهوى رزقت السلامة

